٦٧
تاريخ المصريين

مساعى السلام العربية الإسرائيلية
(الأصول التاريخية)

د. عبد العظيم رمضان

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب الذى يضم البحوث التى ألقيت فى ندوة : الأصول التاريخية لمساعى السلام العربية الإسرائيلية ، التى عقدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس فى دار الضيافة بجامعة عين شمس فى الفترة من ١٣ ــ ١٥ ابريل ١٩٩٣ .

فقد انكشف الآن للرأى العام العربى زيف ونفاق الهجوم الذى صدر من بعض الدول العربية ضد مبادرة السلام المصرية التى قام بها الرئيس الراحل السادات ، فلم يثبت حتى الآن أن دولة من هذه الدول التى تظاهرت بالغيرة على القضية الفلسطينية ، وتذرعت بها فى الإعتراض على مبادرة السادات قد قدمت شيئاً من المساعدة للقضية الفلسطينية غير الكلام والخطب ، والتهديدات الشفويه العنترية !

وأن الرأى العام العربى حالياً ، بما فيه منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، قد تكتلت جميعها فى مساندة مساعى السلام العربية الإسرائيلية التى تلعب مصر دوراً مهماً فيها بحكم صلاتها باسرائيل وما تملك من تأثير ، وبالتالى فإن عقد ندوة عن مساعى السلام فى هذه الآونة يعد تأصيلاً تاريخياً لها ، ومساهمة من التاريخ فى العمل السياسى الايجابى لخدمة قضايا أمتنا العربية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٧٥ قرشا

مساعي السلام العربية الإسرائيلية
(الأصول التاريخية)

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

تقديم

يسرني أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب الذى يضم البحوث التى ألقيت فى ندوة : الأصول التاريخية لمساعى السلام العربية الاسرائيلية ، التى عقدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس فى دار الضيافة بجامعة عين شمس فى الفترة من ١٣ ـ ١٥ ابريل ١٩٩٣ ٠

كان صاحب الفكرة فى اقامة هذه الندوة هو قسم التاريخ بكلية بنات جامعة عين شمس ، الذى يضم ثلاثة من علماء التاريخ فى لجنة التاريخ والآثار ، وهم الأساتذة : الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ، والدكتور صلاح العقاد ، رئيس سمنار التاريخ الحديث بكلية بنات جامعة عين شمس ، والدكتور يونان لبيب ، رئيس قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس ٠

وعندما عرض موضوع الندوة فى لجنة التاريخ والآثار أثار اهتماما واسعا ، كما أثار اعتراضا من البعض أيضا ٠ ذلك أن موضوع السلام كان قد ارتبط فى أذهان الكثيرين بالاعتدال والتهاون منذ شنت الدول العربية هجومها على مبادرة السلام المصرية التى أعلنها الرئيس الراحل محمد أنور السادات فى

٩ نوفمبر ١٧٧ ، واتهم بالخيانة ، وترتب على ذلك وقف عضوية مصر فى جامعة الدول العربية فى مؤتمر بغداد ٠

وقد خشى بعض أعضاء لجنة التاريخ والآثار أن تعتبر موافقة اللجنة على عقد ندوة تتحدث عن الأصول التاريخية لمساعى السلام العربية الاسرائيلية بمثابة مساندة لمساعى سلام لقيت من التنديد ما لم تلقه مساعى سلام حدثت فى التاريخ !

وكان روى أن هذه النظرة الى مساعى السلام تعد نظرة قديمة لاتدخل فى اعتبارها المتغيرات الجديدة ٠

فمن ناحية ، فقد انكشف الآن للرأى العام العربى زيف ونفاق الهجوم الذى صدر من بعض الدول العربية ضد مبادرة السلام المصرية التى قام بها الرئيس الراحل السادات ، فلم يثبت حتى الآن أن دولة من هذه الدول التي تظاهرت بالغيرة على القضية الفلسطينية ، وتذرعت بها فى الاعتراض على مبادرة السادات ، قد قدمت شيئا من المساعدة للقضية الفلسطينية غير الكلام والخطب والتهديدات الشفوية العنترية !

بل لقد ثبت أن احدى هذه الدول ، وهى العراق ، التى اتخذت من بغداد قاعدة لطرد مصر من جامعة الدول العربية فى مؤتمر بغداد الشهير عام ١٩٧٨ ، كانت تعد قوتها لكل شىء الا القضية الفلسطينية ! لقد أعدتها لمحاربة ايران ، ثم أعدتها لمحاربة الكويت ، ولم توجه صاروخا واحدا لاسرائيل الا عندما احتشدت فى مواجهتها قوات ثلاثين دولة ٠

وكل ذلك أثبت أن الحملة التى شنتها دول الرفض ضد مساعى السلام كانت حملة مضللة لم يقصد بها سوى التجارة

بالقضية الفلسطينية ، والاستفادة منهـا فى تأسيس زعامة في العالم العربى على حساب الزعامة المصرية ٠

أما الناحية الأخرى ، فهى أن الرأى العام العربي حاليـا ، بما فيه منظمة التحرير الفلسطينيـة ، الممثل الشرعي والوحيـد للشعب الفلسطيني ، قد تكتلت جميعها فى مساندة مساعى السلام العربية الاسرائيلية التى تلعب مصر دورا مهما فيها بحكم صلاتها باسرائيل وما تملك من تأثير ، وبالتالى فان عقد ندوة عن مساعى السلام في هذه الآونة يعد تأصيلا تاريخيا لهـا ، ومساهمة من التاريخ فى العمل السياسى الايجابى لخدمة قضايا أمتنا العربية ٠

وبالفعل فقد كان من المصادفات المواليـة أنه فى نفس الأيام التى عقدت فيها الندوة ، وهى أيام ثلاثة كما ذكرنا من ١٣ ـ ١٥ ابريل ١٩٩٣ زار القاهرة ياسر عرفات وتلاه أسحق رابين رئيس الوزارة الاسرائيلية الاجتماع بالرئيس المصرى محمد حسنى مبارك٠

على هذا النحو تمت الموافقـة على اشتراك لجنة التاريخ والآثار مع قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس على اقامة هذه الندوة عن الأصول التاريخية لمساعى السلام العربية الاسرائيلية التى أثبتت أنها من أهم وأخطر النـدوات العلمية التى عقـدت بالقاهرة ٠

فقد قدم الدكتـور عبد الله الأشعل ، نائب مدير معهـد الدراسات الدبلوماسية بحثا قيما عن « الاطار القانونى لمشروعات تسوية الصراع العـربى الاسرائيـلى » وقدم الدكتـور محمـد عبد الرءوف سليم أستاذ مساعد التاريخ الحديث بكليـة بنات عين شمس بحثا عن الاتفاق بين العرب واليهـود قبل قيام دولة اسرائيل فى ضوء المفهـوم الصهيوني ٠ وقدم الدكتـور أحمد

عبد الرحيم مصطفى أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس بحثه عن « مهمة الياهو ساسون فى القاهرة ١٩٤٦ » . وقدمت الدكتور فادية سراج الدين بحثا عن « المساعى الأمريكية البريطانية لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦ » . وقدم الدكتور رفعت السعيد بحثا عن « اليســـار المصرى والصراع العـــربى الاسرائيلى » كما قدم الدكتور رشاد الشال بحثا عن « حركة السلام الآن » فى اسرائيل وقدم الدكتور صلاح العقاد بحثا عن « معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى مجال التطبيق » ، ثم قدم الأستاذ عماد جاد ، الباحث بمركز الدراسات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام بحثا عن « انعكاسات المتغير السكانى على عملية التسوية السياسية للصراع العربى الاسرائيلى » ، وقدم الدكتور يونان لبيب بحثا عن « قضايا التاريخ فى مدريد » .

وقد اشتركت ببحث عن « مبـــادرة يارنـــج بـــين الحرب والســلام » واشترك الدكتور محمد عبد الوهاب ببحث من خارج الندوة عن « مبادرات الســلام الأمريكية فى الخمســينيات أثناء ادارة ايزنهاور ، وعوامل فشلها » .

وقد كان بودى أن أنشر المناقشات المهمة التى جرت أثناء الندوة بين المحاضرين من الأساتذة والباحثين وبين أصحاب البحوث، لولا أنها لم تسجل للأسف الشديد لأسباب خارجة عن ارادة قسم التاريخ بكلية البنات ، وان كانت الأبحاث التى قدمت تحوى من الردود على أصحاب التساؤلات ما يغطى الكثير منها .

وعندما أخذت فى اعداد أعمـــال الندوة للنشر ، لم أتقيـــد بالترتيب الذى ألقيت به هذه الأعمـــال فى الندوة ، فقـــد غلبت الترتيب الزمنى للأحداث ما أمكن ، فقدمت ـ بالترتيب ـ مساعى

السلام قبل ثورة يوليو ، ثم فى عهد عبد الناصر ، فعهد السادات، فعهد مبارك ، وأتبعت ذلك بالأبحاث ذات الصفة الموضوعية ، وهى : الاطار القانونى لمشروعات تسوية الصراع العربى الاسرائيلى، وانعكاسات المتغير السكانى على عملية التسوية السياسية للصراع العربى الاسرائيلى » ٠

وبالنسبة لموضوعات ذات الصفة الموضوعية الزمنية ، مثل موضوعى : حركة « السلام الآن فى اسرائيل » و « اليسار المصرى والصراع العربى الاسرائيلى ، فقد آثرت ترتيبها بعد موضوع « معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى مجال التطبيق » للدكتور صلاح العقاد ، لتعلق هذين الموضوعين بهذا الموضوع ٠

وفي النهاية لا أملك الا أن أوجه الشكر لكل من الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس جامعة عين شمس ، والدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة ، لرعايتهما للندوة ، وللدكتور أحمد عبد الرحيم طه عميد كلية البنات لتفضله بافتتاح الندوة ، ولقسم التاريخ بكلية البنات ورئيسه الدكتور يونان لبيب لتحمله مع لجنة التاريخ والآثار أعباء تنظيم الندوة ٠ وللجنة التاريخ والآثار لموافقتها على الاشتراك مع قسم التاريخ بكلية بنات عين شمس على عقد هذه الندوة ، كما أوجه الشكر لكل من اشترك فى أعمال الندوة من الأساتذة والباحثين ٠٠ والله الموفق ٠

مصر الجديدة فى ٢٠ ابريل ١٩٩٣ ٠

د ٠ عبد العظيم رمضان

مقرر لجنة التاريخ والآثار

ورئيس تحرير سلسلة « تاريخ المصريين »

المفهوم الصهيوني للاتفاق بين العرب واليهود قبل قيام دولة اسرائيل

د. محمد عبد الرءوف سليم

ظهر فى أواخر القرن الماضى اتجاه داخل الحركة الصهيونية الحديثة ينادى بضرورة التغلب على التضارب المتوقع بين المصالح العربية ومسألة تهويد فلسطين ، ومن هنا برزت فكرة التوفيق بين العرب واليهود .

وقد تبنى هذه الفكرة عديد من الشخصيات الصهيونية التى بادرت منذ أوائل القرن الحالى الى الاتصال بعدد من الزعماء العرب فى العاصمة العثمانية دون تحقيق شىء ملموس . ثم جرت محاولة فاشلة لعقد وفاق صهيونى عربى على هامش المؤتمر العربى الأول الذى عقد فى باريس عام ١٩١٤ .

وقد تزعم جودا ماجنس ـ أول رئيس للجامعة العبرية فى القدس ـ فريقا من الصهيونيين الذين تميزوا بالثقافة الغربية الليبرالية ، للعمل على تحقيق نوع من التقارب والتعاون بين العرب واليهود فى فلسطين . وأسفرت جهودهم عن تكوين جمعيات تضم المؤمنين بأفكارهم ، منها : جمعية قيد مزراحا أى الى الشرق ، وبريت شالوم أى عهد السلام ، وعصبة التقارب والتعاون بين العرب واليهود فى فلسطين ، وأخيرا جماعة ايحود أى الاتحاد .

وكان هؤلاء يؤمنون بأن التوفيق بين العــرب واليهود ، من الممكن أن يتحقق من خلال اقامة دولة ثنائية القوميــة فى فلسطين تضم العرب واليهود • ومع أن مبادىء ماجنس وفريقه كانت تقع فى تناقض مع المبادىء الصهيونيــة ، الا أن الصهيونيين ومــن ظاهرهم اتخذوا من جهود التقارب والتفاهم بين العــرب واليهود وسيلة لستــر مآربهم • فأجروا اتصــالات مع بعض من الزعماء العرب طوال فترة الانتداب البريطانى على فلسطين ، وبددوا آمال ماجنس وفريقه • فكيف كانت مفاهيمهم عن التوفيق بين العرب واليهود ؟

تحقق ناحــوم جولدمان ــ زعيم الراديكاليين الصهيونيين ــ من الأهمية الحيوية لايجاد نوع من التفاهم والتقارب بين العرب واليهود ، وكان السلام بين الطرفين بالنسبة اليه يمثــل أولوية تفضيلية تهيمن على عقله وفكره • ولما استشعر بعض الأمل فى الاتفاق مع العرب ، اقترح تأجيــل اعلان الدولة اليهودية ليتحقق مما اذا كان هناك وسيلة لتجنب الحرب •

لقد اعتقد أن الموقف العربى من الصهيونيــة ، يمثل عامل الحســم فى فلســطين ، وقال انه يرى أن تصريح بالفور عربى ، يفضل تصريح بالفور البريطانى عشرات المرات من حيث القيمة • حقيقة أن جولدمان لم يتطرق اليه الشك فى الرغبة البريطانيــة الصادقة فى تنفيذ ما جاء فى تصريح بالفور ، ولكنه رأى أن العقبة الرئيسية تكمن فى معارضة العرب • وقال : « •• لا تدعونا نخدع أنفسنا ، بل دعونا نكون أمناء ، اننا لم نحقق نجاحا تجاه تعاملنا مع المعارضة العربية • لقد كان العرب أعداءنا ، واستمروا كذلك »•

واستخدم جولدمان عبارة « تصريح بالفور عربى » ، لجذب الانتباه الى أهمية الموقف العربى بالنسبة للصهيونية • ولكن ربما

كانت هناك أهمية أخرى تفوق تلك التى تحقق منها جولدمان ٠ لقد كان للعرب مصلحة فى المساعدات المالية والتقنية والسياسية التى يمكن أن يقدمها اليهود لهم ٠ ولم يعارضوا الهجرة اليهودية ــ كأساس لاحياء روحي وثقافي ، طالما أنها لن تؤدى الى اقامة وحدة ذات سيادة سياسية منفصلة في بلادهم ٠ ولذلك فقد استنتج جولدمان أن الصهيونيين يتجنبون الحقيقة بتجنبهم مسألة العلاقات مع العرب ، وارتياد طرق جانبية ٠ وكان يؤمن بامكان التوصل الى حل مع العرب فقط بالوسائل غير الدبلوماسية ، والدخول فى اتصال مباشر مع عرب فلسطين ، لمناقشة أسس ايجاد علاقات تقوم على المودة وحسن الجوار والتعايش السلمى بين الطرفين ٠

وكان آحاد هاعام قد أنذر وايزمان منذ عام ١٨٩١ ، بخطورة المقاومة العربية المتوقعة لهجرة يهودية الى فلسطين بهدف استيطانها ٠ ولم يكن لدى آحاد هاعام حلول لهذه المسألة ، ولكنه حث على التعامل معها بجدية ٠ ولكى يقلل آحاد هاعام من حجم الصراع الذى توقعه ، اقترح سلوكا عقلانيا ازاء هذه المسألة ، ومعالجتها فى وقت مبكر ، واحترام عادات العرب وثقافتهم ٠

غير أن وايزمان أخذ بنصيحة آحاد هاعام فى علاقاته مع كل العرب ماعدا الفلسطينيين منهم ٠ ومن المحتمل أن يكون وايزمان قد جهل الدور الذى أداه الفلسطينيون فى الحركة العربية الحديثة منذ نشأتها ، ومن هنا استنكر أن يكون لديهم طموح نحو مستقبل سياسى مستقل ، على أساس أنهم وجدوا أنفسهم جزءا فى تكوين عربى كبير ، فعمل على تجاهل استمرارية كينونتهم القومية ٠ لقد كان رجال الحركة العربية يرون أن فلسطين هى الجزء الجنوبى من سوريا ، ولكن ذلك لم يكن يعنى لدى وايزمان أن ينظر عرب فلسطين لأنفسهم على أنهم سوريون ــ ينتمون للقومية العربية ،

وادعى أنه ساد بينهم حس وطنى « غامض » ، أساسه الارتباط بالمصير الجماعى العربى · وذهب وايزمان الى أن انخراط سوريا الجنوبية فى تحركات الفكرة العربية العامة ، مجرد وسيلة للحفاظ على الهوية الفلسطينية · ودليله على ذلك ، أن عرب فلسطين ، وقد كان عددهم لا يزيد عن نصف مليون نسمة قبل الحرب العالمية الأولى ، شعروا بالعجز عن مواجهة يهود العالم الذين زاد عددهم وقتئذ عن عشرين ضعف عدد الفلسطينيين ، ويتحكمون فى مصادر مالية كثيفة ، ولهم نفوذ دولى ·

وكان ديفيد بن جوريون يرى أن العرب جميعا ، فلسطينيين وغير فلسطينيين يشكلون عاملا ثانويا ضعيفا ، وأقل أهمية اذا قورن بالقوى الغربية التى تحتفظ بمصالح لها فى المنطقة العربية· والى جانب ذلك فقد شارك فى آراء وايزمان حول التعامل مع العالم العربى كبديل ، فى مجال الاعتراف بالفلسطينيين ككينونة قومية· وقد اتبع بن جوريون نفس الخط الذى اتبعه وايزمان عندما أقر بأنه ليس هناك صراع بين القوميتين اليهودية والفلسطينية لأن « الأمة اليهودية » ليست فى فلسطين ، كما أن الفلسطيين لا يكونون أمة · ورأى ـ مثلما كان وايزمان يرى ـ أن تسوية المشكلة بين الفلسطينيين والسوريين لا تكمن فى نصوص اتفاقية تعقد مع العرب ، ولكن تلك التسوية تتحقق فى بيئة من الاتفاق مع فيدرالية عربية ، القائم على المساعدة المالية والتقنية التى يقدمها اليهود للعرب ، وتدخل فلسطين اليهودية عضوا فى هذه الفيدرالية العربيــــة ·

كذلك رفض بن جوريون ، مثله فى هذا مثــــل وايزمان ، الاعتراف بالفلسطينيين كحزب أكبر فى الصراع العربى اليهودى · لقد نظر الى المشكلة على أنها مواجهة بين الأمة اليهودية التى كان

اليشوف جزءا منها ، والأمة العربية التى تنتشر على مساحة من الأرض تمتـد بين المحيطين الأطلنطى والهندى • ولم تكن الأمانى الوطنية لدى كل من الطرفين ــ فى رأيه ــ غير قابلة للامتزاج فى خليط متجانس ، بل رأى أن جمع الأمة اليهودية فى جزء ضيق من الأرض العربية (فلسطين) لن يعترض سبيل الوحدة العربية ، فى دولة ذات سيادة خاصة بالعرب • وأوضح هذا المفهـوم فى حـديث له مع فؤاد بك حمزة فى ابريـل عام ١٩٣٧ ، فقـال :

« ••• ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لن تلحق الضرر بوضـع العرب الذين يعيشون فى أرض اسرائيل سياسيا أو اجتماعيا ، ذلك لأن هؤلاء يكونون جزءا صغيرا فقط من مجتمع عربى كبير • كما أن النظر الى مشاكل عرب فلسطين فى اطـار الوطن العربى الكبير يجعلها مشاكل خاصة بقطعة من الأرض تقل عن اثنين فى المائة من اجمالى الأراضي التى يشغلها العرب فى الشرق ، يعيش عليها ثلاثة فى المائة فقط من اجمالى عدد العرب فى العالم وليس هناك مجال لمقارنة قيمة أرض اسرائيل بالنسبة للعرب ، بأهميـة هذه الأرض بالنسبة للشعب اليهودى » • وقال لموسى العلمى :

« ••• لو أننا أقمنا تحالفا ، ووظفنا قوة العمـل ، والتنظيم ، والتقنية ، والمال ــ فى تنظيم اقتصاديات العرب ، لأمكن أن يتغير وضع العرب اقتصاديا وثقافيا بشكل كلى •• يمكننا أن نسهم فى تنمية ليس فلسطين وشرق الأردن وحسب ، ولكن العراق أيضا • ذلك لأن البلاد تمتلك امكانات هائلة •• انها تمتلك كما هائلا من الأرض والمياه • ونحن مهتمون بالحد الأعلى لتنميتها فى كلا المجالين السياسى والاقتصادى» •ويرى كاتب صهيونى أن اعتقاد بن جوريون فى جدوى هذا المدخل للمسألة العربية كان عميقا لدرجة أنه قرز مقترحات مشابهة لشكيب أرسلان ، بتقديم مسـانـدة سـياسية لسوريا ، واستثمار رءوس أموال يهـودية فى العـراق والمملكة العربية السعودية واليمن •

غير أن بن جوريون لم يسلك طريق وايزمان ، اذ لم يحاول أن يستميل العرب أو أن يهدىء من مخاوفهم وانما فضل أن يعلن المبادىء والأهداف الصهيونية عليهم بشكل فظ · وفى خطاب القاه أمام اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية فى يونيــــو ١٩٣٦ قال : « ان العرب يرون في الخرافة القائلة بسيطرة اليهود على العالم حقيقة واقعة ·· وفيها يكمن منبع المخاوف التى سيطرت على عقول كل زعماء العرب · ورغم أن هذه المخاوف تسبب لنا كما هائلا من المتاعب ، فانها يمكن أن توظف كعامل تنبيه ، يحــــرك نحو التوصــــل الى اتفاق · ذلك لأننا لو تمكنا من تهدئة مخاوفهــــم من خلال ترتيبات معينة فان قبولهم باتفاق دائم لن يكون مشكلة ، ويحتوى هذا الاتفاق على حماية لنا ، الى جانب أنه يقلل الخطر بالنسبة اليهم ، كما تتصوره عقولهم ، رغم أن هذا الخطر لا يستمر كحقيقة ، أو ربما كان أقل كثيرا مما يتصورونه » ·

أخذ بن جوريون المبادرة فى أوائل الثلاثينيات ، وعقد عدة اجتماعات مع عدد من الزعماء العرب · وكانت روح من الثقة بالنفس قد سيطرت على السياسة الصهيونية فى ذلك الوقت ، مع اتجاه نحو الاسراع فى تنفيذ الأهداف الصهيونية · وكانت فكرة العروبة تشكل علامة على الحياة السياسية العربية فى فلسطين وســـوريا والعراق · وقد اقترب بن جوريون من زعماء عرف معروفين بآرائهم المؤيدة للفكرة العربية ، وكان يأمل فى كسب اعترافهم بشرعية الأهداف الصهيونية ، فى مقابل المساعدة على تحقيق الوحدة العربية فى المجالات السياسية والاقتصادية · لقد طالب بن جوريون العرب بأكثر مما طالبهم به البريطانيون : التخلى عن حقوقهم السياسية والوطنية فى فلسطين · لقد وعد الانتداب بوطن قومى لليهود بينما طالب بن جوريون بدولة ذات سيادة تمتـــد حدودها على أراضى فلسطين وشرق الأردن ·· وقال : « لقد حضرنا الى هنا وســـوف

نستمر سواء تفاهم العرب معنا أم لم يتفاهموا » . ولما سأله جورج أنطونيوس عما اذا كان اليهود على استعداد لتعديل هدفهم لو حدثت استحالة للتوفيق بين أمانى كلا الجانبين العربى والصهيونى ، فشل بن جوريون فى تقديم اجابة .

لقد كانت أطماع بن جوريون فى الأرض العربية كبيرة ، وكثيرا ما ذكر من تحدثوا اليه من العرب بالحدود التاريخية لأرض اسرائيل . وكان يقتبس من التوراة لكى يبرهن على أن اليهود استقروا على كلتا ضفتى الأردن . ولم يكن غريبا أن يطالب فى محادثاته مع موسى العلمى باستيطان يهودى لا يعوقه عائق فى شرق الأردن كثمن للتسوية مع العرب ، رغم أن هذا الأمر استثنى فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ الذى لم تعترض عليه المنظمة الصهيونية العالمية وقت اعلانه .

غير أن تلك المحادثات التى أجراها بن جوريون بين عامى ١٩٣٤ — ١٩٣٦ مع بعض الزعماء العرب ومنهم عونى عبد الهادى وموسى العلمى وجورج أنطونيوس وشكيب أرسلان أذهلت العرب وأخافتهم ، وسببت لهم حزنا . لقد تأكدت لهم الشكوك التى سبق أن ساورتهم فى أن تلك البيانات التى عمد الزعماء الصهيونيون الى اذاعتها كانت غير صحيحة . ذلك لأن عروض بن جوريون كانت تقتضى قبولهم بدولة يهودية فى كل فلسطين وشرق الأردن عن طريق الاحلال السكانى وتوطين يهودى فى سوريا والعراق ، مقابل المساندة الصهيونية فى بناء فيدرالية عربية تضم فلسطين ، بينما يعلن الصهيونيون غير ذلك . وتفجرت ردود الفعل الحزينة فى العديد من مراكز النشاط السياسى العربى ، من خلال الفارق بين النغمة التوفيقية التى عزف عليها وايزمان ، ومدخل بن جوريون المولع بالقتال ، وكذلك من خلال التناقض الضارب بين أقوال بن جوريون الخاصة والبيانات الصهيونية العامة .

ولما فشلت محادثات بن جوريون وغيره من الزعماء الصهيونيين مع العرب ، وقامت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ ، وأعلنت خطـة التقسيم الواردة فى تقـــرير لجنة بيل ، اختلف الزعماء الصهيونيون حول قبول الفكرة أو رفضها وفى مؤتمرهم الصهيونى العالمى العشرين (زيوريخ ١٩٣٧) ، خيرهم وايزمان بين ابقاء الحال اليهودى على ما كان عليـــه وقتئذ وبين القبول بتحقيق الحـــلم الصهيونى بقيام دولة على جزء من أرض فلسطين تكون منطلقـــا لتوسعات صهيونيـة مستقبلية • ومارس ضـــغوطا هائلة على المؤتمرين حتى وافقت أغلبيتهم على قبول مبدأ التقسيم مع تعديل فى حدود الدولة اليهودية ، بحيث تفى بمتطلبات الهجرة اليهودية الى فلسطين وقتئذ ، وحتى لا تضيع الفرصة التى أتاحهـــا لهم البريطانيون • وتركوا الحديث عن مبدأ الاحلال السكانى ، الى اشاعة مبدأ التكافؤ فى الحقوق بين سكان فلسطين ، عرب ويهود بغض النظر عن أن اليهود يكونون أقلية •

وكان موشى شاريت مقتنعا بالاتفاق مع العرب القائم على مبدأ التكافوء ، ليس لأنه كان يعتقد فى أن الاتفاق هو الحل ، ولكن لأنه كان يأمل فى أن يسمح هذا الاتفاق باســـتمرارية الهجـــرة اليهودية الى فلسطين • ذلك لأنه كان يرى أن المصـــير الصهيونى لن تصممه الصيغ السياســية ، ولكن يصممه عدد اليهـــود فى فلسطين • لقد كان يعتقد ــ مثله فى هذا مثل بن جوريون ــ أن قوة اليهود يمكن أن تقدم حلا للمشكلة مع العـــرب • وقال : « ••• انى لا أعتقد أننا سوف نتوصل الى اتفاق دائم مع العرب حتى تنمو حركتنا • غير أنى أثق أن الوقت سوف يأتى عنـــدما نكون أقوى ، وسوف نحقق تحالفا راسخا مع بريطانيا العظمى كقوة تتفق مع قوة ، وسوف ننجز اتفاقا مع العرب كقوة تتفق مع قوة • الشرط المسبق هو ألا ينظر العرب الينا على أننا يحتمل أن نكون

أقوياء ، ولكن على أننا أقوياء بالفعل » . لقد شارك شاريت خطط بن جوريون في اقترابه من الاستراتيجية الصهيونية ، وشاركه الاعتقاد في أن خلق أمر واقع ديمغرافي واقتصادي وعسكري سريع يجب أن يكون الهدف المركزي والمنيع للاستراتيجية الصهيونية .

وكان ارتباط الوجود اليهودي في فلسطين بالقوة العسكرية قد وضح مع مولد الحركة الصهيونية الحديثة . وكان في تصور هرتسل أن الوطن القومي اليهودي يحتاج الى جيش يهودي صغير مزود بالأسلحة ، كما وردت في يومياته اشارات عديدة الى وجوب انشاء تشكيلات عسكرية يهودية .

وفي عام ١٩٠٧ ، تكونت منظمة هاشومر ـ الحارس الصغير ـ كأول تشكيل عسكري يهودي أنشىء في العصر الحديث للذود عن « حق اليهود المطلق في العيش في فلسطين » . ثم نجح جابوتنسكي في تكوين كتائب أبناء صهيون ـ فرقة راكبي البغال ، عام ١٩١٥ وهي التي حلت في العام التالي . بعد ذلك نشطت دعوة جابوتنسكي الى تجميع الشبان اليهود العاملين في جيوش الامبراطورية البريطانية في جيش واحد يحمل الراية ذات النجمة السداسية ، ولكن السلطات البريطانية وافقت على تكوين كتيبتين فقط من حملة البنادق المتطوعين وليس النظاميين ، انضمت اليهما كتيبة ثالثة كونها بن جوريون من يهود أمريكا ، وشاركت الكتائب الثلاث جانبيا في المرحلة الأخيرة من تقدم جيوش اللنبي نحو القدس عام ١٩١٨ ، ثم انحلت بعد غزو فلسطين .

وفي ديسمبر عام ١٩١٩ تمكن جابوتنسكي من تجميع بقايا عناصر هذه الكتائب وكون ما سمي بقوات الدفاع اليهودي أو الهجاناه ، التي تقلد بن جوريون رياستها فيما بعد بحكم عمله

كمسئول عن الدفاع فى الوكالة اليهـــودية . غير أن جابوتنسكى انتقد انقياد الهاجاناه لليسار الصهيونى بقيادة بن جوريون ، وعمد الى تكوين منظمة البيتار ، كتنظيم شبابى تصحيحى يتولى اعداد أعضائه للحياة فى فلسطين بالتدريب على العمل الزراعى والعمل العســـكرى . وتـكونت منظمة « الارجـــون زفاى لئومى » أى « المنظمة العسكرية القومية » ، ثم تكونت منظمــة شترن . وفى النهاية انضمت كوادر هذه التشكيلات الى الهاجاناه لتكوين ما سمى بجيش الدفاع الاسرائيلى الذى أصبح بالقوة التى هى عليها الآن .

وكان جابوتنسكى شديد الاهتمام بتكوين قوة عســـكرية يهودية لتوظيفها فى فرض مفهومه عن الاحـــلال السكانى واقامة الدولة اليهودية فى فلسطين . ذلك أن جابوتنسكى كان يرى اجراء نقل سكانى بحيث ينقل كل عرب فلسطين وشرق الأردن الى البلاد العربية المجاورة ، وفى المقابل ، ينقل يهود البـــلاد العربيـــة الى فلسطين وشرق الأردن حيث تتكون دولة يهودية محضة .

فشل جابوتنسكى فى أن يحشد خلف قيادته سكان اليشوف والشعب اليهودى خـــارج فلسطين ، اذ رفضت معظـــم أفـكاره السياسية والعسكرية ، غير أنه ترك علامة يتعذر محوها على الموقف الصهيونى مـــن عـــرب فلسطين . لقـــد زرع جابوتنســـكى فى السيكولوجية اليهودية صورة للعربى كقاتل ، كما أرسى قواعد مبدأ عدم تجنب الصراع واستحالة حل مشـــكلة الوجود العـــربى فى فلسطين الا من خلال القوة العسكرية فقط .

من هذا العرض يتضح أن الصهيونيين وهـــم الذين أضمروا العداء للمنادين بالتوفيق بين العرب واليهود ، سعوا نحو استغلال جهودهم للصالح الصهيونى ، دون أن يتحقق شىء من التوفيق . لقد ساروا جانبيا مع أنصار التوفيق ، واستجابوا ظاهريا لنداءاتهم،

وجرت لقاءات عربية بزعماء الوكالة اليهودية ، ثم تخلى الصهيونيون عن الفكرة تمسكا بالمبادىء الأساسية الصهيونية • وقد سجل كالفرسكى زعيم بريت شالوم والذى لعب دورا مهما فى محاولات اجراء مفاوضات عربية يهودية ، أن اليهود مدوا أيديهم بالسلام ، ثم استعادوها — فورا — عندما أعلن الطرف الآخر عن استعداده لقبولها • ويستطرد كالفرسكى متناولا رد الفعل بين العرب فيقول : « ••• ولم تجد هذه اللعبة الخطيرة فى زيادة احترامنا فى أعينهم كأشخاص صادقين ، وانما اتهمونا بأننا نسير على سياسة النفاق • فمن ناحية نتظاهر أننا نريد الاتفاق ، ومن ناحية أخرى نريد أن نكسب وقتا • وهذا الاتهام له أساس » •

دكتور / محمد عبد الرءوف سليم

على هامش مفاوضات صدقى ـ بيفن
مهمة الياهو ساسـون فى القـاهرة ١٩٤٦

بقلـــم

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

شهد عام ١٩٤٦ المفاوضات المصرية ـ البريطانية التى عرفت باسم مفاوضات صدقى ـ بيفن والتى استهدفت تعديل بنود معاهدة التحالف المعقودة بين البلدين فى عام ١٩٣٦ أو أن تستبدل بهـا معاهدة جديدة تتمشى مع مطالب مصر القومية الخاصة بالجلاء ووحدة وادى النيل . وقد أكدت الحكومة البريطانية رغبتها فى تدعيم تحالفهـــا مع مصر واقترحت ان تنسحب من الأراضى المصرية كل القوات البريطانية وأن تحدد بالمفاوضة أدوار وتاريخ اجراء هـذا السحب والاجراءات التى تقوم بها الحكومة المصرية وتجعل فى حيز الامكان تبادل المســاعدة فى حالة الحرب والتهديد بخطر الحرب الداهم طبقا للمحالفة وقد أبدت الحكومة البريطانية قبولها لمبدأ الجلاء عن مصر وقنـــاة الســـويس بحيث يتم الجلاء عن القاهرة والاسكندرية عام ١٩٤٧ وعن منطقة قناة السويس فى عام ١٩٤٩ .

وفى ٧ مايو ١٩٤٦ تقدم وفد المفاوضات المصرى بالمقترحات الآتيــة : ـ

١ ـ أن تكون المعاهدة اتفاقا بين دولتين متساويتين تماما فى السيادة .

٢ ـ ان هدف المعاهدة الجديدة هو التعاون المشترك ضد كل اعتداء مسلح الى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لصون السلام والأمن الدوليين .

٣ ـ أن تتجنب المعاهدة كل نص يمكن أن يؤول على انه يدل على نية بريطانيا فى التدخل فى شئون مصر .

٤ ـ تتكفل مصر وحدها بقواعد ادارية تشمل مطارات ومنشآت للدفاع البحرى والبرى والجوى .

٥ ـ يوافق الوفد المصرى على تعاون وثيق بين هيئتى أركان حرب الدولتين بشرط الا تتضمن المعاهدة أية اشارة الى استخدام الحكومة لخبراء أو فنيين فى الشئون العسكرية من البريطانيين .

وما لبث ان نشب الخلاف بين الطرفين نتيجة لاصرار الحكومة المصرية على الا تحتوى المعاهدة الجديدة على أى شروط من شأنها أن تجعل الدفاع المشترك بين البلدين يسرى على الأحوال السابقة على حالة خطر الحرب أو الحرب ذاتها ، فى حين ذهبت بريطانيا الى أن من المتعين فى ضوء الحرب الخاطفة الحديثة وضرورة اقامة قواعد فى مصر ، التوصل الى اقرار هذه المسألة قبل عقد أى معاهدة ، ومن ثم اصرارها على ضرورة قيام دفاع مشترك يشمل بلدان الشرق الأوسط التى تهددها ظروف الحرب الباردة أكثر من غيرها ـ أى ايران وتركيا واليونان ، بحيث اذا حدث أى عدوان على الشرق الأوسط تتحول مصر بصورة آلية الى قاعدة حربية (١) .

والخلاف بين وجهتى النظر المصرية والبريطانية هو الذى أدى الى تعثر المفاوضات بين الطرفين . وفى تلك الأثناء سعت الدوائر

الصهيونية الى استغلال الموقف للاصطياد فى الماء العكر - فاوفدت الوكالة اليهودية الى مصر الياهو ساسون رئيس القسم الشرقى بها على أمل أن يعرض على صدقى مساعدة الدوائر الصهيونية لمصر فيما يتعلق بالجلاء فى مقابل أن يسعى صدقى الى اقناع الجامعة العربية بقبول تقسيم فلسطين وهو التقسيم الذى كان صدقى ذاته من أنصاره - فقد أبدى استعداده لمساندة بريطانيا بصدد فلسطين فى مقابل أن تقدم له تنازلات فى مفاوضات المعاهدة ، بحيث توقعت الدوائر البريطانية أن يحتمل ان يستطيع ان يضم الى صفه العدد الكافى من أعضاء الجامعة العربية لكى يساندوه فى التوصل الى حل وسط على أساس التقسيم (٢) ٠ ورغم ان صدقى كان موقنا من رفض عرب فلسطين للتقسيم ، فانه كان يرى ان عدم التوصل الى حل من شأنه ان يجعل من فلسطين بؤرة لانتشار الشيوعية ، وهو ما يمكن تلافيه فى حالة اقرار السلام ٠ على ان صدقى لم يكن يتمتع فى الدوائر العربية بالنفوذ الذى يؤهله لاقناع الدول العربية بالموافقة على التقسيم فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا لا تعرض عليه من التنازلات ما يجعله يساند موقفها من المشكلة الفلسطينية ٠

ويتضح من الوثائق التى سنوردها فيما يلى ان (٣) ساسون قد التقى باسماعيل صدقى وببعض المسئولين المصريين وحاول اقناعهم بأفضلية التقسيم على الحلول الأخرى ٠ فقد ذهب الى انه فى حالة قبول الجامعة العربية لأى الحلول ، ويفضل التقسيم ، يتعهد اليهود بأن يقدموا للعرب ما يشاءون من الضمانات التى تقنعهم بأنهم ليسوا توسعيين ٠ كما وعد صدقى بأن تسعى الدوائر اليهودية الى أن تلقى بثقلها داخل حزب العمال وخارجه لصالح مصر ، ملوحين لبريطانيا بقاعدة فى فلسطين من شأنها ان تعوضها عن أى تنازلات تقدمها بصدد المعاهدة المرجوة مع مصر ، وذلك على اعتبار انها على أتم الاستعداد لأن تقدم للحكومة البريطانية أى تسهيلات فى

فلسطين ، خاصة وان هذه الدوائر كانت على قناعة بأن بقاء القوات البريطانية فى فلسطين أمر لازم لهم (٤) ٠

وفى الوقت الذى كان فيه ساسون يتقدم بعروضه للمسئولين المصريين نجده يتقدم بعروض مماثلة الى مسئولين عرب آخرين (٥) ــ الا أن مساعيه أخفقت نتيجة للتضـــخم القــومى العام فى البلدان العربية ، فى حين أن وزير الخارجية البريطانى ارنست بيفن رفض أن يجعل كلا من المسألتين المصرية والفلسطينية مجالا للمساومة (٦) وتمسك بموقفه المبدئى الذى أدى الى فشل مفاوضات صدقى بيفن ٠

الملحق (١)

رسالة من رونالد كامبل R. Campbell سفير بريطانيا فى القاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية بلندن بتاريخ ٤٦/٤/٢٥

تناول صدقى باشا المسألة الفلسطينية معى اليوم ... وصرح بأنها مثار لقلقه باعتبارها ذات تأثير مباشر على مصر ففلسطين مجاورة لمصر ، وكان (صدقى) يرغب فى تعزيز التجارة معها — ولولا هذه المقاطعة الى حد ما ، فان قدرته على تحقيق ذلك محدودة . ولما كان موقنا من شدة رغبة حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى التوصل الى حل نهائى ، فانه يشاركها هذه الرغبة . وقد عبر عن قناعته المستمرة بأن الحل الوحيد هو التقسيم — وفى معرض تعليقه على اشارتى الى رد الفعل السيىء الذى لقيته هذه الفكرة فى الماضى ذهب الى ان عرب فلسطين سيقبلون به وسيجدون فى المستقبل القريب ان بامكانهم العيش فى سلام مع القسم اليهودى وانهم لا شك سيعبرون عن رغبتهم فى الاتصال بهم ، وأبدى من جديد رغبته الشديدة فى التوصل الى حل نهائى ، مضيفا ان فلسطين ستظل تشكل بؤرة خطرة للفيروس الشيوعى طالما بقيت المسألة دون حل . ورغم اعتقاده بأن الحل لن ينهى التجارب الشيوعية اليهودية التى تجرى فى فلسطين فانه يعتقد أن الحلول المفضية الى السلام الداخلى ستمد من احتمال تفشى الفيروس . وقد تكلم صدقى باعجاب عن ارتفاع مستوى المعيشة والتعليم لدى الجماعات اليهودية فى فلسطين وعن نوعية العلماء اليهود الموجودين فيها ، وذهب الى انه يود لو

أمكنه الاستعانة بهم فى تعليم المصريين فى أكثر من مجال ولو ان تحقيق ذلك سيظل فى حيز الاستحالة طالما بقيت المشكلة الفلسطينية دون حل ٠

(وفى تعليق منفصل عن هذه المحادثة يعيد كامبل الى الأذهان ان صدقى لا يحس بما يعتمل فى الأفق العربى وانه على صلة وثيقة بالمصالح اليهودية فى مجال الأعمال) ٠

الملحق (٢)

مذكرة (مؤشر عليها « سرى جدا ») بتاريخ ١٩٤٦/٨/١٣ من السفارة البريطانية بالقاهرة الى وزارة الخارجية بلنـــدن

صرح لى مصدر بوليسى مصرى على اتصال بالوكالة اليهودية بأن اليهــود أوضـــحوا له أنهم يعتقدون أن المشـــكلتين المصرية والفلسطينية شديدتا الارتباط ، وبالتالى فاذا ما كان المصريون جادين فى محاولة اخراجنا من مصر فعليهم أن يسعوا الى أن يسود السلام فلسطين مما يتيح لنا الانتقال اليها ٠

وقد جرت محادثة بين (هذا) المصدر وبين عزام الذى ذهب الى أن حل المسألة الفلسطينية قد يتعثر ما لم يتسن التخلص من المتطرفين فى كلا الجانبين ٠ ورغم ان (عزام) لا يعترض على قيام الوطن القومى اليهودى الا أنه لن يوافق على قيـام دولة يهودية وسيبذل كل ما فى وســعه ـ بالتعاون مع بلدان عربية أخرى ـ للتوصل الى اتفاق بصدد الوطن القومى اليهودى ، وان يكن مركزه صعبا فى مواجهة الدول العربية على اعتبار انه لا يمكنه تبنى حل لصالح مصر وحدها ، اذ من واجبه أن يمثل كل البلدان العربية ٠

على انه اذا ما خطا أحد المندوبين الخطوة الأولى فانه سيقدم لها مساندته التامة .

ومن الجدير بالذكر ان اليهود يعتقدون ان العراق وشرق الأردن سيقبلان بالتقسيم وانهما تقدما بمقترحات تنص أما على التقسيم أو على (قيام) دولة ذات قوميتين متساويتي العدد . وحين سئل المندوب اليهودى عن التقسيم صرح بأن بفلسطين الآن سبعمائة ألف يهودى وان تساوى أعداد كل من العرب واليهود يستدعى هجرة ثلاثمائة ألف يهودى .

وقد التقى المصدر البوليسى بصدقى وطلب منه الادلاء بوجهات نظره . ويدرك صدقى الصلة بين المسألتين الفلسطينية والمصرية ولو انه غير مستعد لاتخاذ أى خطوة قبل التأكد من اتجاهنا ومدى اعترافنا بالارتباط بين المسألتين ـ وبمعنى آخر فانه لا يرغب فى التدخل فى شئون فلسطين الا اذا حصل على مقابل فيما يتعلق بالمعاهدة . غدا من فلسطين عن طريق الجو الوسيط بين المصدر البوليسى وبين الوكالة اليهودية ، وهو الوسيط الذى صرح بأنه سيحمل مكتوبا ليس عليه أى توقيع ، وذلك رغم ما أكده المصدر من أن يحظى بمساندة شرتوك (٨) . وسيصل المصدر وممثل الوكالة اليهودية الى الاسكندرية غدا ... وهناك ستتصلان من جديد بصدقى . كما سيتصل بى المصدر وقد أقابل ممثل اليهود الذى أعرفه بالفعل ....

والمصدر حريص على ألا يعلم صدقى أنه قد تم ابلاغنا فعلا وذلك باستثناء امكاننا الحصول على الخبر من اليهود (وهناك تعليق فى أسفل هذه المكاتبة يشير الى أن المصدر البوليسى صرح بأن اليهود سيتفاوضون مع المفتى (٩) اذا ما اقتضى الأمر ذلك) .

الملحق (٣)

مكاتبة بتاريخ ١٩٤٦/٨/١٤ عليها تاشيرة من السفير البريطانى فى القــاهرة

(« سير رونالد كامبل » بتاريخ ١٩٤٦/٨/٢٠)

حاول شرتوك باستمرار ان يغرى دوائر مصرية بالعمل بالشكل الذى يعود بالفائدة على الصهيونيــة واننى أشك فى كون هــذه المقترحات قد صيغت نهائيا بالشكل الذى سبقت الاشــارة اليه ، و (لهذا) فعلينا انتظار (وصول) مزيد من المعلومات ٠

ويصعب اعتقاد ان العرب سيكونون على استعداد لبذل مثل هذه التضحية من أجل مساعدة المصريين ٠ ويبدو أن زعم اليهود بأن العراق والأردن سيقبلان بالتقسيم لا يستند الى أى أساس فالعراق كان باستمرار أكثر تشددا من غيره فيما يتعلق بفلسطين ٠

الملحق (٤)

فحوى مذكرة يقال انها صدرت من دوائر الوكالة اليهودية بالقدس تحمل هذه المكاتبة تأشيرة « سرى جدا » وبها ملحوظة يذهب كاتبها ــ وهو غير واضح التوقيع الى أن البريجادير كلايتون قــد سلمها اليه لكى يقوم بتوصيلها وتاريخ التأشيرة ١٩٤٦/٨/١٥ ٠

تشــير المذكرة الى أن اليهــود كانوا يهدفون الى العمل على استمرار الهجرة وتطوير الوطن القومى ويبدو أن اليهود كانوا على يقين من استحالة تحقيق مثلهم الأعلى الخاص باقامة دولة يهودية تشمل كل فلسطين ، ومن ثم سعيهم الى التوصل الى حل وسط يضمن تحقيق أهدافهم الأساسية ٠

أما أهم مطالب العرب فهى كالآتى : (أ) ضمان الأغلبية العربية فى فلسطين فى تقرير مصيرهم وفتح الأبواب أمام مواجعهم وآمالهم (ب) قصر المخططات الصهيونية على منطقة محددة بهدف الحيلولة دون حدوث مزيد من التوسع ودون ان يصبح اليهود عنصر قلق فى العالم العربى ·

ولن تتوقف الهجرة اليهودية ــ فاليهود الآن يشكلون عنصرا يسعى الى التوسع ، وبالتالى فانه كفيل بأن يصبح مصدر قلق · أما اذا ما اندمجوا فى العالم العربى فقد يشكلون فيه عنصرا نافعا · وسيكون عليهم أن يعملوا الكثير لاستيعاب الهجرات اليهودية وتطوير جماعاتهم الحالية · وهم يسعون الى حل سلمى ، اذ بدونه سيضطرون الى أن ينفقوا على القوات المسلحة الأموال المخصصة للتطوير ·

واليهود شعب زراعى الى حد كبير ، وبالتالى فانهم لن ينافسوا البلدان العربية ، بل سيكون عليهم أن يشتروا منها الكثير ــ وحتى الآن كان الميزان التجارى مع البلدان العربية لغير صالح اليهود باستمرار ومن الممكن توقع استمرار ذلك · أما صناعتهم فهى متخصصة الى حد كبير ، وبالتالى لن تنافس الصناعات العربية اذا ما تطورت هذه الأخيرة ·

ولا يمكن تحقيق طلب مصر الخاص بالجلاء التام عن أراضيها وعن منطقة قناة السويس الا اذا أمكن العثور على قاعدة بديلة تستقر فيها القوات البريطانية ولا يمكن العثور على هذه القاعدة الا فى فلسطين ، ولن تكون ذات جدوى فى فلسطين المسألة · لهذا لن تتحقق مصلحة مصر الا بالتوصل الى حل وسط سلمى فى فلسطين ، ولن يتم ذلك الا على أساس نوع من العزل Segregation وسيكون للرأى العام اليهودى ، وبخاصة فى أمريكا ، وزن كبير بصدد التوصل الى حل للمسألة المصرية ــ فاذا ما أمكن حل كل

هذه المسألة والمسألة الفلسطينية فسيشكل اليهود عنصرا صديقـا بدل كونه معاديا ٠ وبامكانى أن أقوم بدور الوسيط والدلال الأمين فيما بين المصالح البريطانية والمصالح المصرية ، وبالامكان تفادى حدوث صدام بين مصالح الطرفين متى ما تم العثور على قاعدة للقوات البريطانية فى فلسطين ٠

ان الموقف الدولى خطير ويشكل اليهود قوة هامة سواء فى فلسطين أو فى العالم ٠ ومن الأهمية بمكان التوصل الى أوضاع سلمية فى فلسطين فى اطار الشرق الأوسط وبمساندة من الرأى العام والمصالح اليهودية فى شتى أنحاء العالم ٠

الملحق (٥)

الرسالة رقم ٩٧٥ المؤرخة ١٩٤٦/٨/٢٩ والمرسلة من رونالد كامبل الى وزارة الخارجية بلندن ـ قدم المصدر البوليسى المصرى المتصل بالوكالة اليهودية التقرير التالى الى البريجادير كلايتون :

أفهمه اليهود أن المشكلتين المصرية والفلسطينية مرتبطتـان تماما وأن المصريين اذا ما سعوا حقيقة الى اخراجنا من مصر فعليهم التأكد من احلال السلام فى فلسطين لكى تنتقل اليها ٠ كما ذكر المصدر البوليسى انه تكلم مع عزام باشا الذى ذهب الى انه لا يمكن التوصل الى حل الا اذا تم التخلص من المتطرفين من كلا الجانبين ولا يعترض عزام على الوطن القومى اليهودى ولكنه يعترض على اقامة رحلة يهودية ٠ وسيعمل على التوصـــل الى وفاق مع بلدان عربية أخرى بخصوص الوطن القومى اليهودى ، وان يكن موقفه صعبا ازاء الدول العربية الأخرى بحكم انه لم يتمكن من الحث على حل المسألة المصرية وحدها ، بمعنى تسهيل جلائنا عن مصر ـ اذ من واجبه ان يكون ممثلا للبلدان العربية كلها ٠ ولكن اذا ما خطا أحد المندوبين

العرب الخطوة الأولى فانه سيبذل أقصى ما يمكنه المساعدة وقد ذكر المصـــدر البوليسى ان اليهود يعتقدون ان العراق وشرق الأردن سيقبلان بالتقسيم وان اليهود قد اقترحوا اما التقسيم أو اقامة دولة ذات قوميتين تتساوى أعداد سكانها وحين سأل المصدر البوليسى هذا ممثل اليهود عن الهجرة أشار هـذا الأخير الى أنه يوجد فى فلسطين الآن ٧٠٠ر٠٠٠ يهودى ــ وحتى يتســـاوى عدد كل من العرب واليهـود سـيحتاج الأمر الى هجـرة ٣٠٠ر٠٠٠ يهـودى . وللمحافظة على توازن السكان يستلزم الأمر استمرار الهجرة لمواجهة زيادة معدل السكان العرب .

وقد أشار المصدر البوليسى الى أنه قابل صدقى باشا وطلب منه الادلاء بوجهات نظره . وطبقا لما ذكره هذا المصدر البوليسى كان صدقى يدرك الارتباط بين المسألتين المصرية والفلسطينية وان لم يبد استعداده لاتخاذ أى خطوات قبل التعرف على اتجاهنا والتأكد من اقرارنا الارتباط بين المســـألتين ــ وبمعنى آخر فانه لم يبد رغبته فى التدخل فى شئون فلسطين قبل الحصول على مقابل خلال مفاوضات المعاهدة الانجليزية ــ المصرية .

وأضاف المصدر البوليسى (١٢) ان اليهود قد أبلغوه بأنهم سيجلسون اذا ما دعت الأمور حول مائدة مستديرة مع المفتى السابق . ثم قدم هذا المصدر البوليسى للبريجادير كلايتون الملخص الملحق لمذكرة يقال انها صدرت عن مندوب الوكالة اليهودية فى القدس وان المصدر البوليسى قدمها لصدقى فى ١٣ أغسطس مما نجد ملاحظته أن المذكرة تتضمن قبول اليهود للتقسيم ولكن ربمـا مع تحفظات تتعلق بتوفير حل نهائى حقيقى . كما تتضمن المذكرة عرضا محددا للمصريين بمساعدتهم فى قضيتهم اذا ما ساندوا القضية اليهودية فى الدوائر العربية .

وفى ١٩ أغسطس صرح المصدر البوليسى للبريجادير كلايتون بأنه قابل صدقى باشا مرة أخرى وبأن صـدقى قد تناقش مع (وزير الخارجية المصرى أحمـد) لطفى السيد باشـا ومع كامل عبد الرحيم بك وكيل وزارة الخارجية حول احتمال مباشرة الضغط فى الجامعة العربية بصدد فلسطين فى مقابل أن تقدم تنازلا بصدد مصر ٠٠٠ وطبقا لما ذكره المصدر البوليسى فان صدقى كان لا يزال شديد الرغبة فى معرفة ما اذا كانت خطة التنازلات البريطانية بصدد مصر فى مقابل أن تبذل مصر مساعدتها بصدد فلسـطين موضـعا لاهتمامنا على أن صدقى باشا لم يشأ اتخاذ المبادرة ، وأضاف المصدر أن الصهيونيين الموجودين فى لندن سيتصلون بحـكومة صاحب الجلالة ٠ وقد ثبتت صحة هذا الخبر بالذات على ضوء الاتصالات التى وردت فى برقيتك التى سأتولى الرد عليها ٠٠٠

وقد أخبر المصدر البوليسى المشار اليه البريجادير كلايتون بأن الوكالة اليهودية ذهبت الى أنه (كلايتون) وأربعة من العرب (هم عزام باشا والملك عبد الله ونورى السعيد وموسى العلمى) (١٣) يفضلون التقسيم ٠٠ وقد أبدى عزام باشا باستمرار اعتدالا غير متوقع بصدد فلسطين وصرح مرارا بأنه سيمضى الى آخر الشوط لحسم المشكلة الفلسطينية وان يكن قد أبدى معارضته للتقسيم أيا كان شكله ٠ ومن الصعب الجزم بامكان الاعتماد على ما يذكره المصدر البوليسى المشار اليه ـ فربما يكون قد اتفق مع الوكالة اليهودية على مساندة الحل القاضى بالتقسيم ولو أن رأى الوكالة اليهودية الخاص بالتقسيم مخالف لرأى حكومة صاحب الجلالة ـ ومن المعروف انه كان على اتصـال بالوكالة اليهودية فيما يتعلق بمنع النشـاطات الارهابية الصهيونية فى مصر ٠ وكما هو الحال بالنسبة الى أمثال هؤلاء العملاء فيحتمل انه يخلع شـكلا أكثر تحديدا على تصريحات أدلى له بهـا المصريون المشـار اليهم بشكل أكثر غموضا ٠ وعلى أية حـال فيبدو أن الوكالة اليهودية كانت تسعى الى حملنـا على

الاعتقاد بأنها على اتصال مباشر بالشخصيات المصرية فى الوقت الذى كانت فيه الاتصالات فى الواقع غير مباشرة وعن طريق وسـيط مصرى ٠

الملحق (٦)

برقية رقم ١٣٩٩ مؤرخة ١٩٤٦/٨/٢٩ من كامبل الى لندن (عليها تأشيرة « سرى جدا وهام »)

يبدو أن الوثيقة التى قدمها (ناحـوم) جولدمان (١٤) الى (هارولد) (١٥) بيلى قد استندت الى حد كبير الى نشاطات معينة قامت بها الوكالة اليهودية فى القاهرة ووصلت الى علمنا عن طريق الوسيط المستخدم وهو ضابط بوليسى مصرى كان لبعض الوقت على صلة بالوكالة اليهودية فيما يتعلق بمسائل الأمن المتصلة باليهود المقيمين فى مصر ٠

وقد ذهب ضابط البوليس المصرى الى أنه تحدثمع عزام الذى صرح بعدم امكان التوصل الى حل الا اذا تمت ازاحة المتطرفين من كلا الجانبين وعزام على استعداد للمطالبة بوفاق مع الدول العربية الأخرى بصـدد الوطن القومى وان لم يبد استعدادا لقبول قيام دولة يهودية على ان وضعه صعب ازاء الدول العربية الأخرى بحكم انه لا يمكنه أن يضغط فى سبيل حل لمصلحة مصر وحدها ، بمعنى تسهيل جلائنا عن مصر اذ عليه ان يمثل كل البلدان العربية ، ولكن اذا ما اتخذ مندوب عربى آخر الخطوة العملية فسيبذل أقصى ما فى وسعه من مساعدة ٠

وقد صرح المصـدر البوليسى بأنه قابل صـدقى مرتين فان صدقى ، رغم ادراكه للعلاقة بين المسألتين المصرية والفلسطينية ،

لا يود التدخل فى شئون فلسطين الا اذا أمكنه الحصول على مقابل بصدد مفاوضات المعاهدة الانجليزية المصرية وعلى حين ان صدقى أراد أن يتبين ما اذا كانت هذه المساومة تهمنا فانه لا يرغب فى اتخاذ المبادرة ٠ وعلى حين انه يوجد بعض التشابه بين القصة التى رواها جولدمان وبين تلك التى رواها المصدر البوليسى فان تقرير جولدمان يحملنا على الاعتقاد بأن ما يعزى الى المصريين قوله قد وجه الى ممثل للوكالة ، فى حين أن ما صرح به المصدر البوليسى لا يدل على ان المندوب المصرى كانت له علاقة مباشرة بعزام صدقى برغم ان من المحتمل أن تكون له مثل هذه الصلات بمصريين آخرين ٠

الملحق (٧)

مسودة البرقية رقم ١٤٠٨ المؤرخة ٣١ أغسطس ١٩٤٦ مؤشر عليها « سرى جدا »

فيما يلى ملخص للتقرير الذى قدمه المصدر البوليسى المشار اليه الى البريجادير كلايتون فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٦ : قابل المصدر البوليسى وساسون صدقى فى ٢٦ أغسطس وقد أشار ساسون الى أربعة مشروعات للتسوية المحتملة :

١ ـ الاتحاد الفدرالى ٠

٢ ـ وحدة فدرالية تضم دولتين احداهما يهودية والأخرى عربية مع قيام حكومة مركزية فى القدس ٠

٣ ـ دولة ذات قوميتين على أساس تساوى السكان ٠

٤ ـ التقسيم ٠

وقد أشار ساسون الى أن اليهود يفضلون التقسيم على اعتبار أنه يوفر احتمالا أكبر للتوصل الى حل نهائى ، وذلك على أساس

أن أيا من الحلول الأخرى لابـد أن يؤدى الى تجدد المتـاعب فى المستقبل القريب ٠

وقد استفسر صدقى عما اذا كان ساسون قد اتصل بعرب فلسطين وكان رد ساسون هو أن اليهود قد حاولوا ذلك دون أن يتوصـلوا الى أية نتيجة بحكم أن الزعماء الفلسطينيين يتمسكون بأفكار عنيفة ولأن مراكزهم تستلزم تصلبهم ٠ على أن ساسون ذهب الى أن اليهود سيقدمون أى ضمان يطالب به العرب لمواجهة التوسع اليهودى وذلك فى حالة قبول الجامعة العربيـة لأى الحلول التى سبقت الاشارة اليها ٠

واستطرد صدقى مصرحا بأنه كان يعتقد طيلة السنوات العشر الماضية بأن التقسيم هو الحل الوحيد وان يكن قد تساءل عما يمكن أن يقوم به اليهود لمساعدة مصر ، فرد ساسون بأن اليهود سيحشدون كل من هم على صلة بهم داخل حزب العمال وخارجه وبأنهم سيتصلون بالحكومة البريطانية ويلفتون نظرهـا الى أهمية وجود قاعدة فى فلسطين تعويضـا عن أى تنازلات تتقدم بهـا بصدد المعـاهدة الانجليزية ـ المصرية وبأن اليهود على استعداد لتقديم أى تسهيلات لحكومة صاحب الجلالة فى فلسطين وذلك على اعتبار ان الوجـود المستمر للقوات البريطانية فى فلسطين أمر لازم لها ٠ وفى النهاية صرح صدقى بأنه لن يتخذ أى خطوة الا اذا اتصلت به حكومة صاحب الجلالة ، ثم طلب من المصدر البوليسى وساسون أن يقابلا لطفى السيد وأكد على ضرورة بقاء هذه المحادثات فى حيز السرية التامة ٠

ولم يبد لطفى صراحة آراء شبيهة بما أبداه صدقى وأشار الى صعوبة التوفيق بين هذه الآراء وبين مقررات بلودان (١٦) ٠ وصرح عزام الذى حضر المقابلة مع لطفى بأنه لا يعترض على نوع ما من الوطن القومى وأعاد الى الأذهـان الرأى الذى طرق على شرتوك فى عام ١٩٣٩ بصدد اقامة مدينة فاتيكان لليهود فى فلسطين تساعد

اليهود على مواصلة الهجرة الى دولة فلسطينية بشرط ألا يشكلوا أغلبية ٠

وأبدى حافظ عفيفى الذى أتى بعد بدء المحادثة استعداده للموافقة على استمرار الهجرة اليهودية الى دولة فلسطينية وأدلى عزام بتصريح خاص بعد المقابلة فحواه أنه فى حالة استطاعة حكومة صاحب الجلالة حل المشكلة الليبية على أساس الاستقلال والوصاية المصرية وحسم المسألة المصرية وفق شروط تقبل بهـــا مصر فانه سيوافق حتى على التقسيم ٠

كما صرح المصدر البوليسى بأن ساسون قابل (الملك) عبد الله الذى أبدى استعداده لقبول التقسيم وأصدر تعليمات الى وفده بأن يتجنب معارضته اذا ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠ كما صرح ساسون وكان تعليق كلايتون على هذا التقرير كما يلى : « رغم ان المصدر البوليسى يذهب الى أن كلا من اليهود والمصريين لا يعلمون انه على اتصال بكلايتون فليس ثمة شك كبير فى أنه على اتصال به بموافقة الطرفين ان لم يكن بتعليمات منهما ٠ ومن الممكن أن يكون ما روى عن عزام مطابقا لما قيل عنه وذلك على اعتبار ان استقلال ليبيا هو الحلم الذى يراوده وسيحمله على الموافقة على التقسيم » ٠

مبادرات السلام الأمريكية فى الخمسينات
أثناء ادارة أيزنهاور وعوامل فشلها

د. محمد عبد الوهاب سيد أحمد

هدفت السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط الى احتواء المد السوفيتى وكان أصدق تعبير عن هذا هو اصدار مبدأ ترومان فى ١٩٤٧ وتزايد هذا الاتجاه خاصة بسقوط الصين فى ١٩٤٩ ونما وتعالى هذا المد تحت تأثير حمى الماركسية فى الولايات المتحدة فى نهاية عهد الرئيس ترومان وبداية عهد أيزنهاور .

واذا كان موضوعنا يختص بدور الولايات المتحدة فى صنع السلام والمبادرات الأمريكية للسلام فى الشرق الأوسط فى مطلع الخمسينيات وبالتحديد مع ادارة ايزنهاور فان هذا لا نستطيع أن نعزله بالضرورة عما سبق وان أشرنا اليه من قبل وكذا فان هنالك عاملين لعبا دورا مهما فى تشـكيل السياسة الأمريكية فى المنطقة أولهما : ـ

* انهيار مكانة بريطانيا فى المنطقة مع فقدانهـا القدرة على الاحتفاظ بها ودليل ذلك ما حدث فى ايران ، والضغوط المصرية المتزايدة من أجل اجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس مما يجعل المنطقة خالية من الدفاعات الغربية القادرة على احتواء الخطر السوفيتى آنذاك .

* ثانيهما : أن الفترة موضـع الدراسـة شهدت تحولا فى العلاقة بين اسرائيل والاتحاد السوفيتى مما دفع بالأولى الى زيادة ترابطها مع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة ، مما جعل هذا الارتباط أداة جذب للشعوب العربية تجاه الاتحاد السوفيتى كنوع من التوازن ٠

يضاف الى هذا وذاك حالة التوتر السائدة بين أطراف النزاع العربى الاسرائيلى فاتفاقيات الهدنة لم تكن تعنى انتهاء حالة الحرب بين الطرفين وانطلاقا من هـذا فان مصر قد منعت مرور السـفن الاسرائيلية فى قناة السويس ٠ وأخذ الطرفان فى تبادل التراشقات عبر الحدود التى رسمتها اتفاقيات الهدنة ولم يكن هنالك أدنى ثقة بينهما ، فاسرائيل ترى نفسها جزيرة محاطة بالأعداء يسعون للتخلص منها ٠ والجانب العربى يصر على ضرورة عودة الشعب الفلسطينى الشريد الى أرضـه ودياره وفى نظر الولايات المتحدة والغرب فان الاتحاد السوفيتى هو المستفيد الأول والأخير من استمرارية حالة التوتر فى المنطقة ٠

وقد أدى هذا الموقف بادارة أيزنهاور منذ بداية عملهـا فى محاولة تدارك هذا الموقف وقد بنت سياستها بناء على تقرير أعدته لجنة جاكسون فى الأول من مارس ١٩٥٣ والذى تضـمن تحذيرا يفيد بأن « سياسة الولايات المتحدة المتحيزة لاسرائيـل فى فترة الرئيس ترومان سوف تعطى للاتحاد السوفيتى فرصة ذهبية لأن يلعب دورا نشطا فى المنطقة وسوف يؤدى الى بنائه لحلفه الخاص ٠٠٠ أو ما أطلق عليه مجازا « الناتو السوفياتى » ٠

وقد أكـدت تقـارير ادارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجيـة الأمريكية نفس المعنى محذرة من مغبة الانحياز الواضح والصريح تجاه اسرائيل التى سوف يكون لها انعكاسها الضـار على الأنظمة العربية المعتدلة بل ان هذه التقـارير قد طالبت بضرورة التزام

السياسة الأمريكية بمبدأ الصداقة غير المتحيزة تجاه دول المنطقة .

وقد كرر دلاس وزير الخارجية الأمريكية هذه الأفكار بصورة أكثر غموضا قبيل رحلته الى المنطقة فى مايو ١٩٥٣ .

لقد كانت ادارة أيزنهاور حاشرة بين صداقة الولايات المتحدة لاسرائيل والنمو المتزايد لمصالحها البترولية والاستراتيجية والذى يترتب عليه بالضرورة تحسين صورتها فى أذهان شعوب المنطقة ، ولذا فانه كان لزاما عليها أن تفصل نفسها عن القوى الاستعمارية التقليدية ، وأن تحاول أن تمارس سياسة تبدو أكثر حيدة تجاه الصراع العربى الاسرائيلى .

لقد لعبت المتغيرات الدولية دورها فى التأثير على سياسة أيزنهاور فبينما تأثرت ادارة ترومان بقوى الضغط الداخلى فى صنع سياستها تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ، فان ادارة ايزنهاور كانت ترى المنطقة من منظـور الصراع بين الشرق والغرب والذى حكمته أيضا تطورات أوضاع المنطقة بدءا من أحداث ايران الى ثورة يوليو ١٩٥٢ . والنمو المتزايد للروح القومية الرافضة للسيطرة الغربية والوجود الاسرائيلى .

ولذا فانه فى هذا المضمار قامت الولايات المتحدة بالسعى الى انتهاج سياسة جديدة رامية الى تحقيق أهدافها خلعت منها كافة الأقنعة السابقة التى عملت من خلفها ففى الأربعينيات كانت تلعب هذا الدور من خلال لجان الأمم المتحدة أو من خلف الستار ، أما فى الخمسينيات فقد لعبت دورا نشيطا واضحا للجميع فى سبيل تحقيق السلام أو ان شاءت فرص السلام على ما يقبله .

وكان محركها فى هذا الدور الجديد هو تفاؤلها بامكانية تحقيق السلام وزاد من أملها فى ذلك هو ما أبداه الطرفان من رغبة فى السلام .

اما من خلال التصريحات السياسية التى نطق بها قادة الطرفين والتى أعلنوا فيها صراحة عن رغبتهم فى اقامة جسور السلام فيما بينهما ، أو من خلال المقابلات السرية التى تمت فى باريس وأنقره ، وكانت مرصودة من خلال وكالة المخابرات المركزية ، بل ان الخارجية الأمريكية قد تلقت تأكيدات من أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن بامكانية تحقيق السلام بين مصر واسرائيل ، وأكد عبد الناصر على الموقف السابق أثناء لقاءاته المتعددة مع السفير الأمريكى كافرى وكذا كيرميت روزفلت مسئول مخابرات الشرق الأوسط ٠

لقد أعطت هذه المؤشرات ادارة ايزنهاور الأمل فى امكانية تحقيق السلام ٠ وقد آمن دلاس وزير الخارجية الأمريكية آنذاك بمبدأ التدرج فى معالجة الموقف وقد وضح هذا فى تقريره الذى أعده عن رحلته فى المنطقة فقال بهذا الخصوص : ان الولايات المتحدة سوف تستخدم نفوذها من أجل تخفيف حدة التوتر خطوة خطوة من أجل الوصول الى سلام عادل ودائم بالمنطقة ٠ لقد كان فى رأيه أن المشكلة الأساسية تتركز فى عدة نقاط أولها : وضع القدس ثم مشكلة الحدود وكذا مشكلة اللاجئين والمياه ومن رأيه أنه يمكن تناول كل منها على حدة ولذا فان المبادرات الأمريكية فى الفترة من ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ تركزت على حل مشاكل الحدود ٠ وكذا محاولة الاتفاق مع تطوير وتوزيع مياه نهر الأردن بين الأطراف المعنية وقد عرف هذا باسم مشروع جونستون نسبة الى أريك جونستون الذى أرسله ايزنهاور الى المنطقة كسفير فوق العادة فى أكتوبر ١٩٥٣ من أجل الاتصال بالأطراف المعنية لاقامة مشروعات مشتركة حول نهر الأردن بهدف ايجاد فرص عمل لقرابة ٨٠٠٫٠٠٠ فلسطينى وذلك استفادة من المشاريع التى يمكن اقامتها على نهر الأردن ٠ ورغما عن أن المشروع قد لاقى ترحيبا من بعض الدوائر العربية سرا الا أن عدم احترام اسرائيل لقرار التقسيم الخاص لسنة ١٩٤٧ جعل أى ترحيب رسمى عربى به يمثل نوعا من المخاطر مع مثل هذه الأنظمة فطبقا

للوثائق فان الحكومة المصرية رغما عما قدمته من معونات فنية للمشروع فانها لم تعلن عن تأييدها لهذه الخطة بصورة علنية ٠ ويرجع البعض فشل هذا المشروع الى الخوف الاسرائيلى من السلام والذى كان معناه فى نظرهم نهاية لدورهم فى المنطقة وأنه سوف يفتح صفحة جديدة فى العلاقات بين العرب والغرب خاصة بعد عقد اتفاق الجلاء بين مصر وانجلترا ٠

وكان أوضح مثال يشير الى موقف اسرائيل تجاه هذه المشاريع هو ما عبر عنه هنرى بايرود مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأدنى فى رسالته السرية الى دلاس فى ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ بعنوان تأكيدات **محتملة لاسرائيل فقد** ذكر « ٠٠٠ حينما تتكلم اسرائيل عن السلام فانه يكون انطلاقا من مفهومها الخاص بفرض السلام على جيرانها وقبولهم لسياستها الرامية الى فرض الأمر الواقع عليهم » ٠

لقد أصبحت الادارة الأمريكية تواجه موقفا صعبا فعلى الرغم من ادراكها لسياسة اسرائيل وايمانها بأن اجهاض محاولات السلام يفتح الباب على مصراعيه لامكانية التقارب بين العرب والسوفييت على حساب المصالح الأمريكية فانها فى الوقت نفسه كانت تواجه ضغوطا داخلية متزايدة فرغما عن أن صنع السياسة الخارجية الأمريكية كانت من اختصاصات السلطة التنفيذية المتمثلة فى الرئيس ومعاونيه الا أن السلطة التشريعية الممثلة فى مجلس الشيوخ والنواب كانت لها دور لا ينكر فى توجه السياسة الخارجية خاصة مع حكومة كانت تفتقد الأغلبية فى داخل المجلسين ٠

لقد حاولت هذه الادارة تدارك الموقف ، وقد وضح ذلك فيما قامت به قبل غارة غزة فى فبراير ١٩٥٥ ، فلقد بدأ هنالك نوع ٠٠٠ التنسيق مع الحكومة البريطانية ، فقد أنشىء فريق عمل مشترك

وكان على رأسه من الجانب الأمريكي فرنسيس رسل ـ الذى كان صاحب الخبرة الطويلة بالمنطقة من خلال عمله كوزير مفوض بالسفارة الأمريكية بتل أبيب الذى عين مساعدا لدلاس بغرض وضع خطة السلام الشامل فى المنطقة وبدأت الاتصالات بين الجانبين الا أن توقيت هذه الخطة يوضح لنا حقيقة مهمة وهى أنه اذا كان الجانب المصرى قد قبل محتواها فان ذلك كان لما أصابه من أضرار مادية وأدبية نتيجة لغارة غزة ورغبة منه فى عدم ايصاد الأبواب مع الغرب ، الا أن اسرائيل قد أبدت تعنتا فى مواجهتها وذلك لاحساسها بقوة مكانتها وانه لابد للعرب أن ينساقوا لقبول شروط السلام الاسرائيلية ، خاصة بعد اختبار قوتهم الحربية فى مواجهتها ووضوح ضعف أكبر قوة تمثلهم .

ورغما عن ذلك فان الحكومة الأمريكية قد بدأت تتحرك وبسرعة لتلافى الموقف وكان أوضح مثال على ذلك هو خطبة دلاس فى أغسطس ١٩٥٥ أمام مجلس العلاقات الخارجية بمدينة نيويورك وقد أوضح فى خطبته أن هنالك مشاكل رئيسية تشكل العائق فى سبيل تحقيق السلام وكان أهمها فى نظره مشكلة اللاجئين وكذا مشكلة الحدود بين الدول العربية واسرائيل .

ولذا فانه اقترح حلا شاملا من وجهة نظره للمشكلتين السابقتين عارضا امكانية قيام الولايات المتحدة بالمساهمة المادية بمساعدة اسرائيل فى دفع التعويضات للاجئين ، ولتخفيف حدة الخوف والقلق المسيطرين على المنطقة فانه اقترح مشاركة الولايات المتحدة فى معاهدة لضمان حدود جديدة ثابتة للمنطقة تكون بديلا عن اتفاقية الهدنة الموقعة فى ١٩٤٩ .

الا أن مقترحات دلاس لم تلق ترحيبا فى العواصم العربية ذلك لأنها أنكرت حق الفلسطينيين فى الرجوع الى بلادهم اكتفاء بالتعويض

المادى وكذا فان الجانب الاسرائيلى رفضها بسبب نصها صراحة على ضرورة رسم حدود دائمة تحل محل خطوط الهدنة ٠

وكالعادة فان هنالك عدة أسباب لا سببا واحدا كانت وراء فشل مقترحات دلاس ٠ لقد ألقى دلاس خطبته كما أوضحنا فى ٢٦ أغسطس ١٩٥٥ فى وقت كانت فيه مصر على وشك الانتهاء من توقيع صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى وان شئنا أن نكون أكثر تحديدا استسلام السلام منه ، وهذا التطور بلا شك قد دعم مركزها أمام الضغوط الغربية وربما تكون أداة ضغط لتحقيق مزيد من المكاسب فى علاقتها مع الغرب ، لقد كان من الصعب على جمال عبد الناصر قبول شروط أقل من قرارات الأمم المتحدة فى ١٩٤٧ خاصة فى فترة احتدم فيها الصراع بينه وبين نورى السعيد حول زعامة المنطقة يضاف الى هذا وذاك أن الولايات المتحدة لم تكن تملك السلطة فى فرض ارادتها على طرفى النزاع بقبول المبادرة السلمية ٠

الا أن هذا الرفض لما طرحه دلاس لم يكن يعنى نهاية المطاف فلقد تحركت الحكومة الأمريكية ، خاصة بعد اعلان عبد الناصر عن صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا فكان هذا دافعا بهم مرة أخرى الى تنسيق مواقفهم مع البريطانيين ، فالقى سير أنتونى ايدن خطبته الشهيرة فى « الجيلد هول » بايحاء من دلاس ، طالب فيه بضرورة قيام الطرفين بالمواءمة بين حدود التقسيم فى ١٩٤٧ وخطوط الهدنة فى ١٩٤٩ وكان الدافع من هذه الخطبة ليس صفقة السلاح ، بل أيضا احتلال اسرائيل لمنطقة العوجة المنزوعة السلاح ، وقد رحب العرب بمقترحات « الجيلد هول » ورفضها الجانب الاسرائيلى ، مما دفع بالولايات المتحدة لاستخدام قنوات الاتصال التحتية ممثلة فى رجال المخابرات المركزية ، الا أن هذه الخطوة قد واجهها الفشل أيضـــا ٠ وازاء هذا وذاك فان الولايات المتحدة سعت الى انتهاج سياسة جديدة بناء على اقتراح ادارة المخابرات المركزية وتتلخص

فى أن مفتاح السلام متعلق بشخصية عبد الناصر ورغبته فى زعامة المنطقة وتحقيق آماله بالنسبة للقضايا الداخلية ومن هذا المنطلق فانهم قد سعوا الى ركيزتين أولاهما : العمل الى تحقيق نوع من التقارب بين عبد الناصر ونورى السعيد ، ثانيتهما طرح المشاركة الأمريكية فى مشروع السد العالى بصورة أكثر جدية يشاركهم فى ذلك الحكومة البريطانية والبنك الدولى ·

ومن هذا المنطلق أرسل روبرت أندرسون مبعوثا شخصيا للرئيس ايزنهاور وأخذ يجوب المنطقة فى رحلة ما بين يناير ومارس ١٩٥٦ سابقا فى ذلك كسينجر يعاونه مجموعة من رجال المخابرات المركزية ·

الا أن هذه المبادرة قد أصابها الفشل كما أصاب غيرها . وترجع عوامل فشلها الى أكثر من عامل وليس الى عامل واحد · وقبل أن نفحص عوامل الفشل ، فعلينا أن نلقى نظرة سريعة نحدد فيها العوامل التى كان يمكن أن تساعد على نجاحها وليس العكس · أولها يتعلق بالوسيط أو بالأحرى الدولة التى قامت بعملية الوساطة نجد أن الولايات المتحدة كانت ذات مكانة لدى الطرفين بحيث كان من المتعذر عليهما اتخاذ سياسة تنبىء بمعاداتها أو تظهر المناوأة بصورة صريحة لمخططها ثانيا : اذا انتقلنا من اطار الدولة الى اطار الأفراد نجد أن شخصية الوسيط روبرت اندرسون كانت تنبىء بامكانية نجاح المبادرة حيث ان مركزه كوزير سابق فى الحكومة الأمريكية ــ وزير المالية ــ وصلته الشخصية بايزنهاور جعلته محل ثقة من الطرفين حيث نظر اليه على انه لديه القدرة على اتخاذ خطوات جادة فى سبيل انجاح المهمة المكلف بها من حكومته ·

كما أن هدف مبادرته لم يكن يحوى الكثير من التعقيدات ، بل كان مركزا بالضرورة على تخفيف حدة النزاع بين مصر واسرائيل

وليس حل المشكلة ككل ولم يكن هدفه هو الوصول الى عقد معاهدة سلام بين الطرفين بل الوصول الى نوع من الاتفاق على ازالة نقطة من نقاط الخلاف الرئيسية بينهما ٠

الا ان هنالك عوامل رئيسية لعبت دورها مع ذلك فى افشال هذه المبادرة : أولها عوامل الوقت فان هذه المبادرة قد طرحت فى وقت ظن أحد الطرفين أنه أقوى من الآخر ، ناظرا الى الطرف المقابل أنه فى حالة ضعف واستكانة وان عامل الزمن فى صالحه أكثر من الآخر مما تجعل التقاء الطرفين ضربا من المستحيل فبالنسبة لعبد الناصر فانه بعد حصوله على صفقة السلاح وتحقيق زعامته فى باندونج واكتساب شعبية فى المنطقة فى مواجهة نورى السعيد ظن أن الموقف فى صالحه وأن تشدده فى رفضه الاذعان للمطالب الأمريكية أو بالتحديد المطالب الاسرائيلية فى المفاوضات المباشرة على حد قول السفير هنرى بايرود للباحث سوف يجعل الغرب يعيد حساباته من جديد تجاه المنطقة ٠

وعلى الجانب الآخر ظن الاسرائيليون أنهم قد وضعوا عبد الناصر فى مأزق مع الغرب وأن عليهم استثمار الموقف لصالحهم باظهاره دائما وأبدا بمظهر المتعنت تجاه مشاريع السلام الأمريكية كما سبق فى ذلك الوقت ، بحيث يمكن لهم الحصول على سلاح يضمن تفوقهم العسكرى الشامل ، الذى يمكنهم من اخضاع العرب لمفهوم السلام الاسرائيلى ٠

لقد كان الاسرائيليون يرون فى الدور الأمريكى أنه سوف يؤدى الى اخضاعهم للسلام الذى يترتب عليه حرمانهم من السلاح لتحقيق أهدافهم فى المنطقة ٠

ورغما عن هذا فان اسرائيل ظلت تلعب دورها فى اظهار رغبتها فى السلام وكان السلام المشروط ٠

الا أنه مع ذلك فاننا لا نستطيع أن نعفى كلية الجانب الأمريكى من اللوم فلقد تركزت كل مبادراته فى اطار الصراع بين الشرق والغرب • ولم يكن السلام هو المقصود بذاته بل ان احتواء الدور السوفيتى كان هو المحرك الأساسى لمبادرات السلام الأمريكية آنذاك •

وجاء عدوان ١٩٥٦ • ووضح فيه انه من الصعوبة بمكان تحقيق السلام وظل الأمر معلقا على محاولة احتواء الموقف أو الابقاء على الوضع الراهن • بحيث ان حدة الشك قد زادت بين الطرفين فلقد تآمرت واعتدت اسرائيل على مصر ولم يعد بامكان صانع السياسة الأمريكية أن يمحو من الأذهان هذا • فأصبح السلام أملا لا يمكن تحقيقه الا بزرع الثقة بين شعوب المنطقة •

المساعى الأمريكية ـ البريطانية
لتحقيق السـلام فى الشرق الأوسط
١٩٥٤ ـ ١٩٥٦

د٠ فادية سراج الدين

أثار وصول ثورة يوليو الى الحكم فى مصر آمالا لدى الولايات المتحدة وبريطانيا فى امكانية اقامة سـلام بين العرب واسرائيل ، وتحقيق الانتقال من نظام الهدنة ، الذى ينظم العلاقات بين الدول العربية واسرائيل ، الى سلام رسمى وتسويات لمسـائل الخـلاف المتبقية من حرب فلسطين ٠

فلقد أطل النظام المصرى الجديد على ساحة الصراع العربى/ الاسرائيلى بمعطيات تتواءم مع متطلبات الأمر الواقع ، بالنسـبة للتطورات الاقليمية والدولية ٠

فقد وضعت الثورة القضية الفلسطينية جانبا ، وأعطت الأولوية التامة للمصالح المصرية عند تخطيطها لاستراتيجيتها السياسية ، ومن ثم رسمت سياساتها تجاه اسرائيل على أساس التهدئة وتجنب المواجهة وقبول وجودها كدولة من دول المنطقة ٠

فنجاح الحكم الثورى فى المحافظة على السلطة كان يرتبط بقدرته على حل المشاكل التى عجز النظام السياسى السابق عن

حلها ، ويعتمد على كسب الشعبية ، ومن هنا كان لابد من تركيز الجهود على الاصلاح والبناء فى تلك المرحلة كى توطد الثورة أقدامها ٠

ومن ناحية أخرى ، كان من المنطقى ان تعمد الثورة فى مراحلها الأولى ، الى محاولة ايجاد نصير لها ، تستند اليه فى حركتها لايجاد الحلول للمشكلات السياسية والاجتماعية الملحة التى اقتضت قيامها ، باعتبار ذلك أفضل الوسائل لاحداث تطورات سريعة تدعم الثورة بموجبها مركزها ٠

ولم يكن هناك من يملك الامكانات اللازمة لمساندة الثورة غير الولايات المتحدة ، فهى الدولة الوحيدة التى كان بيدها مساعدة قيادة الثورة على تخطى ما يكتنف تلك المرحلة من صعاب فعلية وأخطار ٠ فهى التى تستطيع الضغط على بريطانيا كى تسوى قضية الجلاء بشكل يحقق طموح مصر الوطنى ، وهى التى تملك الدعم المالى والعسكرى الذى يحتاج اليه النظام ٠

ومن هنا أصبح نجاح النظام فى تحقيق أهدافه الوطنية يرتبط بنجاحه فى بناء توافق مصرى - أمريكى فى المصالح والاستراتيجيات ، على النحو الذى يدفع الولايات المتحدة الى تأييد النظام ماديا ومعنويا ٠

غير أن مفاتيح الموقف الأمريكى كانت ترتبط بقضية الترتيبات الأمنية فى الشرق الأوسط ومشروعات الدفاع عن المنطقة ، كما كانت ترتبط أيضا بمسألة السلام مع اسرائيل ، ومن ثم فان حصول النظام على المساندة الأمريكية كان يفرض قبول مبدأ التعاون مع الغرب فى ترتيبات أمن المنطقة ، بالاضافة الى السلام مع اسرائيل ٠

وكان على ضوء هذه الظروف ان اتجه زعماء الثورة الى العمل على استثمار مسألة السلام مع اسرائيل لخدمة أهدافهم الخاصة ،

فصرحوا فى أحاديثهم مع السفير الأمريكى فى القاهرة ، وفى مذكرات رسمية للحكومة الأمريكية ، بأنه ليس لديهم أية نوايا عدوانية تجاه اسرائيل ، وان السـلام مع اسرائيل هو أحد أهداف النظـام الأساسـية .

واتجهت تكتيكات الثورة نحو محاورة الولايات المتحدة بمنطق المصالح المتبادلة ، فعرضت مبادلة التأييد الأمريكى المادى والمعنوى لمصر ، بالتعاون المصرى مع الغرب فى موضـوع الدفاع عن الشرق الأوسط ومسألة السلام مع اسرائيل (١) .

وهكذا اضطر قادة الثورة الى انتهاج سياسة المساومات لتحقيق النجاح السريع لنظام حكمهم ، واتجهوا نحو مسالمة اسرائيل لكسب

---

(١) ففى ١٨ سبتمبر ١٩٥٢ سلم عبد المنعم أمين خطابا بتوقيع محمد نجيب الى السفارة الأمريكية يطلب مساعدات أمريكية مقابل تعهدات سرية من قبل حكومة الثورة عن سياسات النظام ونواياه فيما يتعلق بمسألة الدفاع عن الشرق الأوسط والصلح مع اسرائيل .

F.R.U.S. 1952-1954, Vol. IX. The Ambassador in Egypt to the Dept. of State, Cairo, Sept. 18, 1952. No. 730. secret.

ـ وفى ١٠ نوفمبر سلمت حكومة الثورة مذكرة رسمية للسفارة الأمريكية تؤكد أنه بعد أن تم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، فان مصر ستتعاون فى ترتيبات الدفاع عن الشرق الأوسط والصلح مع اسرائيل .

R.R.U.S. 1952-1954 Vol. IX. The Ambassador in Egypt to the Dept. of State, Cairo, Nov. 10, 1952, No 1167. Secret.

ـ وأعلن قادة الثورة نفس الموقف فى المحادثات التى دارت بينهم وبين فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى فى القاهرة فى مايو ١٩٥٣ ، فقال محمد نجيب « ان حل المشكلة الانجليزية ـ المصرية سوف يفتح الطريق أمام حل كثير من المشاكل التى تواجه دول الغرب ، مثل مشكلة اسرائيل ودفاع المنطقة » .

R.R.U.S. 1952-1954 Vol. IX. The Ambassador in Egypt to the Dept. of State, Cairo, May 13, 1953, No 2422. secrel.

المســـاندة الأمريكية ، وتركيز جهودهــم وطاقاتهم على الأهــداف الأساسية التى قضت بوقوع الثورة ، وهى الاصلاح الداخلى وتحقيق الاستقلال الوطنى .

ولقد كان من الطبيعى فى هذه الظـروف ان تعلق الولايات المتحدة وبريطانيا الآمال على النظام الجديد لتسويق مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط وتحقيق السلام مع اسرائيل .

ووصل تفاؤل وزارة الخارجية الأمريكية الى حد الاعتقاد بأن « النظام الجديد قد خلق أول فرصة حقيقية لحل المشاكل التى تهدد الاستقرار فى الشرق الأوسط » وخاصة ما يتعلق بالدفاع عن المنطقة وحل النزاع العربى / الاسرائيلى (٢) .

ومن هذا المنطلق قررت الحكومة الأمريكية تأييد النظام الجديد وتقديم الدعم المادى والمعنوى له لضمان بقائه فى سلطة ، بأمل تطويع النظام ليكون فى خدمة الأهداف الأمريكية فى المنطقة (٣) .

ولهذا بدأت الولايات المتحدة تعيد النظر فى سياساتها تجاه مصر والدول العربية الأخرى ، وأصبحت على قناعة تامة بوجوب اتباع سياسة أكثر انصافا فى الشرق الأوسط ، والتوقف عن التحيز السابق لاسرائيل ، كما توصلت الادارة الأمريكية الى ضرورة اعطاء الأولوية لتسوية النزاع بين مصر وبريطانيا ، كخطوة ضرورية للتحرك نحو تسوية النزاع العربى / الاسرائيلى (٤) .

---

(٢) F.R.U.S. 1952-1954. Vol. IX. The Assistant Secretary of state For Europe Affairs to the Secretary of State, Washington, Dec. 31, 1952, Top Secret.

(٣) F.R.U.S. 1952-1954. Vol. IX. Department of State Position paper Washington, May 7, 1953. Secret.

(٤) Ibid.

وقد كانت هذه السياسة الأمريكية الجديدة محبطة بالنسبة لاسرائيل ، فتزايدت شكاواها من اتجاه الادارة الأمريكية نحو ارضاء العرب على حساب مصالح اسرائيل وتزايد قلقها بسبب ما شهدته هذه الفترة من تقدم المفاوضات بين مصر وبريطانيا حول الجلاء، واستولى عليها قلق عميق بسبب احتمال نجاح المفاوضات وتسليم قاعدة السويس ومعداتها للمصريين ، وما ينتج عن ذلك من انقلاب فى ميزان القوى فى المنطقة لصالح مصر (٥) .

ولم تقف اسرائيل مكتوفة الأيدى أمام مصالحها ، ورأت ضرورة مواجهة هذه النكسات بالعمل على تصعيد المشكلة الى الذروة التى قد تتيح حلها حلا شاملا وليس تهدئتها ، من خلال اثارة الاضطراب والتوتر على الحدود ، للتدليل على ان اتفاقية الهدنة قد فقدت مفعولها وتركت فراغا لابد من اشغاله باتفاقية أو اتفاقيات أخرى ، ومن ثم شرعت **اسرائيل فى القيام بأعمال** عدوانية ضد مصر لاجبارها على السلام .

ومن هنا ارتبط النزاع المصرى الاسرائيلى بشكل غير مباشر بالنزاع المصرى البريطانى وكان أحد تداعياته الخطيرة ، **فان تصفية النزاع بين مصر وبريطانيا أدى الى تفجير النزاع بين مصر واسرائيل .** ومن داخل هذه العلاقة المركبة برز أحد الأسباب الرئيسية التى أدت الى اشعال الموقف على خطوط الهدنة بين مصر واسرائيل والذى استمر حتى عدوان ١٩٥٦ .

وقد جعلت سياسة التصعيد الاسرائيلى الولايات المتحدة وبريطانيا تشعران بسخونة الصراع ووجوب التحرك العاجل

---

(٥) F.R.U.S. 1952-1954. Vol. Memorandum of Conversation by the Officer in Charge of Palestine-Israel-Jordan Affairs. Washington Jan. 15 1954.
F.R.U.S. 1952-1954. Vol. IX. The Secretary of state to the Emba sy in Israel, Washington, Aug. 4, 1954, No 1. Secret.

لمعالجته قبل ان تتطور الأمور فى اتجاه الحرب ، ومن ثم فانها قد دفعت الولايات المتحدة وبريطانيا الى الانتقال من مرحلة التأييد المعنوى لاقامة سلام بين العرب واسرائيل الى مرحلة المشاركة الفعلية فى تحقيق السلام ·

ولقد جاءت المبادأة من جانب بريطانيا ، التى ما ان وقعت اتفاقية الجلاء مع مصر ، حتى بادرت بالاتصال بالولايات المتحدة ، **وقدمت لها مذكرة رسمية فى ٥ نوفمبر ١٩٥٤ ، تدعوها الى تنسيق الجهود بينهما لحل النزاع العربى / الاسرائيلى سلميا ، قبل ان يتدهور الموقف بين العرب واسرائيل بشكل يصعب اصلاحه ·** واقترحت الحكومة البريطانية عقد لقاء فى لندن بين مسئولين من الجانبين ، البريطانى والأمريكى ، لبحث أسس حل المشكلة الاسرائيلية (٦) ·

وقبلت الحكومة الأمريكية الدعوة البريطانية للتعاون فى وضع خطة عمل مشتركة لتسوية قضية فلسطين والمشاكل الناتجة عنها ، وقررت اعطاء أولوية تامة لجهود تحقيق السلام (٧) · وبذلك بدأت الجهود الأمريكية البريطانية للاتفاق على مشروع تسوية يحقق السلام فى الشرق الأوسط ، **عرف بمشروع الفا** ALPHA ·

فلقد أخذت تدور مباحثات سرية بين الولايات المتحدة وبريطانيا للبحث عن امكانات تحقيق السلام ، وتحديد نطاق هذا السلام ، وعناصره ، ووسائل بنائه ، والأهداف التى سيبنى عليها وينطلق

---

(٦) F.R.U.S. 1952-1954. Vol. IX. Aide. Memoire From the British Embassy to the Dept. of State, Washington, Nov. 5, 1954. Secret.

(٧) F.R.U.S. 1952-1954. Vol. IX. Memorandum by the Assistant Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and African Affairs to the Secretary of State, Washington, Nov. 22, 1954. Secret.

منها ، وتحديد أدوات التأثير المتاحة لهما ، ثم تقرير شكل ومدى الجهد العربى فى عملية السلام ، وتحديد الأطراف المؤهلة للقيام بهذا الجهد واختيار الوسيلة الدبلوماسية المثلى لبدء عملية السلام ، وكيفية مواجهة التحديات التى تواجه تحقيق السلام ·

وقد بلورت جلسات المباحثات الأمريكية - البريطانية الأولى العقبة الأساسية التى تواجه التسوية ، فى الرفض العربى للصلح والسلام مع اسرائيل ، والرفض الاسرائيلى لتقديم تنازلات للحصول على السلام (٨) · فاسرائيل تدعى انها تريد السلام ولكنها تتشبث بالأرض مع الحصول على السلام ، والعرب يتعاملون مع القضية على انها قضية أرض محتلة ويصرون على استعادة الأرض دون عقد سلام (٩) ·

واتفقت الآراء على ان اجتياز هذه العقبة والتقدم نحو مفاوضات السلام يقتضى ان تستخدم الولايات المتحدة وبريطانيا كل الامكانات المادية المتاحة لهما لتليين الموقف العربى وتطويع الموقف الاسرائيلى ، وان نجاح جهود السلام سيتوقف بدرجة كبيرة على ما ستقدمه الولايات المتحدة وبريطانيا **من حوافز لأطراف النزاع ، ثمنا لتعاونهم فى تحقيق السلام** ، ولهذا رأى الجانبان الأمريكى والبريطانى وجوب تقديم مكافآت سخية للعرب واسرائيل لحثهم على تعديل مواقفهم والسير فى طريق السلام (١٠) ·

---

(٨) **F.O. 371/115864. Tel Aviv to F.O, Jan. 11, 1955, VR 1076/3 G. Secret.**

(٩) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV Memorandum of Conversation, Dept. of State Washington, Jan. 27, 1955 Report on Discussion with the British on ALPHA.
F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV Memorandum of Convensation, Dept of State Wa hington, Jan. 27, 1955, Operation ALPHA.

(١٠) Ibid.

واهتمت الولايات المتحدة وبريطانيا بصفة خاصة بالحوافز التى ستقدم لمصر ، والتى يمكن ان تحثها على التعاون فى جهود التسوية · فلقد كانت التصورات ان مصر هى **الباب الذى يتعين الدخول منه** لتحقيق السلام ، باعتبار انه ليس من المتصور ان توافق أى دولة عربية على تسوية سلام مع اسرائيل ما لم تكن مصر تؤيدها ، وانه اذا ما سارت مصر فى طريق السلام ، فسوف تتبعها الدولة العربية الأخرى ، وبالتالى فان الموقف الذى ستتخذه مصر سوف يؤثر بالضرورة على الدول العربية الأخرى ، ومن هنا « فان للتعاون المصرى أهمية أساسية فى أية محاولة للتوصل الى تسوية » (١١) ·

ونظرا لهذا التصور لأهمية تعاون مصر ، قررت الولايات المتحدة وبريطانيا تقديم حوافز اضافية لمصر لاغرائها على المشاركة فى جهود التسوية من ناحية ، ولتقوية مركز مصر فى المنطقة كى تتمكن من اداء دورها فى عملية التسوية من ناحية أخرى ، اذ ان فعالية التعاون المصرى تتوقف بشكل أساسى على درجة نفوذ مصر وتأثيرها على الدول العربية ، والا فان تعاونها لن يكون له قيمة · ومن هذا المنطلق اتجه **التفكير الى اعطاء مصر مساعدات عسكرية ، يتوقف مداها وشروطها على التقدم فى ترتيبات السلام مع اسرائيل** ، ومساعدات اقتصادية ضخمة تتضمن **المساهمة فى تنفيذ مشروع السد العالى** ، بالاضافة الى دعم خطط عبد الناصر وطموحاته القومية (١٢) ·

واتفق الطرفان ، الأمريكى والبريطانى ، على ضرورة دخول مصر كشريك كامل فى عملية التسوية ، وبناء على ذلك تقرر ان

(١١) R.R.N.S. 1955-1957 Vol. XIV Memorandum From F. Russel to the under Secretary of State (Hoover), washington, Feb. 2, 1955 Discussion with shuchburgh.

(١٢) R.R.U.S. 1955-1957. Vol XIV. F. Russel to the Under Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and Affrican Washington, Jan. 14, 1955. Military Aid to Egypt.

تقدم المفاتحة الأولى لمصر ، باعتبار ان كل العوامل الحاكمة للنتائج النهائية لتلك الجهود تتوقف على موقف مصر منها (١٣) ٠

وكان الموضوع الثانى الذى طرحته الإجتماعات الأمريكية ـ البريطانية للمناقشة يدور حول العناصر الأساسية لمشروع التسوية، **التى تتلخص فى تعديل الحدود العربية ـ الاسرائيلية ، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وتسوية وضع مدينة القدس ، وانهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل وما يترتب عليها من آثار ٠**

وفيما يتعلق بالتعديلات الاقليمية ، قامت **التقديرات الأمريكية البريطانية على وجوب تقديم تنازلات من جانب اسرائيل للعرب ،** ولكن نظرا لأن اسرائيل لن توافق على التنازل عن مساحات شاسعة من الأرض التى تحتلها ، فان تلك التنازلات ينبغى ان تكون جزئيا رمزية ، وجزئيا مخططة بهدف اقامة حدود دائمة لا تسمح الا بالحد الأدنى من الاحتكاك بين الطرفين (١٤) ٠

وتشمل تلك التعديلات تعديلا للحدود الاسرائيلية ـ الأردنية يؤدى الى استعادة المزارعين العرب للأراضى الزراعية التى أخذت منهم وأصبحت فى حوزة اسرائيل بمقتضى حدود الهدنة ، كما يؤدى أيضا الى اقتسام اسرائيل والأردن للمناطق المنزوعة السلاح فى اللطرون

---

(١٣) R.R.U.S. 1955, 1957 Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept of State Washington, Jan. 27, 1955 Report on Discussion with the British On ALPHA.

F.O. 371/115864. washington to F.O., Feb. 2, 1955. No. 311, Immediate.

(١٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol XIV. Memorandum From F Russel to the Under Secretary of State. Washington, Feb. 2, 1955.

الواقعة بينهما ، باعطاء معظم هذه المنطقة للأردن ، مقابل السماح لاسرائيل باعادة بناء طريق تل أبيب ـ القدس القديم (١٥) .

كما تشمل التعديلات الاقليمية **أيضا تنازل اسرائيل عن جزء من الأرض فى جنوب النقب بهدف تحقيق الاتصال الجغرافى بين مصر والأردن (١٦) .**

أما فيما يتعلق بمشكلة اللاجئين ، فقد قامت التصورات الأمريكية ـ البريطانية لامكانات حل هذه المشكلة على أساس سماح اسرائيل بعودة عدد من اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون فى العودة الى الوطن ، قد يصل الى حوالى **٧٥ ألف لاجىء وان يمارس هؤلاء اللاجئون العائدون الى اسرائيل جميع حقوق والتزامات المواطنين الاسرائيليين . وان تتعهد اسرائيل بتعويض الباقين عن ممتلكاتهم العقارية المفقودة ، وتساعدها فى ذلك الدول الغربية (١٧) .**

أما القدس ، فقد نص المشروع الأمريكى ـ البريطانى على **ان تكون منطقة منزوعة السلاح ، وان تقوم الأمم المتحدة بالاشراف على الأماكن المقدسة فيها (١٨) .**

وينص المشروع أيضا على **انهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل** ، والقيود الاقتصادية الناشئة عنها ، **فترفع الدول** العربية المقاطعة العربية الثانوية ، وتوقف جميع التدابير التى اتخذتها

---

(١٥) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept. of state, Washington, Jan. 27, 1955. Report on Discus:ion with the British on ALPHA.

(١٦) Ibid.

(١٧) Ibid.

(١٨) Ibia.

لمنع الدول غير العربية والشركات غير العربية من المتاجرة مع اسرائيل. كذلك تلغى مصر القيود المفروضة على الملاحة الاسرائيلية فى قناة السويس (١٩) .

وأخيرا بحثت الولايات المتحدة وبريطانيا الدور الذى ستقوم به الدول الغربية والأمم المتحدة فى عملية السلام ، واستقر الرأى فيما بينهما على ان **تلعب الولايات المتحدة وبريطانيا دور الضامن للاتفاق ، وان تشـترك فرنسـا وتركيا معهما فى تلك المهمة ، اذا ما قبلت الدول العربية واسرائيل اشراكهما (٢٠)** وان تتولى الأمم المتحدة مهمة الاشراف على تطبيق الاتفاق ، فتستمر فى الاشراف وفى مراقبة الحدود بين اسرائيل وجيرانها العرب ، بالاضافة الى الاشراف على الأماكن المقدسة فى القدس (٢١) .

تلك كانت التصورات الأمريكية البريطانية لطبيعة المناخ الملائم والضمانات كافة التى تحقق السلام والهدوء فى المنطقة ، وتقييمهما لدور كل دولة من الدول المعنية والدول المؤثرة فى عملية السلام .

وتعطى جلسات المباحثات الأمريكية ـ البريطانية انطباعا أكيدا بأن الجهود الأمريكية لايجاد تسـوية للنزاع العربى / الاسرائيلى كانت تنطلق من منطلقين أساسيين ، الأول هو احساس الولايات المتحدة بقدرتها على فرض رغبتها واملاء ارادتها على هذه المنطقة التى تبدو عاجزة عن الاعتماد على قدراتها الذاتية فى الدفاع عن مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية . وهذا ليس استنتاجا وانما

---

(١٩) Ibid.

(٢٠) Ibid.

(٢١) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum from F. Russel to the Under Secretary of State, Washington, Feb. 2, 1955. Discussion with Shuckburgh.

مجرد اقتباس من محاضر الاجتماعات · فقد قال دالاس أثناء المناقشات « ان ناصر يجب ان يرد ردا ايجابيا على مقترحات السلام الأمريكية ـ البريطانية ، ولن يسمح له بأن يشعر بأنه يستطيع أن يقول لا وتبقى الأمور على وضعها الحالى الى أن يكون مستعدا لأن يقول نعم » · وطلب دالاس من **معاونيه وضع بدائل تستخدم فى حالة رفض مصر التعاون على الفور فى تسوية النزاع** ، لاقناعها بان الولايات المتحدة وبريطانيا جادتان ، وانهما لن يسمحا باستمرار الموقف الحالى القائم بينها وبين اسرائيل (٢٢) ·

أما المنطلق الثانى ، فهو علاقة المشكلة الاسرائيلية بالسياسات الأمريكية الداخلية ، حيث أصبح التنافس على ارضاء الأمريكيين اليهود ، الذين يمثلون قوة ضغط مؤثرة فى الرأى العام والقرار الأمريكى ، جزءا مهما وأساسيا فى المعارك الانتخابية الأمريكية ·

وكان من رأى دالاس « ان تعثر جهود الادارة الأمريكية لحل النزاع سلميا وارضاء الأمريكيين اليهود ، **سيؤدى الى فوز الحزب الديمقراطى المنافس** ، الذى سوف يسرف فى بذل الوعود للأمريكيين اليهود بالعمل على اتخاذ اجراءات ترضيهم **اذا** ما فاز بالرئاسة » (٢٣) ·

ولهذا فان السلام يجب ان يتحقق قبل بدء سنة الانتخابات الأمريكية بأن ثمن وبأية وسيلة ·

ومن هنا فانه على الرغم من ان التكلفة المادية لعملية السلام كانت باهظة ، حيث قدرت الحوافز التى **ستدفعها الولايات المتحدة**

---

(٢٢) R.R.U.S. 1955, 1957 Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept. of State, Washington Jan. 27, 1955. Operation ALPHA.

(٢٣) Ibid.

فى شكل مساعدات للأطراف المعنية ، لحثهم على التعاون فى تحقيق السلام ، بمبلغ مليار دولار ، الا ان الادارة الأمريكية قد اعتبرت ان أرباح المشروع السياسية أعلى من خسائره المادية ومن ثم وافقت على المضى فى جهود التسوية (٢٤) ·

وبعد ان تم تنسيق الجهود الأمريكية والبريطانية ، بدأت محاولات استكشاف امكانات تعاون عبد الناصر فى عملية التسوية · وقد أثبتت المحاولات الأولى فى مجموعها ان الحصول على التعاون المصرى ليس مسألة يسيرة مذللة ·

فعلى الرغم من ان تصريحات عبد الناصر للسفيرين ، الأمريكى والبريطانى ، كانت تشير الى انه يحمل منظورا مختلفا للعلاقات العربية / الاسرائيلية ، ومن ثم لعملية السلام ، يقترب كثيرا من الأهداف الأمريكية – البريطانية ، **حيث ابدى عبد الناصر مرونة فى التعامل مع المشكلة الاسرائيلية وخاصة فيما يتعلق بقبول مبدأ الوجود الاسرائيلى ، وأكد اقتناعه التام بوجوب التصالح مع اسرائيل ، الا أنه كان يؤكد أيضا وفى نفس الوقت صعوبة تحركه فى اتجاه الصلح مع اسرائيل فى الوقت الحالى ، بسبب تخوفه من ردود الأفعال المحلية والعربية (٢٥) ·**

وهكذا لم يكن بالأمر السهل ان يقبل عبد الناصر التورط فى مشروع سلام مع اسرائيل بكل ما يترتب عليه من آثار ، كما أنه

---

(٢٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum of Conversation between the President and the secretary, of State, white House, Washington, Feb. 14, 1955.

(٢٥) F.O. 371/115837. Cairo to F.O., Jan. 6, 1955. No. 19 Secret.

F.O. 371/115837. Cairo to F.O. Feb. 14, 1955. (1427/3/55). Confidential. F.R.U.S. 1955-1957 Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Dept. of State, Cairo, April 5, 1955. No. 1482.

لم يكن من السهل أيضا ان يرفض عبد الناصر تسوية توفر له كل الضمانات اللازمة لتحقيق تطلعاته الوطنية والقومية ، **التى** أرجأت **الولايات المتحدة النظر** فى تحقيقها الى حين قبول عبد الناصر المشاركة فى انهاء النزاع ، ولهذا لجأ عبد الناصر **الى مراوغة** الولايات المتحدة وبريطانيا ، فلا يرفض صراحة التعاون فى تصفية النزاع مع اسرائيل ، ولا يقبل صراحة التحرك نحو تسوية النزاع ، ويطلب الاستمرار فى التباحث فى مسألة التسوية ، ويشترط السرية التامة ، ويقول « ان الوقت الحالى ليس وقتا مناسبا للاقتراب من مشكلة فلسطين » (٢٦) .

غير ان أحداث عقد صفقة الأسلحة المصرية ـ التشيكية وما ترتب عليها من تداعيات قد فرضت على عبد الناصر موقفا جديدا، ودفعته الى السير باتجاه التسليم للارادة الأمريكية والبريطانية ، **فى موضوع المشاركة فى جهود تسوية المشكلة الاسرائيلية ، كنوع من التعويض عن اللجوء الى الاتحاد السوفيتى** .

فبرغم ان عبد الناصر قد حرص فى بداية الأزمة على تأكيد استقلالية القرار المصرى ، **واتخذ موقفا حاسما فى رفض الاذعان لرغبة الولايات المتحدة ودول الغرب فى وقف الصفقة** ، الا أنه قد عمل بكل الوسائل على منع الأزمة من الانعكاس على العلاقات مع الغـرب .

ولما كانت قضية تسوية النزع العربى / الاسرائيلى هى القضية الوحيدة التى يمكن ان تثير الرضا فى الدوائر الغربية ، فلقد اندفع عبد الناصر ، **فى اطار رغبته فى استرضاء الولايات**

---

(٢٦) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. Xlv. British Minutes of a Meeting of Representatives of U.K. and U.S., Foreign Office, London, sept. 21, 1955.

المتحدة وبريطانيا ، واحتواء رد الفعل الغاضب من جانبهما ، الى اللعب بورقة تسوية النزاع مع اسرائيل · فأبدى عبد الناصر للسفير الأمريكى فى القاهرة رغبة فى مناقشة عناصر التسوية (٢٧) · وفى ٨ نوفمبر ١٩٥٥ ، بادر محمود فوزى بطلب فتح المباحثات مع الجانب الأمريكى ، بشأن تسوية النزاع العربى / الاسرائيلى (٢٨) · ثم لم يلبث الأمر ان تطور الى دخول مصر فى مفاوضات مع اسرائيل فى يناير ١٩٥٦ ·

وعلى الجانب الآخر ، عملت الولايات المتحدة وبريطانيا على توظيف تلك الأزمة لخدمة جهود تسوية النزاع العربى الاسرائيلى ، فسعتا الى الاستفادة بالتوجهات المصرية الجديدة ، وأصرتا على الحصول على تعويضات من مصر مقابل قبول التصرف المصرى ، وحددتا تلك التعويضات بتسوية مع اسرائيل ·

فبرغم ان رد الفعل الأمريكى والبريطانى الأول كان عنيفا ، حيث قرر الطرفان تقديم احتجاجات الى عبد الناصر ، لكى يوقف الصفقة ، والا فان الحكومتين الأمريكية والبريطانية ، ستضطران الى ان تعيدا النظر فى سياساتهما تجاه مصر (٢٩) · الا انه بعد ان تبينت الولايات المتحدة وبريطانيا ، من المحادثات التى دارت بين عبد الناصر وجورج آلان ، مساعد وزير الخارجية الأمريكية ، من ناحية ، والسفير البريطانى تريفيليان من ناحية أخرى ، **ان التراجع عن الصفقة أمر مستحيل ، وانه لا مجال لاثناء عبد الناصر عن قبول**

---

(٢٧) F R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Secretary of State at Geneva, Cairo, Nov. 2, 1955. No. 15.

(٢٨) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Dept of State Cairo, Nov. 4, 1955. No. 907.

(٢٩) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Embassy in the U.K. to Dept. of State, London, Sept 21, 1955. No. 1167.

الصفقة ، اتجهت الولايات المتحدة وبريطانيا الى العمل على دفع عبد الناصر الى ترجمة التطمينات التى قدمها لهما فى ضمانات عملية ، تؤكد تطابق أقواله ونواياه مع أفعاله وتحركاته ، وذلك من خلال قيامه بخطوات جادة فى اتجاه تسوية مع اسرائيل (٣٠) ٠

ومن هنا قرر الجانبان الأمريكى والبريطانى ، تخفيف ضغطهما على عبد الناصر والتراجع مرحليا عن أساليب العنف والشدة لفرض اراداتهما السياسية على مصر ، على ان يكون هذا التراجع مشروطا **بأن يقابله تعهدات من جانب عبد الناصر بأنه سيتخذ كل الاجراءات اللازمة لمنع تغلغل النفوذ السوفيتى فى مصر ، وبأنه سيتعاون فى تحقيق تسوية مع اسرائيل (٣١) ٠**

ولم يجد الجانبان الأمريكى والبريطانى ، صعوبة فى عملية تحريك الجانب المصرى نحو تسوية المشكلة الاسرائيلية ، فقد كانت مصر تبدى من جانبها الاستعداد لمناقشة أسس التسوية ، وتعرض فتح محادثات مع الجانب الأمريكى لهذا الغرض ٠

ففى أول نوفمبر ١٩٥٥ ، قابل **السفير بايرود جمال عبد الناصر ، وحاول ان يقنعه بمزايا التحرك العاجل نحو تسوية مع اسرائيل ،** وان يستحثه على استخدام **مركزه التفاوضى القوى ، الذى** منحه اياه السلاح السوفيتى ، فى معالجة مشكلة **النزاع العربى/** الاسرائيلى دون تأخير ٠ واقترح السفير ان يناقش عبد الناصر معه الشروط العملية لتسوية عربية / اسرائيلية ، وصرح له بأن الحكومة

---

(٣٠) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept. of State, Washington, Oct. 3, 1955.

(٣١) Ibid.

الامريكية ستقوم بالضغط على اسرائيل لقبول الحل الذى سيتم الاتفاق عليه مع عبد الناصر (٣٢) ٠

وعلى الفور أبدى عبد الناصر استعداده لمناقشة عناصر التسوية مع الولايات المتحدة ، على أن يتم ذلك بسرية تامة (٣٣) ٠

وفي ٩ نوفمبر ، ابلغ **محمود فوزى السفير** بايرود برغبة الحكومة المصرية فى مناقشة امكانات الصلح مع اسرائيل ، فبعث السفير برقية الى وزارة الخارجية الأمريكية يطلب تخويله سلطة الدخول في مباحثات مع الحكومة المصرية (٣٤) ٠ وردت الخارجية الأمريكية بأن أعطت تعليمات لبايرود بأن يبلغ محمود فوزى بترحيب الحكومة الأمريكية بالمبادرة المصرية ، وطلبت من السفير ان يحاول استطلاع المواقف والآراء المصرية حول أسس التسوية التى تقبل بها مصر ، لحين الانتهاء من ترتيبات ارسال مبعوث أمريكى الى مصر واسرائيل ، لاجراء مفاوضات معهما حول السلام (٣٥) ٠

وتنفيذا لتعليمات دالاس ، بدأ السفير بايرود عملية تحضير أرضية مفاوضات السـلام ، بعقد محادثات استطلاعية مع محمود فوزى وجمال عبد الناصر ، تم فيها توضيح آراء مصر وموقفها من

---

(٣٢) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Secretary of State at Geneva, Cairo, Nov. 2, 1955. No. 51.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Secretary of State at Geneva, Cairo, Nov. 9, 1955. No. 907.

(٣٥) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Secretary of State to the Dept. of State, Geneva, Cairo, Nov. 11, 1955. Dulte 68.
F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Dept. of State to the Secretary of State at Geneva, Washington - Nov. 12, 1955. Tedul 84.

أسس حل النزاع ، ويتلخص هذا الموقف فى نقطتين : **الأولى تتصل بمشكلة اللاجئين** ، وهنا صرح عبد الناصر بأنه يتمسك بأن تعطى التسوية لكل لاجئى فلسطين **حق تقرير المصير** ، سواء بالعودة الى الوطن أو التعويض (٣٦) ·

أما النقطة الثانية ، فتتعلق بمسألة تعديل الحدود بين العرب واسرائيل · وفى هذا الشأن أكد محمود فوزى ان المبدأ الوحيد الذى تتمسك به مصر وتصر عليه هو تعديل اقليمى يعيد الاتصال الجغرافى بين **أجزاء العالم العربى** (٣٧) ·

أما فيما يتعلق بمشكلة القدس ، فقد أعلن محمود فوزى أن مصر على استعداد لقبول أى حل يكون مقبولا لدى المجتمع الدولى ، سواء أكان ذلك بتدويل القدس ، أم باقتسامها بين الأردن واسرائيل (٣٨) ·

كذلك صرح محمود فوزى بأنه فى حالة التوصل الى تسوية ، وما يتبع ذلك من انهاء كل دول المنطقة لحالة الحرب ، فان مصر سوف ترفع القيود عن الملاحة الاسرائيلية فى قناة السويس وتعطى اسرائيل حق حرية مرور كاملة (٣٩) ·

على هذا النحو جاءت الرؤية المصرية لأسس حل النزاع تنطلق من فكرة الموازنة ما بين المصالح الاسرائيلية والمصالح العربية، **فأعطت اسرائيل لأول مرة حق البقاء كدولة من دول المنطقة ، بكل ما يتضمنه ذلك من الاعتراف بها** ، وانهاء الحرب معها ، وتأمين

---

(٣٦) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Egypt to the Dept. of State Cairo, Nov. 27, 1955, No. 1027.

(٣٧) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Ambassador in Eggypt to the Dept. of State. Cairo, Nov. 15, 1955. No. 955.

(٣٨) Ibid.

(٣٩) Ibid.

حدودها ، وضمان حرية ملاحتها في الممرات المائية في المنطقة وهي تنازلات مهمة لم يسبق لها مثيل ، قدمتها مصر لاسرائيل مقابل حق لاجئي فلسطين في تقرير المصير ، وتحقيق الاتصال الجغرافي بين مصر والعالم العربي .

وقد ساندت الولايات المتحدة وبريطانيا المشروع المصري دون ابداء أي تحفظ على بنوده ، واعتبرتا ان موقف عبد الناصر موقف مشجع ، وذلك رغم ادراكهما لأن فكرة حق اللاجئين في تقرير المصير سوف تثير اعتراض اسرائيل . فقد كان **تصريح مصر بفكرة قبول الوجود الاسرائيلي** يشكل فرصة تاريخية غير مسبوقة لبدء عملية **التسوية على حد قول دالاس (٤٠)** .

وبعد ان صرحت مصر باستعدادها لتسوية النزاع ، وحددت الأسس التي ستفاوض بها ، أصبحت القضية التي تفرض نفسها هي تحديد الموقف الاسرائيلي من عملية السلام فان اسرائيل هي الطرف الذي يملك بين يديه شيئا ماديا هو مطالب بالتخلي عنه ، ومن ثم فان تحقيق تسوية النزاع العربي / الاسرائيلي كان امكانية مرهونة بقبول اسرائيل للمقترحات المصرية .

وقد بدأت أولى المحاولات الأمريكية لجر اسرائيل الى الحل السلمي للنزاع في ٢١ نوفمبر ١٩٥٥ ، حيث سلم دالاس مذكرة رسمية لشاريت ، تؤكد أهمية تسوية النزاع العربي / الاسرائيلي بالنسبة للوجود الاسرائيلي ذاته على المدى الطويل ، وتطالب اسرائيل بأن تقدم تنازلات للعرب في منطقة **النقب لتوفير منطقة عربية تربط مصر بالعالم العربي (٤١)** .

---

(٤٠) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Dept. of State to the Embassy in the U.K. Washington - Dec. 5, 1955. No. 3132.

(٤١) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Dept. of State to the Embassy in Egypt, washington - Nov. 22, 1955. No. 1051.

ورد شاريت على الفور بقوله ان من المستحيل ان تقبل اسرائيل ما تطالبها به الولايات المتحدة من التنازل عن أرضها « لارضاء هوى ناصر » . وصرح شاريت بأنه « اذا كانت المسألة هى مسألة هات وخذ ، فيتم تعديل الحدود فى نطاق ضيق وعلى أساس مبدأ التبادلية ، فانه يمكن لاسرائيل عندئذ ان تناقش ذلك التعديل ، ولكن اسرائيل لا تستطيع ان تتنازل عن **نقاط أساسية مثل ايلات أو توافق على وضع ينتج عنه قطعها الى نصفين » (٤٢)** .

وبرغم ما سببه موقف الولايات المتحدة من صدمة لاسرائيل ، الا أنه لم ينتج عن ذلك أى تراجع فى السياسات الاسرائيلية ، وردت حكومة اسرائيل فى ٦ ديسمبر على المذكرة الأمريكية مؤكدة آراء وزير خارجيتها ، فأعلنت انها ترفض التنازل عن أرضها لأى دولة عربية مجاورة لها . وابدت **المذكرة استعداد اسرائيل لوضع ترتيبات مرور تحقق الاتصال بين مصر والأردن عبر اسرائيل ، مقابل منح اسرائيل حرية مرور شمالا الى لبنان وجنوبا الى مصر** . كما صرحت **المذكرة** باستعداد اسرائيل لمنح الأردن تسهيلات فى ميناء حيفا وحقوق مرور **برية من الميناء** واليه مقابل قبول الأردن لاعادة حرية المرور الاسرائيلى الى **حائط المبكى** وجبل الزيتون وجبل المكبر . **واضافت المذكرة** ، انه ينبغى على مصر ان ترفع القيود عن الملاحة الاسرائيلية فى قناة السويس ، وان تتعهد الدول العربية بوقف المقاطعة الثانوية لاسرائيل (٤٣) .

على هذا النحو وضعت الحكومة الاسرائيلية اطارا سياسيا لعملية السلام ، ورسمت خطا واضحا للموقف الاسرائيلى ، يستند

---

(٤٢) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept. of State, Washington. Nov. 21, 1955.

(٤٣) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Aide — Memoire From the Israeli Embassy to the Dept. of State, Washington Dec. 6, 1955.

على الرفض المطلق لفكرة التنازل عن الأرض فى مقابل الحصول على السلام ، ويتمسك بمبدأ « **تعديلات محدودة ومتبادلة** » ، وهو موقف **لم يكن يبشر باقتراب اسرائيل** أو قبولها لأى جهود لتسوية القضية على أساس الشروط المعروضة من جانب مصر ٠

كان ذلك هو موقف اسرائيل من أسس حل النزاع ، أما فيما يتعلق بأسلوب تسوية النزاع ، **فقد قبلت اسرائيل التفاوض بالوساطة ، ولكن بشرط الا يتخذ الوسيط موقفا مسبقا من مسألة النقب (٤٤) ٠**

ومن هذا المنطلق أعلن شاريت ان حكومة اسرائيل ترفض الوساطة البريطانية ، وترى « **ان ايدن قد أصبح غير مؤهل للقيام بدور الوسيط** » اذ انه قد اتخذ موقفا مساندا للعرب ضد اسرائيل قبل بدء الحوار ، فى الخطبة التى **ألقاها فى ٩ نوفمبر ١٩٥٥ (٤٥) ٠**

وكان ايدن قد عرض فى ٩ نوفمبر ، فى خطابه السنوى فى دار بلدية لندن ، وساطته لحسم النزاع القائم بين العرب واسرائيل، واقترح ان يتوصل الطرفان الى حل وسط بين **مطالبة العرب بالعودة** الى حدود قرار التقسيم الذى أصدرته **الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧** ، واصرار اسرائيل على الحفاظ على الحدود التى استولت عليها فى حرب ١٩٤٨ ، والتى وردت فى اتفاقيات الهدنة فى عام ١٩٤٩ ، وعرض ايدن استعداد بريطانيا **والولايات المتحدة لتأمين الحدود وتقديم المساعدات المادية اللازمة لتسوية مشكلة اللاجئين (٤٦) ٠**

---

(٤٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. Memorandum of Conversation, Dept. of State, Washington - Dec. 6, 1955.

(٤٥) Ibid.

(٤٦) الأهرام فى ١١ نوفمبر ١٩٥٥ ٠

F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XIV. The Embassy in the U.K. to the Dept. of State, London, Nov. 11, 1955 - No. 1959.

ولما كان البيـــان البريطانى قد تضمن معنى انه يجب على اسرائيل ان تتخلى عن بعض الأرض التى تسيطر عليها الآن ، ولم تكن اسرائيل على استعداد للتخلى عن أرض للعرب فقد أدى اقتراح ايدن الى توتر العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا ، وبلغ التوتر فى العلاقات مداه برفض اسرائيل قبول الوساطة البريطانية فى تسوية النزاع مع العرب ، وساق شاريت سببا رئيسيا لذلك الرفض ، وهو اقتناع اسرائيل بأن بريطانيا منحازة للعرب ، وان « مقترحات ايدن قد وضعت بهدف الحصول على نفوذ بريطانى فى الدول العربية » وقال شاريت « ان الأمريكيين أكثر تعاطفا مع قضية اسرائيل »(٤٧) ·

ونظرا للموقف الاسرائيلى المتشكك فى النوايا البريطانية ، قرر الجانبان الأمريكى والبريطانى ، فى اجتماع عقد بينهما فى باريس فى ١٥ ديســـمبر « **ان تتولى الولايات المتحدة مســئولية التعامل مع اسرائيل** ، وان تتوقف بريطانيا عن **القيام بأيه تحركات** للضغط على اسرائيل ، أثناء ممارسة الحكومة الأمريكية لضغوطها السياســية على اسرائيـــل لكى تقبل تقديم التنـــازلات المطلـــوبة منهـــا (٤٨) ·

وبهذا الشـــكل تحملت الولايات المتحدة مســـئولية القيادة السياسية لادارة وتســـوية صراعات المنطقة ، وانفردت بتولى عبء القيام بجهود التسوية ·

وطوال شهر ديسمبر ١٩٥٥ كانت عملية الســلام موضوعا للأخذ والرد بين واشنطن وتل أبيب ، فحاولت الولايات المتحدة اقناع اسرائيل بقبول مشروع للسلام يتضمن اعطاء مصر قطاعا فى النقب

---

(٤٧) F.O. 371/115849 VR. 1072/314. Dec. 13, 1955. secret.

(٤٨) F.O. 371/115889. VR. 1076/524. Dec. 16, 1955. Top secret.

يربطها بالأردن ، ورفضت اسرائيل قبول ذلك المشروع كأساس للمفاوضات ، اذ اعتبرته ، كما قال شاريت « يعادل شرطا مسبقا للمفاوضات ، بقبوله تكون اسرائيل ملزمة بتقديم تنازلات فى النقب، والنقطة الوحيدة التى ستكون محلا للتفاوض ، هى حجم تلك التنازلات » (٤٩) ٠

وتحت الضغط الأمريكى قبلت اسرائيل الشرط المصرى كصيغة للتفاوض ، لا للتنفيذ ، فأعلن شاريت استعداد اسرائيل للتفاوض مع مصر بدون شروط مسبقة ، حتى برغم علمها بأن مسألة النقب ستناقش فى المفاوضات ٠ وكان شاريت فى منتهى الحسم والوضوح عندما قال « انه لا ينبغى ان تحاول حكومة الولايات المتحدة خداع المصريين بدفعهم الى الاعتقاد بأن اسرائيل ستدخل المفاوضات وهى ملزمة أدبيا بأن تقدم تنازلات فى النقب » (٥٠) ٠

وبرغم أن هذا الخلاف فى تحديد مضمون التسوية كان كافيا لوقف مبادرات التسوية الدبلوماسية الأمريكية ، فقد واصلت الولايات المتحدة جهودها السرية لتحقيق السلام ، وقررت ايفاد مبعوثها ، روبرت اندرسون (٥١) ، لاجراء محادثات مع زعماء مصر واسرائيل (٥٢) ٠

---

(٤٩) F.O. 371/115887. VR. 1076/523. Dec. 13, 1955. Top secret.

(٥٠) F.R.U.S. 1955-1957, Vol. XIV. The Dept. Of State to the Embassy in Egypt, washington, Dec. 10, 1955. No. 1231.

(٥١) وقد شغل روبرت أندرسون منصب نائب لوزير الدفاع الأمريكى حتى ٤ أغسطس ١٩٥٥ ، وعين مبعوثا خاصا للرئيس ايزنهاور الى الشرق الأوسط فى يناير – فبراير ١٩٥٦ ، ثم فى أغسطس ١٩٥٦ ٠

R.R.U.S. 1955-1927 Vol. XIV. List of person. P. XVII.

(٥٢) F.R.U.S. 1955-1927 Vol. XIV. Editorial Note.

فلقد كان هنــاك العديد من المشــاكل التى تلح على الادارة الأمريكية وتحثها على الحركة بأسرع ما يمكن للتوصل الى حل للنزاع العربى / الاسرائيلى • فالاتحاد الســوفيتى بدأ يتنافس بشــكل مباشر مع الغرب على النفوذ في الشرق الأوسط ، وعدوانية اسرائيل قد تصاعدت الى الحد الذى أنذر بنشوب حرب بينها وبين مصر فى أيه لحظة ، ومؤيدو اسرائيل فى الولايات المتحدة يثيرون ضجة من أجل اعطاء اسرائيل أسلحة لموازنة ما حصلت عليه مصر من الاتحاد الســوفيتى •

لذلك رأى ايزنهاور ودالاس وجوب البدء فى تنفيذ مشروع السلام قبل ان يتقلص مركز الغرب فى المنطقة ، أو تندلع حرب لا يمكن التكهن بأبعادها ، ومن ثم قررا الشروع فى محاولتهما لتحقيق السلام مفترضين ان الولايات المتحدة تستطيع حمل اسرائيل على قبول ما تصل اليه من حلول مع مصر •

وفى ١١ يناير ١٩٥٦ التقى ايزنهاور بدالاس واندرسون فى البيت الأبيض ، لمناقشة تفصيلات المهمة التى سيقوم بها اندرسون ، وتركز الحديث على أوراق الضغط والتفاوض ، التى تمتلكها الولايات المتحدة ، والتى تستطيع مساومة كل من مصر واسرائيل عليها ، مقابل تحقيق السلام • فصرح دالاس بأن المحور الأساسى الذى يستند عليه الموقف التفاوضى الأمريكى ازاء مصر هو مسألة زعامة العالم العربى ، وقال دالاس « انى أعتقد ان ناصر مستعد لدفع ثمن كبير للحصول على مساعدة الولايات المتحدة فى مسألة قصر حلف بغداد على أعضائه العرب الحاليين ، واحتفاظ مصر بزعامتها للدول العربية » (٥٣) •

---

(٥٣) F.R.U.S. 1955-1957. Vol XIV. Memorandum of Conversation, white House, Washington, Jan. 11, 1956.

ثم تحدث دالاس عن ورقة الضغط الثانية ، التى تستطيع الولايات المتحدة استخدامها فى مفاوضاتها مع مصر ، وهى القطن المصرى ، فقال « ان الولايات المتحدة تستطيع ان تدمر سوق القطن المصرى ، وتستطيع أيضا ان تساعدها » (٥٤) ·

وذكر دالاس ان النقطـة الثالثـة التى ستستخدمها الولايات المتحدة كورقة ضغط من أجل دفع مصر الى السير قدما فى عملية السلام ، هى السد العالى (٥٥) ·

ثم انتقل دالاس الى الجانب الآخر ، اى الجانب الاسرائيلى ، وهنا لم يذكر دالاس أوراقا يمكن للجانب الأمريكى ان يساوم عليها اسرائيل لتحقيق السلام ، وانما تحدث عن أسس مؤيدة فى جملتها لموقف المفاوض الأمريكى ، ومسـاندة له فى دفع اسرائيـل نحو السلام · وتتمثل تلك الأسس فى وجود عوامل ومتغيرات جديدة فى الموقف تفرض على الاسرائيليين قبول السلام ، بعد ان تغير وضعهم تماما « بدخول السوفيت الى الصورة » وفقدوا قوتهم التى كانت ترتكن الى واقعة تفوقهم العسكرى من ناحية ، ولعلاقاتهم المتميزة بالولايات المتحدة ودول الغرب من ناحية أخرى (٥٦) ·

ومن الواضح ان الولايات المتحدة قد حددت منهجها وبنت مواقفها على أساس نظرية ان الاغراءات الأمريكية لمصر أصعب من أن ترفض ، وان الضغوط الأمريكية على اسرائيل أقوى من ان تقاوم ، غير ان جوهر القضية كان أعمق من ذلك بكثير ·

وفى هذا الاطار ، بدأ اندرسون مهمته السلمية معتمدا على ان النفوذ والسخاء الأمريكى سيحققان السـلام فى منطقة الشرق

---

(٥٤) Ibid.
(٥٥) Ibid.
(٥٦) Ibid.

الأوسط ، فتوجه الى القاهرة ، واجتمع مع جمال عبد الناصر لأول مرة فى مساء ١٧ يناير ١٩٥٦ ، فى منزل زكريا محيى الدين (٥٧) ·

وفى هذا اللقاء الأول ، شرح عبد الناصر كيف انه قد اضطر الى القيام بحملة اعلامية مكثفة ضد بريطانيا والاستعمار بصفة عامة ، كعمل مضـاد لمواجهة حلف بغداد الذى يهدد بعزل مصر عن بقية العالم ، وأوضح عبد الناصر ان اعلامه العدائى لاسرائيل وللغرب الذى يساندها برغم ان هدفه فى الأساس كان قضية الأحلاف وليس قضية فلسطين ، الا أنه قد أشعل مشاعر الكراهية لاسرائيل فى مصر وفى الدول العربية الأخرى ، الى حد يجعله لا يستطيع التراجع عن موقفه دون ان يفقد شعبيته الوطنية والعربية (٥٨) ·

وبذلك أوضح عبد الناصر ان الشعبية التى اكتسبها من عدائه المعلن لاسرائيل وما أثاره من آمال لدى الشعوب العربية فى امكانية استرداد الحقوق العربية المغتصـبة ، من أهم القيـود القائمة على قدرته على المشاركة فى عملية السلام ·

وكان هذا هو المبرر الذى استند عليه عبد الناصر فى مطالبة الولايات المتحدة بأن تساعده فى التغلب على هذه المشكلة الكبرى التى تعوق تحركه فى اتجاه السلام ، بالضغط على حلفائها لتجميد حلف بغداد ، لما يحققه ذلك من تعزيز لقيادته ووضعه فى العالم العربى ، ويمكنه بالتالى من تسويق التسوية للدول العربية ، والقيـام بالدور الذى حددته له الاستراتيجية الأمريكية فى عملية السـلام ·

---

(٥٧) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept. of State, Cairo Jan. 19, 1956. No. 2.

(٥٨) Ibid.

وقال عبد الناصر ـ حسب البرقية التى أرسلها اندرسون للخارجية الأمريكية ـ « انه واثق من انه يستطيع تسويق تسوية معقولة مع اسرائيل للعالم العربى ، بشرط ان يكون واثقا من ان الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا والعراق لن تعمل ضده » ، وطلب عبد الناصر تأكيدا من المبعوث الأمريكى عن ان « الولايات المتحدة لن تشترك فى مثل هذا النشاط المعادى له ، وأنها ستستخدم نفوذها لاقناع الدول الأخرى بالتوقف عن هذه الأعمال » (٥٩) ٠

وكانت النقطة الثانية التى بحثها عبد الناصر مع اندرسون فى ذلك الاجتماع تتعلق بمسألة توقيت اعلان التسوية ، وهنا أكد عبد الناصر ان المشاعر العربية المثارة بسبب الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية والسورية والأردنية تجعل الاعلان عن عقد تسوية فى الوقت الراهن أمرا مستحيلا ٠ على ان عبد الناصر قد وافق على عقد تسوية مع اسرائيل على الفور ، مع تأجيل اعلانها الى ان يتمكن من تأهيل الرأى العام المصرى والعربى نفسيا لقبول الصلح مع اسرائيل من خلال القيام ببعض التدابير اللازمة لذلك ومن أهمها وقف الحملة الاعلامية المعادية لاسرائيل فى الصحف والاذاعة المصرية (٦٠) ٠

على هذا النحو جاء الاجتماع الأول مع جمال عبد الناصر متفقا مع الفهم الأمريكى للموقف المصرى ، ومع استراتيجية التفاوض التى رسمها دالاس ، فقد عرض عبد الناصر مبادلة تسوية النزاع مع اسرائيل بزعامة العالم العربى ، وكان ذلك هو ما تريده منه الولايات المتحدة بالضبط ٠

---

(٥٩) Ibid.

(٦٠) Ibid.

واستخلص اندرسون من ذلك اللقاء الأول مع جمال عبد الناصر نتيجة بديهية ، وهي ان قضية الزعامة العربية قد طغت على اهتمام عبد الناصر بالمشكلة الاسرائيلية واستدل اندرسون على صحة استنتاجه بأن عبد الناصر لم يقدم على أى محاولة للبحث فى جوهر التسوية ، وانما كان منشغلا تماما بمحاولة تلمس موقف الولايات المتحدة من مسألة زعامته للعالم العربى ، وباعطاء الانطباع بقوة مركزه فى مصر وفى العالم العربى ، وقدرته على تحقيق تسوية للنزاع العربى / الاسرائيلى ، اذا ما ايدته الدول الغربية بشكل ايجابى ، وأوقفت تدابيرها المعادية له فى المنطقة (٦١) ٠

وفى ضوء هذا التصور ، كتب اندرسون برقية مفرطة فى التفاؤل لدالاس ، اقترح فيها اعطاء تأكيدات لعبد الناصر بتجميد عضوية حلف بغداد بالنسبة للدول العربية وبأن الولايات المتحدة ستساعد فى بناء زعامته ، عن طريق التأكيد والتوضيح للقيادات العربية الأخرى ، انها تؤيد برنامجه الخاص بالوحدة العربية والأمن العربى (٦٢) ٠

وكان دالاس على استعداد لأن يقدم جمال عبد الناصر أى شيء فى مقابل الحصول على تسوية ، ففوض اندرسون فى ان يبلغ عبد الناصر باستعداد الحكومة الأمريكية لتأييد الزعامة المصرية والوحدة العربية بكافة الوسائل الممكنة ، فى اطار تسوية (٦٣) ٠

ولكن موجة التفاؤل سرعان ما انحسرت فى اللقاء الثانى مع عبد الناصر ، الذى تم فيه بحث أسس التسوية ٠ فقد أعلن

---

(٦١) Ibid.

(٦٢) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Cairo, Jan. 20, 1956. No. 3.

(٦٣) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From the Secretary of State to Anderson, washington, Jan. 20, 1956.

عبد الناصر انه ، فيما يتعلق بمشكلة اللاجئين يتمسك بمبدأ حق اللاجئين فى اختيار العودة الى الوطن أو التعويض واعادة التوطين . وعند بحث مشكلة الحدود ، صرح عبد الناصر بأن توفير قطاع يربط مصر بالدول العربية شرط أساس لا يمكن تحقيق تسوية دائمة بدون تحقيقه ، واضاف عبد الناصر « ان خط الحدود ينبغى ان يمتد من الضاهرية حوالى عشرة أميال جنوب غرب الخليل الى غزة » فأخبره اندرسون بأنه من المستحيل ان تقبل اسرائيل هذا التقسيم ، وان هذا الاقتراح ، من المؤكد انه سيحطم اية جهود لتسوية النزاع . وأعرب اندرسون عن أمله فى أن يعيد عبد الناصر التفكير فى مطالبه . غير ان عبد الناصر قد أعلن تمسكه بموقفه (٦٤) .

ولم تكن مسألة النقب هى وحدها سبب الاحباط الذى نشأ لدى الجانب الأمريكى فى المفاوضات مع عبد الناصر ، وانما كان هناك أيضا موقفه من مسألة توقيت اعلان التسوية .

فقد طرح عبد الناصر فكرة تحقيق السلام على مراحل ، بمعنى ان يتم بناء السلام بخطوات هادئة وتدريجية من خلال ثلاث مراحل زمنية ، فتكون محادثات المبعوث الأمريكى مع الجانبين المصرى والاسرائيلى هى المرحلة الأولى ، ويتم فيها تقريب وجهات النظر بين الطرفين ، ويتبع تلك المرحلة مرحلة ثانية يحاول فيها عبد الناصر اقناع الدول العربية بالسلام مع اسرائيل ، ويعمل على جمع كلمة الزعماء العرب على موقف عربى موحد من قضية الحرب والسلام مع اسرائيل ، ضمانا لقبول الاتفاق الذى سيصل اليه عبد الناصر

---

(٦٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept. of State, Cairo, Jan. 21, 1956. No. 13.

وبن جوريون · ثم يلى ذلك مرحلة أخيرة تجرى فيها مفاوضات سلام بين العرب واسرائيل (٦٥) ·

وكان من دواعي رضا الجانب الأمريكي عن منهج العمل المطروح من جانب عبد الناصر ، أنه لم يقرر أجلا زمنيا محددا للمرحلة الثانية ، الخاصة بخلق قبول عربي للتسوية · وصرح عبد الناصر بأن تلك المرحلة ستستغرق فترة طويلة قد تصل الى ستة أشهر ، وانه لن يمكن انجازها الا اذا سبقها فترة هدوء على الحدود (٦٦) ·

ولم يكن الوضع الأمريكي في الداخل يحتمل هذا التسويف وقد أصبحت انتخابات الرئاسة الأمريكية على مرمى البصر ، ووصلت الضغوط الاسرائيلية للحصول على السلاح وعلى ضمانات أمن أمريكية حدا لم يعد فى امكان الادارة الأمريكية مقاومتها ، وأثارت تقارير المخابرات الأمريكية الشكوك فى النوايا الاسرائيلية تجاه مصر ·

وهكذا أوضحت الجولة الأولى من المباحثات مع عبد الناصر ان حلم السلام ليس من السهل تحقيقه ، فان ما عرضته مصر كحد أدنى للحقوق العربية ، ليس من السهل انتزاعه من اسرائيل ، وما ابدته مصر من استعداد لاستخدام ما تملك من القدرات السياسية والمعنوية ، لا يتناسب مع حجم دور الشريك ، الذى حددته لها الولايات المتحدة فى عملية السلام ·

الا أنه فى المقابل ، نجحت الولايات المتحدة فى الحصول على موافقة مصر على مبدأ الاعتراف باسرائيل والسلام معها ، التى كانت

---

(٦٥) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Cairo, Jan. 19. 1955. No. 3.

(٦٦) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message to Washington, Cairo, Jan. 24, 1956. No. 22.

تعد من أهم مفاتيح تسوية النزاع ، وفى هذا الاطار اعتبر الجانب الأمريكى ، « انه برغم كل شيء قد كسب نقطة من عبد الناصر عندما جعله يوافق على ان يتحرك بشكل فعال نحو تسوية سلام مع اسرائيل » (٦٧) ، فقد كان السير فى طريق السلام مع اسرائيل فى ذلك الوقت يعد على حد قول عبد الناصر ـ « أصعب وأخطر قرار بالنسبة لأى زعيم عربى من هذا الجيل » (٦٨) ٠

وفى ٢٢ يناير سافر اندرسون الى اسرائيل ، لمواصلة جهود استكشاف فرص السلام ، والتقى بين جوريون وشاريت يوم ٢٣ يناير ، حيث استفسر اندرسون عن موقف اسرائيل من عملية السلام ٠

فتحدث بن جوريون مؤكدا رغبته القوية فى تحقيق السلام ، بشرط « ان يكون السلام في اطار طموح اسرائيل الوطنى » ، وشرح بن جوريون تلك النظرية بقوله « ان أرض اسرائيل صغيرة جدا ، والسلام الذى يتضمن خسارة فى الأرض يكون انتحارا أكثر منه سلاما » ، وأضاف بن جوريون قائلا انه « طالما هناك أمل فى الوصول الى تسوية ولو ١٪ ، فان اسرائيل ستدخل المفاوضات » (٦٩) ٠

على هذا النحو رد بن جوريون على نداء السلام ردا يجمع بين نعم ولا فى وقت واحد ٠ فهو يؤكد رغبة اسرائيل فى السلام وفى نفس الوقت يعلن ان مسألة تنازل اسرائيل عن جزء من الأرض

---

(٦٧) Ibid.

(٦٨) Ibid.

(٦٩) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Jerusalem, Jan. 23, 1956. No. 19.

التى تحتلها كثمن للسلام ، هى مسألة خارج دائـرة التفاوض ، مما يعنى انه قد أنهى الحوار قبل ان يبدأ ٠

وكما رفضت اسرائيل التنازل عن قطـــاع يربط بين مصر والعالم العربى ، رفضت قبـــول حـــل لمشكلة اللاجئين يضمن للفلسطينيين حق تقرير المصير ، فصرح بن جوريون بأن « اعطاء اللاجئين الحـــرية فى اختيـــار العـودة الى الوطن أو التعويض أمـــر لا مجال للبحث فيه (٧٠) ٠

وهكذا رفضت اسرائيل المقترحات المصرية دون ان تقـــدم اقتراحا واحدا يؤكد ستعدادها للبحث فى جوهر عملية السلام ، التى أصبحت ترتبط بانسحاب اسرائيـــل من جزء من الأراضى العربية المحتلة ، ولم تكن اسرائيل على استعداد لمبادلة الأرض بالســـلام ، ومن ثم فقد رفضت كل التنـــازلات والمزايا التى عرضتها مصر ٠

وللتهرب من تحدى السلام والتزامه اتجه التكتيك الاسرائيلى نحو العمل على عرقلة جهود التسوية ، من خـلال اثارة العقبـــات الاجرائية ، التى تؤدى الى تحويل الجهود فى المباحثات الى قضايا هامشية ، وصرفها عن جوهر القضية ، وهو مبادلة الأرض بالسلام ، فطرح الجانب الاسرائيـــلى فى جلســـة المحادثات الثالثة ، التى انعقدت فى ٢٤ يناير ، اقتراح عقد محـــادثات مباشرة بين مصر واسرائيل ، بدعوى ان ذلك سيكون الدليل على نوايا عبد الناصر الطيبة ، وانه ما لم تنتهج مصر هذا السبيل ، فان حكومة اسرائيل

---

(٧٠) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Jerusalem, Jan. 24, 1956. No. 26.

ستعتبر حديث عبد الناصر عن السـلام ليس الا محاولة لخداع الرئيس ايزنهاور وخداع الاسرائيليين (٧١) ٠

ويلاحظ ان شاريت قد أوضـح ان تلك المحادثات المباشرة ستقتصر على مناقشة مسائل ثانوية تمهيدا لمناقشـة المسـائل الرئيسية فيما بعد فى جو من التفاهم المتبادل أفضـل من الجو الحالى (٧٢) ، مما يوضح ان هدف اسرائيل هو محـاولة تطويل المناقشات بقصد تهبيط القوة الدافعة لجهود السلام ٠

على هذا النحو وضـح التباين الشـديد بين وجهتى النظر المصرية والاسرائيلية اذ لم يترك بن جوريون مجـالا للشك لدى أندرسون فى امكانية ان تقبل اسرائيـل مقترحات التسـوية المعروضة من جانب مصر ، وفى المقابل كان عبد الناصر يؤكد عدم امكانية المضى فى عملية التسوية الا على أساس تلك المقترحات ٠ وبذلك أصبح واضحا ان نجاح مهمة اندرسـون مسـألة بعيـدة الاحتمال ٠

وكان عندئذ ان تدخل دالاس ، وطلب من أندرسون أن يركز العمل فى الجولة الثانية للمحادثات على بحث تفاصـيل العناصر الأخرى للتسوية ، وتحديد نطاق الاتفاق ومناطق الخلاف وطبيعته ٠

واقترح دالاس ان يبحث اندرسون مع عبد الناصر الخطط التى يقترحها لاعـادة توطين اللاجئين الذين سيختارون التعويض واعادة التوطين ، والمبالغ التى يعتبرها عبد الناصر تعويضـا

(٧١) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Jerusalem, Jan. 25, 1956. No. 29.

(٧٢) Ibid.

مناسبا . كذلك طلب دالاس من اندرسون ان يستوضح موقف عبد الناصر بخصوص امكانية ان يستخدم نفوذه للحصول على موافقة الدول العربية الأخرى على اقتسام القدس بين اسرائيل والأردن ، وان يسأله عن تصوراته بشأن كيفية تحقيق الاشراف على الأماكن المقدسة . واقترح دالاس ان يحاول اندرسون معرفة الصيغ التي يقترحها عبد الناصر بخصوص انهاء المقاطعة الثانوية ، والغاء القيود على الملاحة الاسرائيلية فى السويس وفى خليج العقبة (٧٣) .

وكان من رأى دالاس ان الحصول من عبد الناصر على نصوص محددة لكل عناصر التسوية سيكون الورقة التى تستطيع بها الولايات المتحدة الضغط على اسرائيل لكى تقدم تنازلات فيما يتعلق بمسألة النقب ، من منطلق ان التسوية قد أصبحت تتوقف على موقف اسرائيل من تلك المسألة ، وقال دالاس ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تضغط على اسرائيل على أساس مجرد تصريح من جانب عبد الناصر بأنه فى حالة التوصل الى اتفاق بشأن مسألتى النقب واللاجئين ، فان المشاكل الأخرى ستحل من تلقاء نفسها (٧٤) .

وفى اطار تلك الخطة الأمريكية ، تركزت جهود اندرسون فى جولة المحادثات الثانية فى محاولة حمل عبد الجاصر على البدء فى عملية التسوية .

---

(٧٣) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Secretary of State, to R. Anderson at Cairo, Jan. 24, 1956.
F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Secretary of State, to R. Anderson at Cairo, Jan. 25, 1956.

(٧٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Secretary of State to R. Anderson at Cairo Jan. 26, 1956.
F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Secretary of State to R. Anderson at Cairo, Jan. 28. 1956.

ففي اللقاء الذى جرى فى ٢٦ يناير ١٩٥٦ ، أخبر أندرسون عبد الناصر بأن الولايات المتحدة تعتقد أنه يمكن تحقيق تسوية من خلال العمل على أساس البرنامج المرحلى الذى اقترحه عبد الناصر ، وأكد أندرسون الحاجة الى سرعه البدء فى اتخاذ خطوات عملية نحو التسوية ، وأهمية عنصر الوقت · واقترح أندرسون انشاء مجموعة عمل مهمتها بحث المسائل الفنية ، ومتابعة العمل على تحضير الشعب المصرى والشعوب العربية لقبول تسوية مع اسرائيل ، بالاضافة الى مناقشة عناصر التسوية ·

ورد عبد الناصر بأن أبدى استعداده للعمل على الفور وفقا للبرنامج المقترح · ووافق على انشاء مجموعة عمل ، مكونة من زكريا محيى الدين وعلى صبرى ، لتكون على اتصال مستمر بالجانب الأمريكى ، بهدف انجاز العمل اللازم للوصول الى تسوية ، وان يتم استئناف المشاورات معه فى فترات منتظمة ، بشأن ما تم انجازه من عمل من خلال مجموعة العمل (٧٥) ·

وبذلك نجح أندرسون فى ان يضيف الى المحادثات بعدا لم يكن مطروحا فى الجولة الأولى ، وهو توسيع نطاق المحادثات ليتجاوز حدود الكلام والتصريحات الى الأفعال والتحركات الفعلية نحو السلام ·

بهذا الشكل اكتسبت جهود التسوية ايقاعا أسرع ، واستطاع الجانب الأمريكى ، بالتعاون مع مجموعة العمل المصرية ، انجاز الهدف الرئيسى من تلك المرحلة ، أى الوصول الى اتفاق مع مصر على كل عناصر التسوية ، فتم وضع ورقة عمل تتضمن بيانا

---

(٧٥) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Secretary of State, to R. Anderson at Cairo, Jan. 28, 1956.

مصريا بالمبادىء العامة التى توفر أساسا مرضيا لحل النزاع العربى/ الاسرائيلى (٧٦) ·

وكان الموضوع الثانى الذى طرحه أندرسون للمناقشة فى جولته الثانية مع عبد الناصر يدور حول مسألة المحادثات المباشرة بين مصر واسرائيل فنقل أندرسون لعبد الناصر طلب اسرائيل باجراء محادثات مباشرة مع مصر « على أى مستوى مناسب » فرد عبد الناصر بأنه ، برغم ما أثبتته تجربته السابقة في المحادثات المباشرة مع اسرائيل من عدم جدوى تلك المحادثات ، التى تتخذ منها اسرائيل وسيلة لخداعه ، فانه سيعيد التفكير فى اعادة فتح قنوات الاتصال مع الاسرائيليين · وفوض عبد الناصر أندرسون فى ان يبلغ حكومة اسرائيل بأنه سيدرس امكانية تحقيق طلبها (٧٧)·

وفى ٣١ يناير سافر أندرسون الى اسرائيل ، والتقى ببن جوريون وشاريت ، وصرح لهما بأن عبد الناصر قد وافق على ان يدرس مسألة اعادة فتح مفاوضات مباشرة مع اسرائيل ، ثم عرض أندرسون قائمة بالبنود التى تمت مناقشتها مع عبد الناصر ، وأشار الى أنها تمثل فى مجموعها نقاط اتفاق ، سواء فى المبدأ أو فى التفاصيل (٧٨) ·

وهكذا لم يعد لدى اسرائيل الا هامش ضيق للمناورة ، بعد ان أثبتت مصر بالفعل وليس بالكلام انها ترغب حقيقة فى

---

(٧٦) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message to R. Anderson at Washington Cairo, Feb. 4, 1956 No. 74.

(٧٧) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message to From R. Anderson to the Dept of State, Cairo, Jan. 28, 1956 No. 34.

(٧٨) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message to From R. Anderson to the Dept of State, Jerusalem, Feb. 1, 1956 No. 66.

تحقيق السلام ، مما يعني ان انهاء النزاع قد أصبح يتوقف على قبول اسرائيل تقديم التنازلات المطلوبة منها مقابل السلام ٠ وكان عندئذ ان لجأت اسرائيل الى حيلة تتحصن وراءها الى ان تتولى مصر رفع شعار الرفض بدلا منها ، فتراجعت بشكل مفاجيء عن طلب عقد محادثات مباشرة مع مصر « على أى مستوى مناسب » ، وطرح بن جوريون الخيار الوحيد المتيقن من رفض مصر له مسبقا ، وهو لقاء عبد الناصر وجها لوجه ، وأعلن بن جوريون « انه لن يصرح أبدا بالثمن الذى يود ان يدفعه مقابل السلام الى أى طرف ثالث » (٧٩) ٠

ولم يكن ذلك يعنى فقط ان بن جوريون ينهى مهمة أندرسون التى هى فى الأساس التوسط بين الطرفين للتقريب بين وجهات نظرهما ، وانما كان يعني أيضا انه ينهى المحادثات ذاتها ويفرغها من مضمونها ، من خلال تحويل الأضواء من قضية الأراضى المحتلة الى قضية التخاطب المباشر بين العرب واسرائيل

وكما توقع بن جوريون ، رفض عبد الناصر بمنتهى الحسم والوضوح حتى مجرد التفكير فى مثل هذا اللقاء ، وقال لاندرسون ان تحقيق الطلب الاسرائيلى يعنى تعريض أمنه الشخصى للخطر ، وأضاف عبد الناصر قائلا ان ذلك اللقاء قد يكون ممكنا عندما يصبح العرب أكثر تقبلا لفكرة السلام مع اسرائيل (٨٠) ٠

وبذلك استطاعت اسرائيل اختلاق جدل لامبرر له ولا جدوى من ورائه ، حول مسألة لقاء بن جوريون وعبد الناصر ، سوى

---

(٧٩) Ibid.

(٨٠) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message to From R. Anderson of the Dept of State, Cairo, Feb. 3, 1956 No. 72.

ادخال المحادثات في حلقة مفرغة وافشال كل ما بذل من جهـــود لتحقيق السلام ٠

على هذا النحو انتهت جولة المباحثات الثانية بتأكيد انعدام أى أمل فى الحصول على استجابة اسرائيلية لنداء السلام ، بل وتأكيد اصرار اسرائيل على السير فى طريق الحرب ، حيث كشفت كل المباحثات التى أجرتها حكومة اسرائيل مع المبعوث الأمريكى ، عن انها قد جعلت لمسألة الحصول على السلاح الأولوية القصوى لاهتماماتها ٠

ونظرا لأن الاعداد للمرحلة التاليـــة كان يستلزم اجـــراء مناقشات فى الولايات المتحدة على أعلى مستوى ، فقد قرر أندرسون العـودة الى واشـــنطن ، واخبار الطرفين المصرى والاسرائيلى بأنه سيعود الى المنطقة بعد أســـبوع واحـــد لاســـتئناف محادثات السلام (٨١) ٠

وفى نهاية شهر فبراير بدأت الحكومة الأمريكية فى الاعداد للجولة الثالثة والأخيرة للمحادثات بارســـال خطابات من قبل الرئيس ايزنهاور الى كل من عبد الناصر وبن جوريون تخبرهمـــا بأن أندرسون سيعود الى المنطقة فى خلال أيام لاستئناف المحادثات معهما ٠ وقال ايزنهاور فى رسالته لبن جوريون ، ان طلب اسرائيل بخصوص الحصول على السلاح يلقى اهتمامه الشخصى (٨٢) ٠ وصرح ايزنهاور فى رسالته لعبد الناصر باهتمامه الشديد بمتابعة

---

(٨١) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Dept of State, Athens, Feb. 3, 1956 No, 72.

(٨٢) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Letter From President Eisenhower to the Prime Minister Ben Gurion, Washington, Feb. 27, 1956.

المفاوضات التى تجرى فى القاهرة بشأن السد العالى (٨٣) ٠

وفى أوائل مارس وصل أندرسون الى القاهرة ، وكان اول لقاء بينه وبين جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وعلى صبرى فى ٤ مارس ١٩٥٦ ٠ وأهمية تلك الجلسة ترجع الى ما تم فيها من كشف للأوراق والمواقف بوضوح تام ، فطرح كل طرف الموضوعات التى يعطيها أولوية ، وحاول ان يدفع الطرف الآخر الى العمل على تحقيقها ٠

فتحدث عبد الناصر عن حلف بغداد ، وأفاض فى شرح قلقه العميق بسبب هذا الموضوع ، وتحدث أندرسون عن تسوية النزاع العربى / الاسرائيلى وحاول ان يقنع عبد الناصر بأن ذلك مجال مناسب لممارسة الزعامة المصرية وبأن قيام عبد الناصر بهذا الدور سيكون له دلالة كبرى على قدراته على تولى الزعامة العربية ٠ وأكد عبد الناصر ان قلقه بشأن مسألة التسوية مع اسرائيل سيقل بشكل كبير « اذا ما أزيل هذا الخطر عن ظهره » ٠ وهنا سأل أندرسون عبد الناصر بشكل صريح ومحدد اذا كان سيتحرك لتسوية النزاع مع اسرائيل اذا ما أصبح واثقا من انه لن يكون هناك أية جهود لضم دول عربية أخرى للحلف ، فرد عبد الناصر على الفور بالايجاب ٠ فعرض عليه أندرسون ان تقدم له الولايات المتحدة تأكيدا بشأن تلك المسألة ، مقابل تأكيد من جانبه بأنه سيعمل على الفور على تحقيق تسوية مع اسرائيل ٠ وبينما لم تصل المناقشة حول هذه النقطة الى حد الالزام الفعلى ، فان عبد الناصر قد وافق على ان هناك امكانية للاتفاق (٨٤) ٠

---

(٨٣) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Letter From President EisenhoWer to the prime Minister Nasser, Washington, Feb. 27, 1956.

(٨٤) F.R U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Secretary at Karachi, Cairo March 5, 1956, No. 110.

لقد أصبح واضحا اذن ان حل قضية النزاع العربى / الاسرائيلى أصبح رهنا بحل قضية حلف بغداد وزعامة العالم العربى . وأدرك أندرسون ان تحقيق المصالح الأمريكية فى المنطقة يرتبط بتحقيق المصالح المصرية فيها، فقد « بدا واضحا ان عبد الناصر كان منشغلا فى كل المحادثات التى أجراها مع الجانب الأمريكى بموضوع حلف بغداد أكثر من أى شىء آخر » (٨٥) .

وهكذا عادت المحادثات الى نقطة البداية ، وتساءل أندرسون فى برقيته الى دالاس عن التأكيدات التى يمكن تقديمها لعبد الناصر بشأن مسألة تجميد حلف بغداد ، مقابل الحصول على تأكيدات من عبد الناصر بالسعى الجاد لتحقيق تسوية النزاع مع اسرائيل (٨٦) .

غير ان الجانب الأمريكى لم يلبث ان فوجىء فى الجلسة التى عقدت فى اليوم الثانى بتغير حاد ومفاجىء فى موقف جمال عبد الناصر ، وصل الى حد تراجع الدور المصرى فى عملية السلام .

فلقد رفض عبد الناصر ان يجتمع بمبعوث اسرائيلى قبل الاتفاق مع الولايات المتحدة على خطة عمل لحل المشاكل التى تعانى مصر منها فى المنطقة ، وقبل التوصل الى حل لنقاط الخلاف الأساسية بين مصر واسرائيل . وسأله أندرسون اذا كان يقبل الاجتماع بمواطن أمريكى يهودى فرفض عبد الناصر قائلا « انه سيظل يهوديا » (٨٧) . وبذلك أغلق عبد الناصر تماما باب امكانية الاجتماع المباشر مع اسرائيل فى أى شكل من أشكاله .

---

(٨٥) Ibid.

(٨٦) Ibid.

(٨٧) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Secretary of State at Karachi, Cairo, March 6, 1956. No. 111.

ثم لم يلبث عبد الناصر ان طرح موقفا يخرج عن اطار كل الحسابات الأمريكية عندما صرح بأن من الصعب على مصر القيام بمبادرة رسمية للصلح مع اسرائيل ، ومن ثم فانه لن يستطيع تقديم التسوية التى سيتم التوصل اليها مع اسرائيل الى الدول العربية باعتبارها تمثل أفكاره وآراءه الشخصية ، وانما ينبغى أن يقوم طرف خارجى مناسب بمهمة تقديم مقترحات التسوية الى كل من مصر والدول العربية الأخرى للنظر فيها .

ورد أندرسون ، الذى فوجىء بموقف عبد النـــاصر ، بقوله « ان ذلك عنصر جديد ، وقد كنا حتى الآن نعتقد ان مصر ستتكفل بتحقيق موافقة عربية على تسوية تتضمن المبادىء التى هى قد وافقت عليها » .

وحاول أندرسون ان يقنع عبد الناصر بأن تتولى مصر مركز الزعامة وقيادة الدول العربية فى مسألة تسوية النزاع العربى / الاسرائيلى ، ورد عبد الناصر بقوله « أنتم تتحدثون باستمرار عن المشاكل مع اسرائيل كما لو كانت مشاكلنا نحن التى يجب علينا ان نحلها . انها فى الواقع مشاكلكم أنتم وعليكم وليس علينا ايجاد حلول لها . دورنا الوحيد هو ان نساعدكم فى محاولة اقناع الدول العربية بالموافقة على تسوية متفق عليها . اننا نريد مناقشـــة السياسات المصرية والأمريكية فى المنطقة ، وعليكم أنتم ايجـــاد الوسائل المجدية لمواجهة مشكلة عدوانية الاسرائيليين » (٨٨) .

وبهذا الشكل سحب عبد الناصر يده من مبادرات التسوية ، وأعلن موقفه بصراحة تامة بقوله « أنا لا أريد ان أخاطر بمستقبل

---

(٨٨) Ibid.

ومستقبل بلدى فى أية ظروف مشابهة لحادث الملك عبد الله » (٨٩) ، وقال عبد الناصر « أنا لا أستطيع أن أقود الدول العربية فى هذا ، والا سأقضى على زعامتى » (٩٠) · وبذلك قضى عبد الناصر على كل ما كان لدى الولايات المتحدة من أمل فى امكانية اســــتخدام زعامته القومية وتأثيرها على العالم العربى لتحقيق تسوية للنزاع العربى / الاسرائيلى ·

ولم يجد أندرســـون لذلك التحول المفاجىء الذى طرأ على موقف عبد الناصر من تفسير سوى تخوفه من تأثير محادثات السلام على المحادثات العربيـــة ، التى كانت تدور فى ذلك الوقت بين عبد الناصر والملك ســعود وشــكرى القوتلى فى القاهرة ، لعقد اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والسعودية وسوريا (٩١) ·

وهو تفسير منطقى ، تتأكد صحته مما قاله عبد النــــاصر لاندرسون ، أثناء محاولة أندرسون اقناعه بأنه يستطيع تحقيق زعامته القومية من خلال اتخاذه موقفا قياديا للدول العربية الأخرى للاستجابة لتسوية النزاع العربى / الاسرائيلى ، عن ان دخــــوله كشريك كامل فى مفاوضات تسوية النزاع سيكسبه تأييد الرأى العام العالمى ، ولكنه سيفقده تأييد العالم العربى (٩٢) ·

وعلى كل ، فمما لاشك فيه ، ان عبد الناصر قد وضـــع فى حساباته ان عمله سيلقى معارضة الزعماء العرب ، الذين لم يكونوا

---

(٨٩) وكان الملك عبد الله قد اغتيل عندما انتشرت أنباء اتصاله بالاسرائيليين واتجاهه نحو الصلح معهم ·

(٩٠) Ibid.

(٩١) Ibid.

(٩٢) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Acting Secretary of State, Athens, March 7, 1956. No. 117.

فى ذلك الحين قد وصلوا بعد الى مرحلة استنفاد الجهد الذى يدفعهم الى التسليم بالسلام مع اسرائيل ، وسيصدم الشعوب العربية التى التصقت به وتعلقت آمالها الوطنية عليه ، بعد ان أثار فى نفوسهم الأمل فى امكانية استراد الحقوق العربية فى فلسطين ، بجمع شمل العرب ومواجهة اسرائيل .

وتتعلق حسابات عبد الناصر في جزء منها ، بموقفه من قضية السلام مع اسرائيل ، وهنا نلاحظ ان عبد الناصر ، وان كان لا يوجد لديه فى تلك المرحلة أدنى نية للتورط في حرب مع اسرائيل ، كما أوضحت التصريحات التى أدلى بها فى كل جلسات المحادثات التى أجراها مع أندرسون ، الا أن قضية السلام فى حد ذاتها لم تكن تحتل مساحة مهمة فى فكر عبد الناصر فى ذلك الوقت ، ولم تمثل بالنسبة له هدفا سياسيا ، يتبناه ويسعى الى تحقيقه ، وانما كانت بالنسبة له الطريق الى الوفاق مع الغرب ، الذى كان خطوة ضرورية لابد منها لتحقيق الزعامة القومية التى كان يحلم بها ، والتى تصدرت أولويات اهتمامه .

ويرجع موقف عبد الناصر من قضية السلام الى أن امكانية قيام اسرائيل بهجوم على مصر لم تكن تسبب له قلقا فى ذلك الوقت ، فبرغم الاعتداءات الاسرائيلية المتواصلة على الحدود المصرية ، لم يتوقع عبد الناصر ان يتطور الأمر الى حرب ، فلقد كان يعتقد ـ وفقا لما ذكره أندرسون ـ ان المصلحة الأمريكية تقتضى عدم قيام حرب فى المنطقة ، وان التأثير الأمريكى على اسرائيل نتيجة للعلاقات الخاصة بينهما كاف لمنعها من شن حرب ضد مصر (٩٣) .

---

(٩٣) F.R U.S. 1955-1957. Vol. XV, Message From R. Anderson to the Secretary of State at Karachi, Cairo, March 6, 1956. No. 115.

وعلى الرغم من أنه قد أصبح واضحا تماما بالنسبة لاندرسون « ان أية محادثات مع عبد الناصر لن تكون مثمرة » ، بعد ان اتضح ان اقناعه بقيام مصر بدور الشريك الكامل فى تسوية النزاع ليس ممكنا ، الا أنه قد طلب فى نهاية الجلسة اجراء محادثات اضافية قبل سفره الى اسرائيل ، الذى كان محددا له يوم ٧ مارس ، من أجل ان يترك الأبواب مفتوحة أمام امكانات تجدد التحرك نحو تسوية · ووافق عبد الناصر على عقد جلسة فى صباح اليوم الثانى (٩٤) ·

غير ان الجانب الأمريكى ، بعد أن أعاد حساباته على ضوء المتغيرات التى حدثت فى الموقف المصرى ، اتجهت خطته نحو العمل على تحميل عبد الناصر مسؤلية فشل المحادثات · ومن هنا بادر أندرسون بمقابلة على صبرى فى صباح ٦ مارس ، ليقول انه وان كان يسعده أن يجتمع مع عبد الناصر ، الا أنه لايوجد لديه أية مقترحات أخرى ، غير التى قدمها من قبل ، وأضاف أندرسون قائلا ، انه سيكون ممتنا اذا ما رغب عبد الناصر فى اجراء محادثات اضافية ، واذا ما كان لديه مقترحات ايجابية لاحراز تقدم نحو التسوية ، ويود مناقشتها معه (٩٥) ·

بذلك قام أندرسون بمحاولة هجومية لالقاء الكرة فى الملعب المصرى ، انتظارا لرد الفعل ، فاما قبولا يذلل العقبات التى اعترضت طريق التسوية ، واما رفضا تتحمل مصر به تبعات عملها ·

---

(٩٤) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Secretary of State at Karachi, Cairo, March 6, 1956. No. 111.

(٩٥) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Acting Secretary of State, Athens Cairo, March 7, 1956. No. 117.

ولم ينتبه عبد الناصر لابعاد تلك المناورة السياسية ، فأرسل علي صبرى بعد ظهر نفس اليوم ، ليبلغ أندرسون بانه « لايوجد لدى عبد الناصر مقترحات اضافية أو موضوعات تستلزم المناقشة » (٩٦) . وكان معنى ذلك ان عبد الناصر يغلق باب الوساطة الأمريكية .

وبذلك انقلب الوضع رأسا على عقب ، وأصبحت مصر ، وليست اسرائيل ، هى المسئولة عن فشل محادثات السلام ، وألقت الولايات المتحدة على مصر مسئولية تعنت اسرائيل ، مع كل ما يترتب على ذلك من تبعات .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : لماذا اندفع عبد الناصر الى المبادرة بتحمل مسئولية فشل المحادثات ، مع ان كل شواهد الموقف الاسرائيلى كانت تشير الى قدر من التعنت والتشدد من جانب اسرائيل ، يكفى لتحطيم أية محادثات ؟

وفى ضوء هذا السؤال يتبين ان التسرع فى انهاء المحادثات من جانب عبد الناصر قد أعطى لاسرائيل الفرصة لتأكيد صحة ادعاءاتها بأن مصر لاتريد السلام ، وبالتالى لتبرير اصرارها على السير فى طريق الحرب والعدوان .

ففى ٧ مارس سافر أندرسون الى اسرائيل ، واجتمع ببن جوريون وشاريت فى ٩ مارس ، حيث عرض أندرسون نتائج زيارته لمصر ، ثم طرح أندرسون على المسئولين الاسرائيليين فكرة مواصلة السير فى عملية السلام على أساس تقديم مشروع سلام

---

(٩٦) Ibid.

أمريكي جاهز للحكومتين المصرية والاسرائيلية (٩٧) ٠

ورد بن جوريون على اقتراح أندرسون بقوله « تستطيعون مواصلة جهود بعثتكم ، اذا كنم تريدون مواصلتها ، ولكن الشيء الوحيد الذي ينبغي ان أوليه اهتمامي الآن هو دفاع اسرائيل وأمن شعبها » وأعلن بن جوريون بوضوح تام ان هدفه القادم سيكون اعادة تقييم مواقفه ، وانه لن يدع الآمال الناتجة عن هذه البعثة تحركه بعد الآن ٠ واتهم بن جوريون بعثة أندرسون بأنها قد عملت ضد مصالح اسرائيل ، بتوفيرها وقتا اضافيا لمصر . لاستيعاب الأسلحة السوفيتية وأضاف بن جوريون قائلا « ان المشكلة لم تعد مشكلة تحقيق السلام فى المستقبل القريب وانما كيفية تفادي الحرب » ٠ وأكد بن جوريون ان ذلك يمكن تحقيقه فقط ببناء قوة دفاعية لاسرائيل كافية لمنع الاعتداء عليها (٩٨) ٠

وكانت تصريحات بن جوريون بمثابة اعلان واضح عن انصراف اسرائيل عن الحل السلمي واتجاهها للحرب ، وهو ما أكده شاريت لاندرسون بقوله « ان كل الطرق أصبحت تؤدي الى الحرب » (٩٩) ٠

وبذلك انتهت بعثة أندرسون بفشل ذريع ، بعد ان أثبتت عدم امكانية تحقيق مشروع السلام الأمريكى / البريطانى « ألفا » ولم تسفر عن أى نتيجة سوى انقلاب الولايات المتحدة والغرب ضد مصر ، وتعميق الصراع بين مصر واسرائيل ٠

---

(٩٧) F.R.U.S. 1955-1957. Vol. XV. Message From R. Anderson to the Secretary of State at New Delhi, Tel Aviv, March 9, 1956. No. 121.

(٩٨) Ibid.

(٩٩) Ibid.

مبادرة يارنج بين السلام والحرب

د. عبد العظيم رمضان

نقطة البداية فى الكلام عن مبادرة يارنج ، هى حرب يونية ١٩٦٧ وما ترتب عليها من هزيمة ساحقة منيت بها القوات المصرية فى سيناء ، والقوات السورية فى الجولان ، والقوات الأردنية فى الضفة الغربية .

قبل هذه الحرب كانت القضية الفلسطينية تحتل مكان الصدارة فى اهتمامات مصر والدول العربية المحيطة باسرائيل ، وكانت هى أصل النزاع ، فاسرائيل لم توجد الا لأن فلسطين قد اختفت من الوجود ، وعودة فلسطين الى الوجود لا تتحقق الا باختفاء اسرائيل من الوجود . وهذا هو ما عبر عنه الدكتور فايز صايغ بقوله : « ان اسرائيل موجودة لأن فلسطين قد منعت من أن توجد . فوجود اسرائيل يكمن فى عدم وجود فلسطين » . ومن هنا قامت السياسة العربية على ضرورة ازالة اسرائيل حتى تعود فلسطين الى الوجود .

على أن حرب يونية ١٩٦٧ أتت بمتغير جديد ، هو احتلال اسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة ، وبذلك تفاقمت المشكلة وتعقدت ، لأن الأراضى الجديدة التى احتلت تنتمى لثلاث دول هى مصر وسوريا والأردن ، وبعضها واقع تحت ادارتها ، وهذه

الدول لها حدود معترف بها دوليا ، يضمنها القانون الدولى وميثاق هيئة الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية والمواثيق الدولية ، كما أن لهذه الدول جيوشا وعلاقات دولية وشعوبا تحكمها ، ولذلك لا تستطيع ترك اسرائيل تحتل تلك الأراضى التى احتلتها فى حرب يونية ١٩٦٧ طويلا حتى لا تؤثر على مصالحها وهيبتها ، ومن هنا تغيرت أولويات الصراع العربى الاسرائيلى ، فتراجعت القضية الفلسطينية الى المقام الثانى ، وتقدمت قضية تحرير الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيل الى المقام الأول . وفى الوقت نفسه اختفت قضية ازالة اسرائيل من الوجود ، وتقدمت قضية ازالة آثار العدوان .

وهذا هو ما عبر عنه قرار مجلس الأمن المشهور رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، الذى تضمنت نصوصه « احترام السيادة والحدود الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة ، وحقها فى أن تعيش آمنة فى نطاق حدود غير مهددة باستخدام القوة »،وذلك فى مقابل انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة — أو كما عبر عنها القرار « أراض عربية محتلة » .

وقد برر عبد الناصر قبول هذا التغيير فى استراتيجية مصر تجاه اسرائيل ، وقبوله بالوجود الاسرائيلى فى مقابل الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فى عدوان يونية ١٩٦٧ بقوله : « بعد نكسة ٥ يونيو ونتائجها الخطيرة المحزنة بالنسبة لأمتنا العربية ، فقدنا الجزء الأكبر من قواتنا العسكرية ، ولم يكن عندنا بديل عن الحل السلمى ، اذ لم يكن عندنا قوات مسلحة تستطيع أن نعتمد عليها » .

على أن عبد الناصر فرق بين قضيتين : الأولى قضية ازالة آثار العدوان ، والثانية القضية الفلسطينية . وبالنسبة للقضية الأولى فقد اعتبر اعترافه بالوجود الاسرائيلى كافيا كثمن لانسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة ، أما بالنسبة للقضية الثانية ، وهى القضية

الفلسطينية ، فقد قرنها بالسلام مع اسرائيل ، وبمعنى آخر أنه اعتبرها الأصل فى قضية السلام ٠

وقد عبر عبد الناصر عن ذلك فى حديث له مع سولز برجر فى ٢٦ فبراير ١٩٦٩ بقوله : « اذا استطعنا حل كل من مشكلة الأراضى المحتلة ومشكلة لاجئى فلسطين معا ، فان ذلك سوف ينتهى الى تسوية سلمية ، ولكن اذا سويت مشكلة الأراضى المحتلة فقط ، وأهملنا الجانب الآخر ، فلن يكون هناك سلام » ٠

وهنا نلاحظ أن عبد الناصر يستخدم فى وصف الفلسطينيين اسم « اللاجئين » ٠ ويرجع ذلك الى أن تصـــوره لحل القضـــية الفلسطينية كان يقوم على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فى دوراتها المنعقدة فى أعوام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٦٦ ، وهى التى تقضى بحق الفلسطينيين فى العودة الى وطنهم ٠

ونلاحظ أن فكرة قيام الدولة الفلسطينية لم تكن قد برزت الى الوجود ، اذ لم تعترف منظمة التحرير الفلسطينية وقتذاك بالقرار رقم ٢٤٢ ، على أساس أنه لم يتضمن حل المشكلة الفلسطينية ، وكان هدفها هو قيام الدولة الفلسطينية الديموقراطية على أرض فلسطين التى يعيش فيها العرب واليهود كمواطنين متساوين فى الحقوق ــ وبالتالى لم يكن ثمة أساس لفكرة قيام الدولة الفلسطينية بمعناه الحالى الذى يشتمل ــ بالضرورة ــ على قبول وجود الدولة الاسرائيلية ٠

والمهم هو أنه كان من الطبيعى أن يشتمل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ على تعيين أداة منفذة له تعمل على تحقيق شروطه ، وقد تمثلت هذه الأداة فى جونار يارنج ، الذى نص القرار على أن يقوم السـكرتير العام للأمم المتحدة بتعيينه كممثل خاص له للذهاب الى الشرق الأوسط ، لاجراء اتصالات مع الدول المعنية ،

من أجل الوصول الى اتفاق ، والمساعدة فى الجهود الرامية الى تحقيق حل سلمى مقبول وفقا للنصوص والمبادىء الواردة فى القرار .

كان جونار يارنج فى ذلك الحين سفيرا للسويد فى الاتحاد السوفيتى ، حين عينه السكرتير العام للأمم المتحدة ممثلا خاصا له لتنفيذ قرار مجلس الأمن . وقد أبلغ مصر بهذا التعيين ، فردت مصر يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٦٧ بأنها « ترحب باستقبال مبعوث الأمم المتحدة جونار يارنج ، وانها على استعداد للتعاون معه » .

وفى الفترة من صدور قرار مجلس الأمن الى مارس ١٩٦٩ ، قام جونار يارنج بزيارة عواصم الدول المعنية فى النزاع ، كما قام بسلسلة من الاتصالات مع حكومات الدول الكبرى المهتمة بالنزاع ، كما قام بزيارة عواصم دول الشرق الأوسط أكثر من مرة ، وذلك قبل أن يستطيع التقدم فى مارس ١٩٦٩ بقائمة من الأسئلة الى الحكومات المعنية ، (مصر والأردن واسرائيل) بغية توضيح أحكام القرار رقم ٢٤٢ بناء على اجابات هذه الحكومات .

وقد أوضحت هذه الاجابات مدى الاختلاف الجذرى الواقع بين الجانبين العربى والاسرائيلى ، ليس فقط فى تفسير قرار مجلس الأمن السالف الذكر ، وانما فى فهم مهمة السفير يارنج نفسها . فبينما اعتبر الجانب العربى مهمة يارنج منحصرة فى العمل على تنفيذ قرار مجلس الأمن ، وبخاصة أهم فقرة من فقراته ، وهى الاشراف على عملية انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة ـ فقد اعتبر الجانب الاسرائيلى مهمة يارنج مقصورة على التمهيد لتنظيم اللقاء بين الدول المعنية لكى تتفاوض بعد ذلك مباشرة .

والمهم هنا هو التنازلات التى قدمتها مصر فى أجوبتها ، لأول مرة منذ نشأة الصراع العربى الاسرائيلى . فقد أبدت موافقتها على

التعهد بانهاء حالة الحرب ، وأيضا تعهدها باحترام سيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى ، وقبلت صراحة حق كل دولة فى المنطقة فى أن تعيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها . كذلك قبلت مبدأ حرية الملاحة فى الممرات المائية فى المنطقة .

على أن مصر قرنت ذلك كله بانسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى العربية المحتلة نتيجة عدوان ٥ يونية ١٩٦٧ ، وتنفيذها بنود قرار مجلس الأمن ، وأوضحت أن المقصود بتنفيذ قرار مجلس الأمن من ناحية اسرائيل أنه يشمل ، الى جانب الانسحاب الكامل ، التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

أما اجابات اسرائيل ، فقد كان العامل المشترك فيها هو عدم تضمنها أى التزام مسبق من جانب الحكومة الاسرائيلية ، وافتراضها التوصل الى معاهدات صلح قبل انسحاب أية قوة اسرائيلية ، وافتراضها ضمنا ان هذا الانسحاب لن يكون كاملا . كما أنها حاولت التنصل من أية مسئولية منفردة عن حل مشكلة اللاجئين .

وقد كان من أهم أوجه الخلاف التى تكشفت خلال الاجابات السابقة ، هو ما تعلق بفكرة عقد معاهدة سلام بين الأطراف المعنية ، فبينما كانت اسرائيل ترى أن السلام يجب أن يجسد فى معاهدات سلام ثنائية بينها وبين كل دولة عربية على حدة ، كانت مصر ترى أنه « بالنظر الى تجربتها السابقة مع اسرائيل ، والغاء الأخيرة أربع اتفاقات « اتفاقات الهدنة » ، فانها تعتقد أن الوثيقة التى توقعها وتلتزم بمقتضاها بتنفيذ التزاماتها ، يجب أن توجه الى مجلس الأمن ، على أن توقع اسرائيل أيضا وثيقة توجهها الى مجلس الأمن وتتعهد فيها بتنفيذ التزاماتها الناشئة عن قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

كان هذا هو الطور الأول من مهمة جونار يارنج ، وكانت تلك هي نتائجه ، وهي نتائج أقنعت عبد الناصر بأن فرصة عقد السلام مع اسرائيل هي فرصة منعدمة تقريبا ، وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد الا بالقوة • ومن هنا أخذ يصعد نشاطه على الجبهة ، فارتفعت نسبة قصف المدفعية المصرية الثقيلة من ٢ر٧ فى المائة فى شهر مارس ١٩٦٩ ، الى ٦ر٣٥ فى المائة فى شهر ابريل ، ثم الى نسبة ٧٧ فى المائة فى شهر يونية • وتكبدت القوات الاسرائيلية فى خلال هذه الأشهر خسائر جسيمة •

وفى مواجهة هذا التصعيد تصاعد الدعم الأمريكى لاسرائيل بتسليمها طائرات الفانتوم سنة ١٩٦٩ ، وصعدت اسرائيل حرب الاستنزاف باستخدام الطيران الاسرائيلى على الجبهة وفى العمق فى الأراضى المصرية • وواجهت مصر ذلك بتدعيم شبكة دفاعها الجوى بصواريخ سام ٢ وسام ٣ فى النصف الأول من سنة ١٩٧٠ ، ثم فى النصف الأول من شهر يولية من ذلك العام حدث اسبوع تساقط طائرات الفانتوم •

وازاء كل هذا التصاعد فى حرب الاستنزاف أعلنت الولايات المتحدة مبادرة روجرز التى قبلتها مصر ، وتقوم على أساس العودة الى وقف اطلاق النار لمدة محدودة ، تقوم الأطراف المعنية خلالها بالتوصل ــ تحت اشراف السفير جونار يارنج ــ الى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ •

على أن اسرائيل لم تلبث أن تعللت بنقل عبد الناصر الصواريخ المصرية الى داخل منطقة وقف اطلاق النار ، لسحب مندوبها من محادثات يارنج يوم ٦ سبتمبر ١٩٧٠ • ولكنها عادت فأعلنت عودتها مرة ثانية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ • وفى يوم ٥ يناير ١٩٧١ أعلن يوثانت ، السكرتير العام للأمم المتحدة ، رسميا عودة مبعوثه الشخصى لاستئناف مهمته •

وفى يوم ٨ فبراير ١٩٧١ ، وبعد جولة للمبعوث الدولى يارنج بدأت منذ ٥ يناير ، تم فيها استكشاف وجهة النظر الاسرائيلية ، قام بخطوة مهمة تمثلت فى توجيهه لمصر واسرائيل مذكرتين مهمتين، كان الهدف منهما الحصول على التزامات من كل من الطرفين أساسية كمقدمات للوصول الى تسوية سلمية فى المستقبل • كما عبر عن أمله فى أن تصبح الالتزامات التى تربط كل من مصر واسرائيل نفسها بها أساسا لبنود اتفاقية السلام المطلوبة دوليا وعربيا •

وقد طلب يارنج فى مذكرته الى الحكومة الاسرائيلية ما يلى :

الالتزام بسحب قواتها من الأراضى المحتلة التابعة للجمهورية العربية المتحدة الى خط الحدود الدولية السابق بين مصر وفلسطين فى عهد الانتداب البريطانى ، على أن يرافق الانسحاب الاجراءات الآتية :

(أ) اقامة مناطق منزوعة السلاح •

(ب) ترتيبات أمن عملية فى منطقة شرم الشيخ ، تضمن حرية الملاحة فى مضايق تيران •

(ج) حرية الملاحة الاسرائيلية فى قناة السويس •

كما طلبت المذكرة المقدمة الى مصر الالتزام والتعهد بالدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل ، على أن تبين مصر لاسرائيل بكل وضوح اعترافها وقبولها بالأمور الآتية :

(أ) انتهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين •

(ب) الاعتراف باستقلال كل طرف واحترامه •

(ج) الاعتراف بحق كل طرف فى الحياة داخل حدود آمنة ومعترف بها ، واحترام هذا الحق •

(د) قبول كل طرف مسئولية القيام بكل ما في وسعه لضمان عدم انطلاق أية أعمال عدوانية من أراضيه ضد دولة الطرف الآخر وشعبها وممتلكاتها ·

(هـ) التعهد من قبل الطرفين بعدم التدخل في الشئون الداخلية للطرف الآخر ·

كانت مصر في ذلك الحين قد انتقلت من حكم الرئيس عبد الناصر الى حكم الرئيس السادات ، الذى أراد اتاحة الفرصة لجهود السلام ، وقدم بالفعل مبادرة في ٤ فبراير ١٩٧١ - أى قبل مذكرة يارنج بأربعة أيام - دعا فيها الى الانسحاب الجزئى واعادة فتح قناة السويس كخطوة أولى نحو التسوية الشاملة ·

ومن هنا كان موقف الرئيس السادات ايجابيا من مبادرة يارنج · فقد تعهد بالآتى :

١ - ضمان حرية الملاحة في قناة السويس ، وفقا لاتفاقية القسطنطينية سنة ١٩٨٨ ·

٢ - ضمان حرية الملاحة في مضايق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولى ·

٣ - القبول بوضع قوة سلام دولية في شرم الشيخ ·

كما نصت المذكرة المصرية على أنه بغية ضمان التسوية السلمية والسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان مصر تقبل ما يلى :

(أ) اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفى الحدود ·

(ب) انشاء قوة سلام تابعة للأمم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة في مجلس الأمن ·

وطالبت المذكرة المصرية اسرائيــل فى مقابل ذلك الالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وغزة ، وتحقيق تسـوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات جمعية الأمم المتحدة .

وقــد لقى الجواب المصرى ترحيبا كبيرا فى ذلك الحين على المستوى العالمى ، بما ذهب اليه من تنازلات لم يكن مبعثها سوى الرغبة الحقيقية فى اقرار السلام . ولكن هذه المحاولة السلامية من جانب مصر لقيت التعنت والصلف الاسرائيلى على النحو الآتى :

أولا : تجاهلت اسرائيل مذكرة يارنج ، معتبرة اياها تجاوزا منه لمهمته ، رغم أن السكرتير العام للأمم المتحدة ووزير الخارجية الأمريكية صرحا فى ذلك الحين بأنه من حقه طبقا لكتاب تفويضه ، القيام بأية مبادرة يرتئيها لانجاح مهمته .

ثانيا : بدلا من الرد على مذكرة يارنج ، قدمت اسرائيل اليه ردا على المذكرة المصرية السالفة الذكر فى يوم ٢٦ فبراير ١٩٧١ ليقوم بتوصيلها للجانب المصرى . وفى هذه المذكرة قدمت شروطها لاقرار السلام ، على النحو الآتى :

فقد رحبت اسرائيل بما عبرت عنه مصر من استعدادها للدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل ، وقالت انها مستعدة لاجراء مفاوضات حول كافة النقاط المتعلقة بهذه التسوية السلمية ، ولكنها ترى أن اتفاقية السلام مع مصر يجب أن تشمل ، فيما تشمل ، ما يلى :

١ ـ قرار معلن وصريح باعتبـار النزاع بين الجمهورية العربيـة واسرائيل منتهيا بشكل قاطع ، وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الأعمال العدوانية بين الطرفين .

٢ ـ الاعتراف بسيادة اسرائيل وحصانة أراضيهـا واستقلالهـا السياسى واحترامه .

٣ ـ الاعتراف بحق اسرائيل فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، تعينها اتفاقية السلام · واحترام هذا الحق ·

٤ ـ تحمل مسئولية ضمان عدم وقوع أى عمل حربى أو أى عمل من أعمال العنف من قبل أى منظمة أو جماعة أو فرد فى أراضى الجمهورية العربية المتحدة ضد شعب اسرائيل أو قواتها المسلحة أو ممتلكاتها ·

٥ ـ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لاسرائيل ·

٦ ـ تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية فى قناة السويس ·

٧ ـ انهاء الحرب الاقتصادية بكل مظاهرها ، بما فى ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل فى مجرى العلاقات الدولية الطبيعية لاسرائيل ·

٨ ـ عدم اشتراك مصر فى أية أحلاف معادية لاسرائيل · وحظر وجود أية قوات عسكرية لطرف ثالث فى حالة عداء مع اسرائيل · وعلى اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة الدخول فى اتفاقية سلام يعبر عنها بمعاهدة ملزمة وفقا للقوانين والطرق الدولية المألوفة · وتحوى المعاهدة التعهدات المذكورة أعلاه ·

وبالنسبة للانسحاب من الأراضى المصرية ، نصت المذكرة الاسرائيلية على انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الآمنة والمعترف بها والمتفق عليها والتى سيجرى تقريرها فى اتفاقية السلام · **ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ !**

وهذه العبارة الأخيرة التى ترد لأول مرة فى وثيقة رسمية ، يمكن اعتبارها ردا على مذكرة يارنج فى ٨ فبراير التى طلب فيها من اسرائيل التعهد بالانسحاب من كافة الأراضى المصرية ، بما فى ذلك طبعا شرم الشيخ · وقد عادت جولدا مائير فأكدت هذه العبارة فى شكل مفصـــل فى خطابهـــا أمام المؤتمر الوطنى لحزب العمال الاسرائيلى الحاكم يوم ٤ ابريل ١٩٧١ ، فقالت ان اسرائيل لن تتخلى عن القدس والجولان وشرم الشيخ ، وانها ترفض ضمانات الدول الكبرى ، وترفض الضمانات الدولية للحدود الآمنة المعترف بها ، بما فى ذلك فكرة القوات الدولية على الحدود !

أما بالنسبة لحقوق شـعب فلســـطين ، فقــد ورد بالمذكرة الاسرائيلية هذه الفقرة : « فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ، ودعاوى الطرفين فى هذا الخصوص ، فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : (أ) دفع تعويضات عن الأراضى والممتلكات المتروكة · (ب) المشاركة فى وضع خطة لاعادة توطين اللاجئين فى المنطقة · ومتى تم الاتفاق بين الطرفين على واجباتهما نحو تسوية قضية اللاجئين ، لا يعود لأى طرف من الطرفين مطالب من الطرف الآخر تتناقض مع سيادته » ·

وفضلا عن ذلك ، فقد أوضحت رئيسة وزراء اسرائيل ليارنج فى بداية جولته المذكورة ، أن اسرائيل لن تبحث بالتفصيل فى أى قضية من القضايا المتعلقة بالحدود والانسحاب ، الا بعد أن تتأكد من توفر نية جدية لدى الجانب العربى لتحقيق ســلام حقيقى ، كالسلام القائم بين دول العالم · ومعنى ذلك أن حل نقاط التسوية لن يتم فى خطوط متوازية ، بل وضعت اسرائيل سلما للأولويات ، بحيث لا يبدأ فى بحث مسألة الانسحاب والحدود الا بعد الاتفاق على معنى السلام · وعندما قدم يارنج مبادرته يوم ٨ فبراير ١٩٧١ سارعت الدوائر السياسية الرسـمية فى القدس الى التأكيد بأن

اسرائيل تصر على الالتزام بالأولويات السالفة الذكر ، وهي البحث في جوهر السلام أولا ، ثم ، وفي مرحلة متأخرة يأتي البحث في تفاصيل الحدود والانسحاب . أي على العكس من موقف مصر التي كانت ترفض بحث أي شيء الا بعد صدور تعهد اسرائيل بالانسحاب من كل المناطق المحتلة .

ومن هذا العرض السريع للمحاولة التي خاضتها مصر لاقرار السلام مع اسرائيل ، يتضح أن هـذا السلام - حسب المواصفات الاسرائيلية التي تصر عليها - يكلف مصر وشعب مصر الآتي :

١ - الوجود الاسرائيلي في شرم الشيخ .

٢ - الوصاية على سياسة مصر الخارجية ، حيث تشترط اسرائيل ألا تدخل مصر في أية اتفاقيات مع أي دولة اذا كانت اسرائيل تعتبرها معادية . ويشبه هذا النص الاسرائيلي في ذلك نص المادة الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ الذي الزم مصر بألا تتخذ في علاقاتها مع البلاد الأجنبية موقفا يتعارض مع المحالفة مع بريطانيا ، وألا تبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة .

٣ - سقوط كل الحواجز الاقتصادية بين مصر واسرائيل بما يعنيه ذلك من استباحة السوق العربية بواسطة الاقتصاد الاسرائيلي . وقد عبرت جولدا مائير عن ذلك بقولها في احدى المقابلات الصحفية : ان السلام بالنسبة لها يعني أن تتمكن من الذهاب في أي وقت الى أسواق القاهرة ، لتشتري حاجياتها ، ان هي أرادت ذلك !

ومن هذا العرض يتضح أن السلام الذي عرضته اسرائيل على مصر ، ردا على مبادرة يارنج ، يكلف مصر احتلال جزء من أراضيها ، بعد أن أعلنت الحكومة الاسرائيلية انها « لن تنسحب الى خطوط

ما قبل ٥ يونيــو ١٩٦٧ » ــ وذلك لأول مرة فى وثيقة رســمية دولية ! ــ فضلا عن الوصـــاية على سياستهــا الخارجية ، وفتح أسواقها ــ فى ظل هذه الهيمنة ــ للمنتجات الصناعية الاسرائيلية • فضلا عن الاعتراف بها من جانب مصر ، وتأمين هذا الاعتراف ، وتأمين حدودها ، وضمان حرية ملاحتها ، ليس فقط فى مضايق تيران ، وانما فى قناة السويس أيضا • هذا بالاضافة الى رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين الى اسرائيل ، وانما المشاركة فى وضع خطة لاعادة توطينهم فى « المنطقة » ــ أى ليس فى اسرائيل ! واعتبار القضية الفلسطينية ــ بذلك ــ قضية تعويضات مالية !

وبذلك انتهت كل جهود السلام بين مصر واسرائيل فى اطار الأمم المتحدة ، فقد أعلن يارنج فى يوم ٢٢ ابريل ١٩٧١ سقوط مبادرته ــ أو على حد تعبيره الدبلوماسى « تأجيلها الى أجل غير مسمى » ! ومنذ ذلك الحين دخلت المنطقة فيما عرف باسم « حالة اللاسلم واللاحرب » ، وانفتح الباب الوحيد للتسوية السلمية ، وهو طريق الحرب ــ حرب أكتوبر ١٩٧٣ !

د• عبد العظيم رمضان

معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى مجال التطبيق

اعداد أ٠د/ صلاح العقاد

سوف نلاحظ على امتداد هذه الدراسة ظاهرة مهمة وهى أن المصريين تلقوا بحذر اجراءات تطبيع العلاقات مع اسرائيل فى حين كان الجانب الاسرائيلى يسعى الى التوسع فى التطبيق بقدر المستطاع ويمكن آن نستخلص سببين لتفسير هذه الظاهرة :

١ ـ كانت أجهزة الاعــلام العربية وتوجهات التعليم لزمن طويل تردد المقولة التى ترى فى الاسرائيليين وافدين اغتصبوا أرضا ليست من حقهم وحينما وافق عبد الناصر على القرار ٢٤٢ الذى يعنى الاعتراف بالوجود الاسرائيلى تم ذلك بشــكل ضمنى ولكى يتحول الرأى العام الى تقبل التعامل المباشر فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية يحتاج الى وقت لتغيير مفاهيمه حول الوجود الاسرائيلى أولا ثم تقبل هــذا التعاون فى مرحلة تالية ٠ وقد أدرك السادات المهندس الأول لعملية السلام كيف أنه قطع شوطا بعيدا فى وقت قصير فأقر بأنه استخدم اسلوب الصدمات الكهربائيــة ولم يكن الرئيس المصرى بحاجة الى تأهيل المصريين للخطــوة التى اتخــذها وأعلن عنها بشكل مفاجىء فى مجلس الشعب وهى الرحلة الى القدس بل انه لم يستشر مجلس الأمن القومى وانما اقتصر التشاور على بعض خاصته وهو أمر يتمشى مع طبيعة الحكم الفردى ٠

٢ ـ أن الدولة العبرية تكونت في حقيقة الأمر على أساس هجرة وافدين والجيل الذى عاصر معاهدة السلام شهد فى معظمه اسرائيل وهى تنتزع الأرض ولم تتوقف عمليات التوسع فى مواقع أخرى من الأقطار العربية حتى بعد عقد معاهدة السلام مع مصر مما أعطى حجة للمعترضين على المضى فى طريق التطبيع ٠

وخلال الفترة التى كانت حكومة السادات تتأهب فيها لعقد معاهدة السلام أحيا المثقفون جدلا حول هوية مصر فقد كاد هذا الموضوع أن يختفى منذ الخمسينيات على أســـاس اختيار القومية العربية أساسا لتحديد الهوية المصرية ٠ فالذين تمسكوا بهذا المبدأ أخذوا يحذرون من المسيرة المنفردة فى طريق التسوية بيد أن بعض مشاهير الكتاب والمثقفين المصريين طرحوا من جديد النظرية القائلة بأن لمصر هوية وطنية متميزة ومن ثم فهى غير ملزمة بمسايرة توجهات الدول العربية الأخرى وقد افتتح توفيق الحكيم هـذا الجدل على صفحات الجرائد منذ يناير ١٨٧٨ فكتب تحت عنوان حياد مصر مقالات دلل فيها على الفوائد التى سوف تعود على البلاد من وراء التزامها بالحياد ٠

وتبع الحـكيم مفكر آخر له وزنه فى الحيـــاة الثقافية وهو الدكتور/ حسين فوزى الأديب وعالم البحار الذى عرف من قبل بدفاعه عن الوطنية المصرية المختلفة عن طبيعة المنطقة المحيطة بها ٠ غير أن ما يلفت النظر هو نزول هذه القضية الفكرية بشكل مبسط الى الشارع المصري فقد أثار اغتيال يوسف السباعى وزير الثقافة حينذاك فى قبرص على يد مسلح فلسطينى فى مايو ١٩٧٨ شعورا معاديا لارتبـــاطات مصر العربية ولأول مرة خرجت مظاهرات تندد بالفلسطينيين وهكذا لقى السادات مناخا ملائما لمواصلة المباحثات مع اسرائيل دون معارضة مهمة ٠ واستثمرت أجهزة الاعلام هذه الظروف فضربت على نغمة جديدة بتذكير الرأى العام المصرى كيف

أن الحروب من أجل القضية الفلسطينية أدت الى فقدان ١٠٠ر٠٠٠ مصرى لأرواحهم وخسارة ٤٠ مليار من الجنيهات دون جدوى ٠

وليس هنا مجال تقييم اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام التالية لهما فقد مضى ذلك الوقت الذى اختلفت فيه الآراء حول مقارنة المكاسب التى حققتها مصر بالتنازلات التى قدمت فى سبيل تحقيق هذه المكاسب ٠ فقد رأى دبلوماسى مثل محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية ، على سبيل المثال ، أن الخسائر ترجح على ما حققته مصر من مكسب جوهرى وهو الانسحاب من كل شبه جزيرة سيناء والعودة الى الحدود الدولية الفاصلة بين مصر وفلسطين ، وكان أهم اعتراض أثاره وزير الخارجية وأمثاله على الاتفاقية هى أنها لم تربط بشكل واضح بين السلام مع اسرائيل وما يعنيه ذلك من تطبيع العلاقات من جهة وبين تنفيذ الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة من جهة أخرى ٠ بعبارة أخرى خشى بعض المصريين من أن تفسر معاهدة السلام على أنها صلح منفرد ، وبالفعل حاول السادات خلال الفترة التى انقضت بين عقد اتفاقيتى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وبين معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية الموقعة بواشنطن فى ٢٧ مارس سنة ١٩٧٩ أن يتلافى بقدر الامكان الفصل بين الأمرين حتى ان مدة الأشهر الثلاثة التى جددت لتوقيع اتفاقية السلام مضت دون نتيجة مما تطلب قيام الرئيس الأمريكى جيمى كارتر برحلة الى الشرق الأوسط تردد خلالها بين مصر واسرائيل للتغلب على نقاط الخلاف التى تحول دون التوصل الى اتفاق ٠

وقد شملت هذه الخلافات قضايا تتعلق بمفهوم الحكم الذاتى وهل يؤدى فى نهاية الأمر الى حق تقرير المصير بما فى ذلك قيام الدولة الفلسطينية أم أنه مجرد حكم ذاتى ينطبق على السكان لا الأرض ويؤدى فى جميع الأحوال وخلال خمس سنوات الى حكم ذاتى فى اطار السيادة الاسرائيلية ٠ واتسعت نقاط الخلاف فهل

تدخل القدس الشرقية ضمن منطقة الحكم الذاتى كما طلب المفاوض المصرى أم تبقى المدينة موحدة باعتبارها عاصمة للدولة العبرية . وهل يتوقف انشـاء مستوطنات جديدة طوال الفترة الانتقالية أم بجهد فقط لمدة ثلاثة أشهر . ومن سيمثل الفلسطينيين فى محادثات الحكم الذتى ... الخ .

وتجنبا لاخفاق عملية السلام التى بذلت من أجلها جهود طائلة ترك لكل فريق أن يفسر موقفه بخطاب تفاهم ألحق بالمعاهدة واتفق على أن تستكمل مباحثات الحكم الذاتى خلال ١٢ شهرا تنتهى فى مايو سنة ١٩٨٠ وقد حل هذا الموعد دون التوصل الى اتفاق ولم يفقد السادات الأمل ، ففى رحلته الأخيرة الى الولايات المتحدة فى أغسطس ١٩٨١ جـدد التباحث مع الرئيس الأمريكى حول احيـاء مباحثات الحكم الذاتى والتفاوض فى هذا الشأن مع منظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى . غير أن مثل هـذه الأمور كانت تصطدم بالتعهدات الأمريكية السابقة للدولة العبرية ففيما يخص منظمة التحرير على سـبيل المثال كانت الحـكومة الأمريكية قد تعهدت عند توسطها فى اتفاقية فصل القوات الثانية فى سـيناء ١ سبتمبر ١٩٧٥ بعـدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وبينما تعثرت ثم توقفت مباحثات الحكم الذاتى التى غاب عنها الفلسطينيون تسارعت الاجراءات المترتبة على معاهدة السلام وهو ما يمثل الجانب التنفيذى من المعاهدة . ويمكن كأسلوب اكاديمى تقسيم اجراءات التطبيع الى ثلاث مراحل الأولى وتمتد من عقد المعاهدة فى مارس ١٩٧٩ وحتى اتمام الانسحاب الاسرائيلى من سيناء فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٧٢ ويقع معظم هذه الحقبة فى عهد السادات والذى أخذت عليه [استجابته الفورية] لاجراءات التطبيع دون انتظار تحقيق الانسحاب بخلاف استجابة مبارك الحذرة لاجراءات

التطبيع • وتمتد المرحلة الثانية من اكمال الانسحاب الاسرائيلي حتى وقوع أزمة الخليج ومؤتمر مدريد المنبثق عنها أكتوبر ١٩٩١ وخلال هذه الحقبة تأرجحت المواقف المصرية بين عاملين : عامل الرغبة في اعادة العلاقات المصرية مع العالم العربي الى سابق عهدها وهو هدف وضعه الرئيس مبارك نصب عينيه منذ توليه السلطة وبين الالتزام بمعاهدة السلام وخاصة فيما يتعلق بالنصوص الصريحة مثل التزام مصر بتصدير كمية معينة من البترول سنويا بالاضافة الى الاتفاقات الأمنية ولا شك أن ايجاد توازن بين العاملين لم يكن ليخلو من وقوع أزمات بين الحين والآخر •

أما المرحلة الثالثة والأخيرة ، فتتميز بزوال هذا التناقض القائم بين حسن العلاقات مع العالم العربي وبين الالتزام بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ولم يمنع هذا الأمر من استمرار التحفظ المصرى على التوسع في التعامل الاقتصادى والثقافى مع اسرائيل • وذلك انطلاقا من توجه الرأى العام المصرى وليس تحت ضغوط مجاملة الأقطار الشقيقة حيث ان جميع الأطراف في مدريد وافقت على مبدأ السلام مقابل الأرض مع [العدو الصهيونى] •

المرحلة الأولى :

اندفع السادات الى اتخاذ اجراءات غير مألوفة دستوريا لكى يتقبل المصريون المعاهدة وما يترتب عليها من نتائج فالمعتاد فى عقد المعاهدات الدولية هو عرضها على المجلس التشريعى للمصادقة لكن رئيس الجمهورية لم يكتف بهذا الاجراء بل قرر طرح المعاهدة على استفتاء شعبى وحصل على موافقة بأغلبية ٩٩٫٩٥٪ والأغرب من ذلك أنه فرض قيدا على التجربة الحزبية الناشئة فلا يسمح بقيام حزب يشتمل برنامجه على رفض المعاهدة ويشترط عند تأسيس أحزاب جديدة ألا يكون من بين مؤسسيها من اشتهر باعتراضه على المعاهدة

فكأن المعاهدة المصرية الاسرائيلية اضطرت السادات الى المزيد من ممارسة السلطات المطلقة • والحق أن هذا الاسلوب كان منذ البداية يشجع المفاوض الاسرائيلي على التشدد اذ كان هذا المفاوض يحتج عند مناقشة نقطة من نقاط الخلاف بأن السادات قادر على التغلب على أية معارضة داخلية في حين أن الوزارة الاسرائيلية اذا تساهلت في هذه النقطة أو تلك فانها سوف تصطدم بمعارضة الكنيست بما قد يؤدى الى افشال المشروع أصلا •

وقد يكون للسادات عذره في هذه المرحلة التى كان المصريون ينتظرون بلهفة تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي خاصـــة وأن المعاهدة انتقدت في اسرائيل من بعض الشخصيات من داخل حزب ليكود الحاكم في ذلك الوقت فكان من أبرز المعارضين لها اسحق شامير الا أنه لم ينشق مثلما فعلت مجموعة محافظـة من المتدينين التى انشقت عن الحزب وكونت حزبا يمينيا متطرفا جديدا هو حزب تحيا سنة ١٩٧٩ •

وعلى الجانب المصرى كانت الحيـاة الحزبية ما تزال ضعيفة فالوفد جمد نشاطه منذ سنة ١٩٨٧ وحزب الأحرار الصغير وافق على المعاهدة كما أن حزب العمل وافق ضمنيا مع بعض التحفظات وكانت أشد عناصر المعارضة لمعاهدة السلام تتمثل في حركات غير معترف بها كالناصريين القدامى وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة القديم ثم حركة الجهاد التى لم تتمتع بوجود قانونى وكان معظم نشاطها يدور في اطار السرية • وعندما يقوم أفراد من هذه الجماعة باغتيال الرئيس السادات فان معاهدة السلام سوف تذكر على رأس قائمة المبررات التى احتجوا بها خلال محاكمتهم على جريمة الاغتيال •

وكما أشرنا من قبل فان الرئيس السادات كان بوسعه التمهل بعض الشيء في اجراءات التطبيع انتظارا لاكمال الانسحاب الذى تقرر على ثلاث مراحل تنتهى خلال ثلاث سنوات من توقيع المعاهدة فابان

هذه المدة تم ١١ لقاء قمة بين رئيس جمهورية مصر وبين رئيس الوزارة الاسرائيلية أو رئيس الجمهورية ، ولم يواكب هذا التقارب على مستوى الرئاسة احساس عام بالمودة نحو الجار المعترف به حديثا يدل على ذلك أنه عندما تقررت اقامة العلاقات الدبلوماسية فى فبراير ١٩٨٠ وجد الدبلوماسيون الاسرائيليون صعوبة فى تأجير مساكن مناسبة لأن أصحاب العقارات ترددوا فى التعاقد معهم • ومما صعب عملية التطبيع سوء اختيار الحكومة الاسرائيلية لأول سفير لها يعتمد فى القاهرة فقد كان الياهو بن العازر من اليمين الاسرائيلى الذى يعتقد ان بلاده قدمت من التنازلات أكثر مما ينبغى وتصرف فيما جرى من اتصالات مع الحكومة المصرية من هذا المنطلق • وعلى أية حال فلم تطل مدة اقامة هذا السفير لأنه عاد بعد نحو سنة ليترشح كعضو فى حزب الليكود للكنيسست •

واذا كان السادات قد تسارع فى عقد بعض الاتفاقيات كالاتفاق التجارى واتفاق النفط واتفاق ثقافى فقد كان هناك أمور اجرائية لابد من تسويتها فى اتفاق منفصل حتى يتم تنفيذ الانسحاب ومن أهم تلك الأمور ما يتعلق بتنظيم عمل القوات متعددة الجنسيات وكان للولايات المتحدة دور أساسى فى التوصل الى الاتفاقية التى وقعت بواشنطن فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٨١ ووجد فيها المصريون المعترضون على معاهدة السلام العديد من المآخذ فهذه القوات لا تخضع للقانون المصرى كما أنها من جهة أخرى تضم عددا كبيرا من الأمريكيين وتقوم مصر مع اسرائيل بتحمل نفقات هذه القوات على سبيل المناصفة •

عندما تولى مبارك السلطة كان ما يزال أمام اسرائيل تنفيذ المرحلة الثالثة من الانسحاب وهى التى تضم مواقع مهمة فى نظر الاسرائيليين مثل شرم الشيخ ورفح ومستوطنة ياميت وقد حرص الرئيس على تجنب أى عمل قد يدفع اسرائيل الى التلكؤ فى التنفيذ

فلم يعقد احتفالات الا بقدر محدود عند استرجاع رفح وشرم الشيخ ولا شك أنه كان يدرك الضغوط التى يمارسها المستوطنون الذين بنـوا أكبر مستوطنة فى سيناء وهى ياميت حتى يســـاوموا على التعويض الذى ينبغى دفعه مقابل اخلائهم للمستوطنة ٠

وفى هذه المرحلة الأخيرة من تنفيذ الانسحاب تزعم اثنان من الوزراء هما حاييم دراكمان ودافيـد شـيفمان حملة لمنع تنفيـذ الانسحاب الكامل مستندين الى موقف المستوطنين والذين لم يتم خروجهم الا بعد أن تدخلت قوات جيش الدفاع الاسرائيلى لاقناعهم باخلاء مستوطنة ياميت ٠

المرحلة الثانية :

اختلف نظام التعامل مع اسرائيل بين نوعين : النوع الأول يتمثل فى الاتفاقات التى ورد فيها نص صريح كالاتفاق الأمنى الخاص بتواجد قوات متعددة الجنسيات فى المناطق منزوعة الســلاح من سيناء وقد أشرنا الى الدور الأمريكى البارز سواء فى الاعداد لهذه الاتفاقية أو لاتخاذها أداة للسيطرة باستخدام نوع قوات الانتشار السريع فى تركيب هذه القوة ٠ ويندرج تحت هذا النوع اتفـاق النفط ٠ أما النوع الثانى : فيتمثل فى اتفاقات التجارة والسياحة والثقافة وفى هذه المجالات المختلفة تميزت المرحلة بتحفظ من الجانب المصرى فى تطبيقها اذ أنها تعتمد على مدى الرغبة من كلا الطرفين فى التوسع فيها وسوف نلاحظ أن موقف المصريين اختلف فى هذا المجال عن موقف الاسرائيليين الذين كانوا راغبين فى التوسع فى مختلف مجالات التطبيع كنوع من اثبات وجودهم فى منطقة الشرق الأوسط حتى ان أحد المسئولين فى اسرائيل نصح باستخدام أساليب غير ظاهرة عند تطبيق الاتفاقية الاقتصادية كالتركيز على التعامل

المالى والاستثمار دون اصرار على تبادل السلع حتى يتجنب انتقاد الرأى العام المصرى ·

أما نظام التعامل فى موضوع النفط فلم يكن محلا للأخذ والرد أو للتحجيم والتوسع حيث حددت اتفاقية خاصة نظام بيع النفط المصرى لاسرائيل وعند بدء التباحث حول هذا الموضوع طالبت مصر بالتعويض عن كميـات النفط التى استنزفت من آبار سيناء ازاء الاحتلال فأجاب الاسرائيليون بأن تأميم أملاك الجالية اليهودية أثناء حـكم عبد الناصر دون تعويض فى ذلك الوقت يعتبر بـديلا عن التعويض المطلوب · وعند اخلاء المنطقة الأولى التى تقع فيها أهم آبار النفط فى سـيناء تعهدت الولايات المتحدة بأن تكفى حاجات اسرائيل من الطاقة بصرف النظر عن الحاجات الاستهلاكية المحلية · بيد أن الدولة العبرية وجدت أن من المصلحة استهلاك النفط المصرى لأنه يوفر الكثير من نفقات النفط وكانت ما تزال قواتها تحتل منطقة علما حيث توجد بقية آبار النفط المصرية عندما وقعت الاتفاقيـة الخاصة بهذا الموضوع فقيل انها كانت قادرة على المساومة ·

وبمقتضى هذه الاتفاقية تلتزم مصر بتوريد ما يوازى مليونى طن سنويا من النفط لاسرائيل على أن تجرى عطاءات الشراء حسب ما هو معمول به بين شركات النفط العالمية وقد تحدثت بعض دوائر المعارضة المصرية عن قبول الحكومة بتخفيض بلغ فى بعض الأحيان خمسة دولارات فى البرميل وتمثل كمية النفط المنصوص عليها ربع حاجات اسرائيل من الطاقة كما تتراوح بين ٢٠ و ٢٢٪ من تصدير النفط المصرى خلال السنوات الأولى من الاتفاق ·

لم تعرض اتفاقية النفط المصرية الاسرائيلية على مجلس الشعب وحينما أثار النائب ممتاز نصار هذه القضية مطالبا مناقشة الاتفاق فى مجلس الشعب اعترضت الحكومة على أساس أن الاتفاقية تعتبر

مكملة لمعاهدة السلام التى سبق للمجلس أن وافق عليها ، كما تجدد الاعتراض على هذه الاتفاقية بمناسبة الغزو الاسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ . وكما ذكر فان مصر التزمت التزاما دقيقا بالاتفاقيات التى وردت بها نصوص صريحة مثل اتفاقية النفط. وسوف نرى فيمـا يلى كيـف تعثرت مجالات التطبيع الأخـرى على عكس ذلك الالتزام .

كانت أولى المشكلات التى أعقبت الانسحاب الاسرائيـلى من سيناء وأثرت فى تفسيرات المعاهدة بشأن الحدود الدولية الفاصلة بين مصر وفلسطين هي تمسك الاسرائيليين بمنطقة طابا المطلة على خليج العقبة بحجة أنها كانت داخلة ضمن حدود فلسطين ابان الحكم العثمانى . ولسنا هنـا بصـدد البحث عن الخلافات التاريخية والقانونية التى ترتبت على هذه المخالفة بشأن الانسحاب من جميع الأراضى المصرية ، فقد كانت طابا قبل غزو يونيو ١٩٦٧ تخضع للسيادة المصرية وربما كان خطأ الحكومات المتعاقبة هو عدم الالتفات الى اسـتغلال المواقع السياحية بل والموارد الطبيعية الأخرى عـدا مشروعات التعدين فى شـبه جزيرة سيناء . بينما اهتمت الدولة العبرية أثناء الاحتلال بتطوير العديد من المشروعات ولاسيما المواقع السياحية مثل طابا .

ولولا أن اسرائيل كانت تدرك حقيقة تبعية طابا لمصر لما أقبلت مباشرة لدى ظهور الخلاف على توقيع اتفاق مؤقت يحيل الخلاف الى التوفيق أو التحكيم على أن تمتنع خلال هذه الفترة المؤقتة عن اقامة منشآت جديدة الأمر الذى لم تلتزم به بدقة . وخلال تولى حزب ليكود السلطة تمسك بمبدأ التوفيق وهو ما لم تطمئن اليه مصر لأنه يعنى مباحثات ثنائية بين الطرفين المتنازعين وامكانية التوصل الى حل وسط وبقيت القضية معلقة الى أن انتقلت السلطة لحزب العمل وزعيمه شيمون بيريز الذى زار الاسكندرية فى صيف ١٩٨٦

وتم الاتفاق على رفع التمثيل الدبلوماسي المصرى لدى اسرائيل الى درجة سفارة وكان خفض الى درجة قائم بالأعمال بمناسبة الغزو الاسرائيلى للبنان ٠

والواقع أن حزب العمل كان قد أزال عقبة أخرى تحول دون تجميد العلاقات بين مصر واسرائيل ففى سنة ١٩٨٤ اتخذ حزب العمل قرارا بالانسحاب من معظم المواقع التى احتلها فى لبنان وان احتفظ [بشريط أمنى] على امتداد ٣٠ كم داخل الحدود اللبنانية ٠ بالاضافة الى هذين الموقفين فقد كان لحزب العمل منظور مختلف عن ليكود نحو تجربة التطبيع مع مصر اذ كان يتطلع الى اقامة صلات مجتمعية وعدم الاقتصار على الاتصـالات الرسمية بينما أن اتحاد أحزاب ليكود كان يقر سلفا بمعدودية التعاون في الاطار الذى يقبله الرأى العام المصرى فلم يهتم باقامة صلات مع أى من التجمعات أو الأحزاب المصرية ٠

وقد شـجع حزب العمل بعض الشخصيات المصرية على اقامة اتصالات خاصة باسم الالتقاء بين الأحزاب المتشابهة فى كلا البلدين وكان الدكتور / مصطفى خليل رئيس الوزراء ابان عقد المعاهدة من أشد المتحمسين لتوثيق هذا النوع من الاتصال فقد رأس وفدا باسم الحزب الوطنى الديمقراطى قام بزيارة اسرائيل وبقى بعـد ترك منصبه ممثلا لهذا الاتجاه باعتباره مسئول الشئون الخارجية فى الحزب الحاكم ٠ وبما أن الحزب الوطنى الديمقراطى قـد صنف نفسه ضمن مجموعة الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فقد صار له حق الحضور فيما عرف بالدولية الثانية الحركة التى ينضوى تحت لوائها حزب العمل الاسرائيلى والأحزاب الاشتراكية غير الشيوعية التى تنتشر فى أوربا الغربية بعبارة أخرى صارت الدولية الثانية نقطة التقاء بين الحزب الوطنى الديمقراطى وحزب العمل الاسرائيلى ٠

التبادل التجاري :

اتبعت مصر مثل غيرهـــا من الدول العربية نظام المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل · ولذلك كان الغاء المقاطعة من الأمور التى لابد من صدور تشريع جديد بشأنها فعرض الأمر على مجلس الشعب وبالرغم من أن تسلل البضائع الاسرائيلية عبر الأردن كان يتم الى بعض الدول العربية سرا بحجم قد يزيد على التبادل مع مصر فى ظل معاهدة السلام فقد تعرضت بعض الشركات المصرية للمقاطعة العربية بشبهة تعاملها مع اسرائيل ·

وفيما عدا النفط وتصـــديره للدولة العبرية حسب النظام المنصوص عليه فان الاتجاه العام للقطاع الخاص وبعض دوائر القطاع العـــام كان تحديد حجم التعامل فى أضيق الحدود فعندما طلبت اسرائيل اضافة تصدير الغاز الى النفط امتنعت السلطات المصرية عن ذلك وجرى معظم التعامل بين القطاع العام وبين الدولة العبرية لأن أصحاب الأعمال فى القطاع الخاص اما أنهم امتنعوا من تلقاء أنفسهم أو راعوا مصالحهم المرتبطة بالعالم العربى · وهكذا تدنت صادرات مصر لاسرائيل الى ٣ مليون دولار فى بعض السنوات خلال الثمانينيات · بل ان بعض البنـــوك عرقلت عمليـــات التصـــدير والاستيراد من اسرائيل فكانت تشترط عند فتح اعتماد للتصدير أن تسدد قيمة البضائع بنسبة ١٠٠٪ مقدما ·

وقد خرج عن هذا التحفظ فى التعامل وزير الزراعة الدكتور/ يوسف والى مما يدل على أنه لم توجد سياسة منسجمة بين الوزراء فى هذه القضية ففى مجال الاسكان والبحث العلمى لا يكاد يلمس مظهر من مظاهر التعاون مع الدولة العبرية بل على العكس قاومت الجامعات ووزارة البحث العلمى مختلف أوجه التطبيع بصفة عامة · ومن المفارقات أن يتم التبادل فى مجال الزراعة قبل غيره من المجالات

الأخرى وأن يكون هذا التعاون مبنيا على فكرة تبـادل الخبرات فاشتغال اليهود بالزراعة أمر مستحدث مع التفكير فى الوطن القومى اليهودى بينما أن خبرة مصر تعود الى أقدم العصور · ويبدو أن الحركة الصهيونية حاولت تدارك هـذا النقص فانكبت المعـاهد اليهودية على دراسة علوم الوراثة النباتية ووسائل الرى الحديثة وما تتطلبه من أجهزة وذلك على أساس التخطيط للتغلغل فى أفريقيا حيث تقدم اسرائيـل هذه الخبرات المطلوبة فى الدول الافريقية الناشئة ·

ومنذ سنة ١٩٧٩ أى قبل اقامة التمثيل الدبلوماسى زار وزير الزراعة الاسرائيلى مصر وكان يحتل المنصب آريل شارون أحـد الجنرالات المغامرين الذين لعبوا دورا فى فتح الثغرة عبر قنـاة السويس خلال حرب أكتوبر وسوف نشير الى مظاهر التعاون فى مجال الزراعة عندما تتحدد معالمها فى المرحلة التالية ·

السياحـة :

كان فتح الحدود بين مصر واسرائيل عملا مثيرا فى حد ذاته وقد ترتب على ذلك توقيع اتفاق لانشاء خط مواصلات برى مباشر فى سنة ١٩٨٢ يصل ما بين القاهرة وتل أبيب وأضيف اليه بعد قليل شركة طـيران خاصـة تقوم بالرحلات الجوية بين البلدين فتأسست شركة نفرتارى حتى تجنب شركة مصر للطيران احتمالات المقاطعة من دول عربية أخرى · ورغم هذه التسهيلات فقد امتنع السياح المصريون عن زيارة اسرائيل الا فى القليل النادر · وتصادف وجود نزاع بين الكنيسة القبطية وبين السلطات الاسرائيلية على ملكية دير ارثوذكسى يعرف بدير السلطان ووجه الانبا شنودة نداء الى الأقباط بالامتناع عن الحج الى الأماكن المقدسة الى أن تتم تسوية هذه المشكلة وهكذا أضيف مصدر آخر الى مصادر انعدام السياحة

الدينية المصرية الى فلسطين · وعلى العكس أخذت السياحة الاسرائيلية تفد الى مصر بزيادة مضطردة وبقيت هكذا أحادية الاتجاه وشجع عليها اعفاء السياح الاسرائيليين من شرط التأشيرة بالنسبة للمواقع السياحية على امتداد ساحل سيناء الجنوب من طابا حتى رأس محمد· وفى سنة ١٩٨٧ بلغت السياحة الاسرائيلية ، التى ضمت بعض العرب الاسرائيليين ، المرتبة الرابعة من السياحة الأجنبية القادمة الى مصر وقد وجدت مصر فى نهاية الأمر ان من المصـلحة توقيع اتفاق سياحى مع الدولة العبرية لتنظيم رحلات خاصــة للسياح القادمين من أوربا اذ أن بعض المجموعات السياحية كانت تفضل الجمع بين مصر والأردن واسرائيل فى جولة واحدة ·

تعثر التطبيع الثقافى :

وعقدت اتفاقية ثقافية بين مصر واسرائيل فى مايو سنة ١٩٨٠ حددت مجالات التعاون بين البلدين وشملت تشجيع تبادل المعلومات فى التاريخ والآثار والترجمة ، وتشجيع التعاون فى المجالات الثقافية والعلمية والفنية ، والاتصــالات وتبادل زيارات الخبراء ، تبادل برامج الاذاعة والتليفزيون · ولم توضع بعض هذه البنود موضع التنفيذ حتى الآن ·

ويبدو أن توقيع هذه الاتفاقية جاء وسط موجة من الحماس فى نهاية عهد السادات تهدف الى التوسع فى تطبيع العلاقات الا أن هذا المجال كان متأثرا بسنين طويلة درج خلالها الاعلام والتعليم معا على تشويه صورة الطرف الآخر فى أذهان الطلبة والرأى العام وقد جاءت المبادرة من الجانب الاسرائيلى تطلب أولا تغيير منــاهج الدراسة التى تشير الى اسرائيل باعتبارها دولة معتدية وبالفعل عدلت بعض فقرات من الكتب الدراسية فى التاريخ والجغرافيا · ففى كتاب التاريخ المقرر على الثانوية العامة مثلا ذكر أن اتفاقيتى

كامب ديفيد أقامت السلام مع اسرائيل ولقيت ترحيبا من الدول المتحضرة وصادفت اعتراضا من بعض الدول العربية • وفى كتاب الجغرافيا حذفت الفقرة القائلة بأن الاعتداءات الاسرائيلية اقتطعت جزءا من فلسطين المحتلة •••• وهكذا •

غير أن المطلوب لاقتلاع عوامل الكراهية الموروثة كان يحتاج الى أكثر من ذلك فقد كان من المتعذر الغاء تراث طويل من المؤلفات عالجت قضية فلسطين بشكل يثير شجون العالم العربى • ولم يكن أحد من الكتاب مستعدا لتأليف كتب أخرى تعيد قراءة النزاع العربى الاسرائيلى بالشكل الذى تطلع اليه الاسرائيليون عند عرض هذه الفكرة • يضاف الى ذلك بعض الموروثات الدينية التى تعمل على تعميق الخلاف والتى لها تأثيرها البعيد على الطرفين وقد ارتكبت اسرائيل بعض الأخطاء التى عرقلت خطة التعاون الثقافى فقد سطا الاسرائيليون على آثار مصرية عثر عليها فى سيناء وكان ذلك على الأقل لارضاء ولع موشى ديان •

ومما أثار ردود فعل مضادة لدى جمهرة المثقفين المصريين قيام مركز أكاديمى اسرائيلى بالقاهرة طبقا للاتفاق الثقافى وقد نشط المركز فى عهد رئاسة المؤرخ شيمون شامير فكان يصدر نشرة دورية تهتم بالآثار اليهودية الباقية فى مصر وبيان الصالات القائمة بين اللغتين العربية والعبرية وعلاقات مصر باليهود فى التاريخ القديم • وقد اتهم المركز بالتجسس تحت ستار جمع المعلومات وأبدى حزب التجمع وصحيفته الأهالى عناية خاصة بتتبع الآثار السلبية لهذا المركز وكذلك الأساتذة المصريون الذين استجابوا لتشجيع التطبيع فى المجالات الثقافية ومنهم بعض أساتذة اشتركوا فى اقامة حلقات دراسية بين عامى ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ تحت عنوان العوائق النفسية فى تحقيق السلام مما يلفت النظر أن تدرس العلاقات الدولية من خلال المؤثرات النفسية وهو أمر غير مألوف • من هنا نتساءل : هل اختير

هذا العنوان للحلقات لأن متخصصين بالذات فى علم النفس كانوا هم رواد هذه الحلقـات أم أن ذلك الاختيار جاء بايحاء من بعض تعبيرات السادات والتى كان من بينها القول بأن رحلة القدس تهدف الى [كسر الحاجز النفسى] ٠

ان من دلائل تعثر التطبيع أن الصحف الحكومية كانت تنشر أخباره فى مواضع غير بارزة أما صحف المعارضة فقد اتخذت من هذا الموضـــوع مجالا للهجوم على الحكومة والحزب ولو بدرجات متفاوتة واذا كان ضعف الحياة الحزبية قد قلل من أثر المعارضة عمليا فى اثبات عملية التطبيع فان النقابات المهنية أدت دورا أكثر فاعلية حينما أصرت على مبدأ المقاطعة وعلى رأسها نقـابة المحامين والأطباء والمهندسين والصيادلة ، كما اتخذ اتحاد طلاب الجمهورية قبل حله فى سنة ١٩٧٩ موقفا معارضا لمعاهدة السلام ٠ وربما كان دافع بعض أحزاب المعارضة هو مجرد الحملة على الحزب الوطنى الديمقراطى غير ان بعض التجمعات الأخرى انتقلت من حيز الكلام الى تنفيذ عمليات مضـادة لمسيرة السلام من هؤلاء بعض جماعات الجهاد والتنظيم الناصرى الذى هو مجرد تنظيم هلامى ، فقد ظهر على سطح الأحداث باسم ثورة مصر وضم عناصر مختلفة لم تعرف طبيعة الارتباط فيما بينها والذى يعنينا من ذلك هو أنه بدءا من عام ١٩٨٤ وحتى ١٩٨٧ اتخذت هذه الجماعة من الوجود الاسرائيلى فى معرض الكتاب ثم فى معرض التجارة الدولى فرصـة للتربص لبعض الشخصيات العاملة فى السلك الادارى الاسرائيلى بالسفارة فى القاهرة واطلاق الرصاص عليهم ٠ وفى عام ١٩٨٧ استخدم نفس الاسلوب بالنسبة الى دبلوماسيين أمريكيين وقد جرت محاكمة ٢٠ شخصا اتهموا بالاشتراك فى هذه الحوادث وكان على رأس المتهمين خالد عبد الناصر الذى لم تجرؤ الدولة على تطبيق الحكم عليه مهما يكن من أمر فان المشكلة التى أثارها اشتراك اسرائيل فى معرض الكتاب الدولى بالقاهرة تشير الى موقف المثقفين بصـفة عامة من

التطبيع مما اضطر الحكومة الى سحب موافقتها بعد تجربة عامين من الاثارة والاضطراب على مشاركة اسرائيل في المعرض ٠

المرحلة الثالثة :

تغيرت مفاهيم كثيرة بعد وقوع أزمة الخليج ومؤتمر مدريد المنبثق عنها فقد أصبحت الدول المتأثرة بالعدوان العراقى على الكويت مستعدة من خلال الولايات المتحدة للاعتراف بالوجود الاسرائيلى وشرعت بالفعل فى انهاء بعض مظاهر المقاطعة الاقتصادية مثل رفع الحظر عن شركات كانت مقاطعة بسبب تعاونها مع اسرائيل مثل فورد وموتوريلا وزيروكس وكوكاكولا ٠ ولم يقابل هذا التغير فى المواقف العربية تعديل جوهرى فى المواقف المصرية فنفور المصريين من زيارة اسرائيل واستمرار حملة صحف المعارضة على بعض المعاملات مع الدولة العبرية لم يتوقف مما يدل على أن الرأى العام المصرى لم يتردد فى التطبيع بسبب مجاملة الأطراف العربية بل كان هذا التردد نابعا من مشاعر وطنية محلية بحتة وكان سلوك اسرائيل ازاء الفلسطينيين فى الضفة والقطاع يؤثر تأثيرا كبيرا على الرأى العام المصرى ٠ فبمناسبة التوسع فى بناء المستوطنات شنت جريدة الوفد حملة ضد تصدير الطوب الى اسرائيل ويبدو أن الحكومة استجابت لمنع تصدير هذه السلعة التى تستخدم فى بناء المستوطنات ٠

وعلى المستوى الرسمى رفضت الحكومة المصرية عرضا اسرائيليا بتوقيع اتفاقية قضائية تشتمل على مبدأ تبادل المجرمين ، وقد طلبت اسرائيل عقد مثل هذه الاتفاقية لتخليص يوسف طحان أحد المهربين اليهود الذين حكم عليهم بالاعدام فى قضية تهريب مخدرات ٠ كذلك عندما زار رابين القاهرة اثر توليه رئاسة الوزارة الاسرائيلية فى صيف ١٩٩٢ أثار موضوع الاتفاق الذى قد يستخدم لتهريب

المسلحين الفلسطينيين أو على الأقل الأسلحة ، وكان المستوطنون اليهود هم الذين بنوا هذا الاتفاق لتسهيل الوصول الى اسرائيل . غير أن الحكومة المصرية ردت على هذا المطلب الاسرائيلي بالشكوى من بناء مفاعل ذرى على مقربة من طابا .

اتسمت اذن عملية التطبيع بتحفظ مستمر من الجانب المصرى وان خرجت عن هذا التحفظ وزارة الزراعة لموقف خاص اتبعه الدكتور / يوسف والى ففى عهد توليه الوزارة أدخلت بعض السلع بين الصادرات الى اسرائيل منها البطاطس وعزول القطن مما رفع قيمة التبادل فى ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ وزيد عدد الطلبة الذين أرسلوا الى المعاهد الزراعية الاسرائيلية للتدريب على بعض الوسائل المتقدمة فى مجال الزراعة والرى وتوج ذلك بزيارة وزير الزراعة الاسرائيلى يعقوب تسور للقاهرة فى ديسمبر ١٩٩٢ .

خلاصة القول ان أفضل وصف ينطبق على العلاقات المصرية الاسرائيلية هى عبارة الدكتور/ بطرس غالى القائلة « بأنه السلام البارد » .

لقد صمدت معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية أمام عدة أزمات تعرضت لها خلال السنوات الأربع عشرة التى مضت على توقيعها ويرجع ذلك لحد كبير الى الدور الأمريكى صاحب النفوذ لدى الطرفين . فتشجيعا لاستمرار حالة السلام واحتواء الأزمات خصصت الولايات المتحدة لاسرائيل ومن بعدها مصر نصف المعونات الخارجية الكلية التى تقدم لأقطار العالم وعندما دعيت الأطراف العربية الأخرى بعد مؤتمر مدريد لعقد معاهدة سلام استمر الدور المصرى متمثلا فى مساعى انجاح المباحثات الثنائية مع كل من سوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين . غير أن فتح الحدود والتطبيع الكامل كما تريده اسرائيل مع هذه الأطراف قد تكون له عواقب مختلفة نظرا لقرب

مراكز العمران بعضها من بعض وافتقاد الكثافة السكانية التى تتمتع بها مصر مما يجعل بعض الأطراف مثل سوريا تتخوف من التطبيع الكامل فى العلاقات · يضاف الى ذلك احترام المواجهة الدموية بين الفلسطينيين والاسرائيليين ومن ثم نتساءل هل تنجح التجربة المصرية فى السلام مع الأطراف العربية الأخرى فى ظل هذا الاختلاف فى المعطيات ؟ ·

كة السلام الآن فى اسرائيل

دكتور رشاد عبد الله ا
أستاذ ورئيس قسم اللغة العبـ
كلية الآداب جامعة عين

ب يونيو ١٩٦٧ عن عدة اتجاهات ص
فى اسرائيـل تجاه ما أسفرت ع
قليمى باحتلال الأراضى العربية عبر
وهى :

ه رأى أن الأراضى التى تم احتـلالها
الكبرى » وفق الحدود الواردة فى
بر أن هذه الأراضى هى « الأراضى ا
واحد » بمعنى رفض التنازل للعر
فى ظل أى ظروف ، ومثله ذوو ا
بة المتطرفة والدينيون المتطرفون ·

حاول استغلال ميكانيزم الصراع الع
الواقع مع استغلال عنصر الوقت
دولى والعالم العربى باسرائيل داخل
ظل سياسـة « فرض الأمر الواقـ
معالم المناطق المحتلة والسعى لتهوي

مساعى

سات حول مصير الأرض لمدة
يأتى عام ١٩٨٧ الا وسيعترف
من دولة اسرائيل ، مع استم
الاستراتيجية تجاه تحرير هذ

معتدل رأى فى احتلال هذه
مساومة من أجل الحصول على ا
لة هى « المناطق المحتفظ بها »
سلام مقابل الأرض باعتبار أن
فى حدود ما قبل ١٩٤٨ مع ضم
لعصا الغليظة القادرة باستمرا

رفض مبدأ احتلال أراضى الغ
ه المناطق هى جزء من أرض
تشكل ورقة للمساومة من أج
ت الى دولة احتلال استعمارية
نية المثالية وأطلق على هذه المن
أصحاب هذا الاتجاه فى معظمهم
الضمائر الأخلاقية من شتى الاتج
اه على الجانب اللاأخلاقى الذى
معاملة أبناء الشعب الفلسطينى
رائيل (١) ٠

رشاد عبد الله (دكتور) : عجز النص
دار الفكر للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠

وهكذا فتحت نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ من جديد ، وربما بشدة أكثر جروحا قديمة كانت تبدو وكأنها اندملت خلال تسعة عشر عاما من الاستقرار داخل حدود « الخط الأخضر » فبرزت من جديد مسألة نظام الأولويات فى أهداف الصهيونية · ماذا أولا ؟ دولة يهودية داخل فلسطين المحتلة ، أو دولة تكون حدودها متماثلة مع حدود أرض اسرائيل ؟ وهل تكون المناطق المحتلة ورقة للمساومة من أجل السلام ، أم تكون ضمانة من أجل الأمن ؟ وأثيرت مسألة الاستيطان : حجمه وتوقيته وطبيعة معاملة السكان العرب فى المناطق المحتلة : ضم يؤدى الى التغيير الديموجرافى أم طرد وترحيل ··· الخ ·

ويكاد يتفق الباحثون على أن حرب يونيو ١٩٦٧ بنتائجها التى تجسدت فى انتصار اسرائيل على جيوش ثلاث دول عربية (مصر ـ سوريا ـ الأردن) واحتلال كل من سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية والقدس ، كانت بمثابة منعطف مهم وفترة فاصلة فى تاريخ السياسة الاسرائيلية ومرحلة تالية لها مختلفة عنها تماما فى الظواهر والأدوار والدلالات والتوجهات والأساليب والتوقعات المستقبلية المرتبطة بها فيما يتصل بالواقع الاسرائيلى من الداخل ودور اسرائيل فى المنطقة ·

وقد تجلت بداية هذا التحول فى تلك الموجة العارمة التى اجتاحت اسرائيل بأسرها ، العلمانيين والدينيين على حد السواء ، وأضفت على انتصار اسرائيل مغزى دينيا روحيا ، مفسرة الانتصار على أنه معجزة الهية تمت بمساعدة الرب ، وخاصة بعد تلك المشاهد التراجيدية التى حظيت بأكبر قدر من النشر والاعلام الموجه داخل اسرائيل وخارجها ، للحظة لقاء المقاتلين الاسرائيليين من « الصابرا » العلمانيين مع حائط المبكى والأماكن اليهودية المقدسة ، وهم فى حالة عالية من التأثر والانفعال الذى وصل الى حد الانكفاء والبكاء ·

وفى ظل هذا المناخ الهوسى الدينى العارم ، وفى ظل حالة الترقب الاسرائيلى لتليفون من العرب يعلن عن قبولهم المسلام وفق شروط ديان ، كان من الصعب على ذوى الاتجاه الرابع من دعاة السلام مع اعادة الأراضى المحتلة أن يكون لهم صوت مسموع أو مؤثر بينما كانت ألبومات النصر توزع على أوسع نطاق وجنرالات اسرائيل من المؤسسة العسكرية فى حالة مبالغ فيهـا من الزهو والغرور والخيلاء .

وبعد نشوب حرب الاستنزاف (١٩٦٩ ـ ١٩٧١) بما صاحبها من استمرار لمناخ الحرب الذى ينطوى على الموت والضحايا اليومية من الاسرائيليين التى كانت تتصدر صـورهم الصفحات الأولى من الصحف الاسرائيلية لدرجة أنهم كانوا يخشون قراءة الصحف فى تلك الأيام حتى لا يفاجأوا بموت عزيز أو قريب ، بدأ الاحساس بالدوران فى الحلقة المفرغة من الحروب والسأم من كابوس الحروب المتعاقبة والتشكك فى جدواها يعم الكثيرين ، وبدأت تتسرب المشاعر والانطباعات التى تعبر عن مناخ الرفض لاستمرار أهوال الحرب والتمرد على الموت بلا ثمن ، والافتقار الى الأمل فى حياة هادئة فى المستقبل ، ورفض التوالد يأسا من المستقبل ورفضـا لأن يكون الأبناء وقودا لمزيد من الحروب (*) .

وقد شهدت فترة حرب الاستنزاف مجموعة من ردود الفعل العارمة التى اجتاحت قطاعا عريضا من المجتمع الاسرائيـلى مطالبة بوضع حد لهذه الحروب وبالسعى الى السلام بأى ثمن مع العرب

(★) بلغ عدد الاسرائيليين الذين قتلوا منذ حرب يونيو ١٩٦٧ . ٨١٧ : ٦٣٨ جنديا و ١٨٠ مدنيا وكانت السنة الثالثـة ١٩٧٠ أصـعب سـنة حيث قتل ٣١٩ اسرائيليا وجرح ١١٣١ جنديا ومدنيا ، وهذه أرقام رغم قلتها الظاهرية كانت مؤثرة للغاية فى الاسرائيليين الذين لديهم حساسية خاصة على المستوى النفسى تجاه الموت (راجع ها أرتس ١٩٧٢/٦/٦) .

ولو على حساب التنازل عن الأراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ · وقد عبرت عن هذه الرغبة قصيدة للشاعر الاسرائيلي مائير شيلاف يقول فيها :

ليس هناك موطىء قدم في هذه البلاد
ولو كان كل آباؤنا قد ساروا فيه
ولو كان حتى الرب قد وعدنا به
أغلى عندي من جثة الفتى المتعفنة

وكان من أشهر ردود الفعل في تلك الأيام ذلك الخطاب المتكون من عدة سطور والذى أرسله طلاب الصف الثاني عشر في احدى المدارس الثانوية الى جولدة مائير رئيسة الحكومة الاسرائيلية آنذاك ، احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان الخاص بارساله للتباحث مع عبد الناصر حول السلام · وقد جاء في الخطاب « نحن جماعة تلاميذ الثانوية ، الذين على وشك التجنيد في جيش الدفاع الاسرائيلي نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية جولدمان ـ ناصر · لقد كنا نعتقد حتى الآن أننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لأنه لا خيار لنا · وبعد هذه القضية ثبت أنه حتى حينما يكون هناك خيار ، ولو صغير للغاية ، فانكم تتجاهلونه · وعلى ضوء هذا فاننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذى توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام ، اننا ندعو الحكومة الى استغلال كل فرصة وكل امكانية للسلام ·

وكان من بين الطلاب أبناء وأحفاد رجال بارزين في النظام السياسي الاسرائيلي · ولم يكن هؤلاء الطلاب متمردين ، بل كانوا يرددون مشاعر آبائهم · فقد قال شموئيل شيمطوف أحد الموقعين على الخطاب وابن الوزير (آنذاك) فيكتور شيمطوف (من حزب المبام) :

« لقد نشأت فى بيت ذي اتجاهات يسارية وتعلمت فى البيت وفى المدرسة ، وبواسطة الدولة الاعتقاد بأن الهدف الأول لأعمالى وأفكارى يجب أن يكون السلام » ٠

كما ألقى آرييه زاكس أستاذ اللغة الانجليزية والدراما بالجامعة العبرية خطابا مدويا فى المظاهرة التى اتجهت الى منزل جولدة مائير جاء فيه : « اننى أتهم الحكومة بالتزوير والكذب وسوء النية وبأنها تقود الدولة الى الدمار » (١) ٠

وكان خطاب الصف الثانى عشر وتظاهرات الطلاب بمثابة سماد سرعان ما أنبت نباتات جديدة ، وانضم الشباب علانية مؤيدا حركة « متسبين » (البوصلة) وهى « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (*) والتى أصبحت فجأة موضوع اهتمام اسرائيليين كثيرين وحركة « سياح » (اليسار الاسرائيلى الجديد) (**) ٠

---

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ١٥ (أغسطس ١٩٧٢) ، ص ٤٧١ ٠

(★) الاسم الرسمى لمتسبين هو « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (اسى) ، أسست عام ١٩٦٢ بعد انسحاب ١٢ عضوا من « ماكى » (الحزب الشيوعى الاسرائيلى) على رأسهم موشيه محوفر وعكيبا أور وعوديد بيلافسكى ، وذلك بسبب توجيههم انتقادات للاتحاد السوفيتى ٠ وعالمهم مثقل بالاقتباسات من ماركس ولينين وتروتسكى والمصطلحات الجدلية المعقدة ٠

(★★) كان اليسار الاسرائيلى الجديد (سياح) هو نتاج التغيرات السياسية التى أعقبت حرب يونيو ١٩٦٧ وضم عددا من أعضاء الكيبوتسات والشبيبة اليسارية من حزب « المبام » لتقربه من حزب العمل الاسرائيلى وسكون نضاله السياسى والاجتماعى ، وعدد من أعضاء « ماكى » بعد تحولها للخطاب الصهيونى ، وعدد من الطلاب الباحثين عن يسار خارج النظام ، وبعيدا عن « متسبين » التى بدت لهم حركة متطرفة جدا ٠ لم يكن للمنظمة برنامج سياسى بل اجماع فكرى على عدة اتجاهات هى :

وكان هناك من وزعوا صحفا سرية تحمل أسماء مثل « جغشوش » (الكتلة الداعية للسلام) ، « نعشهوش » (الشباب الداعي للسلام) ، متوجة بأسلوب براق وتحوى كلمات احتجاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية · وقد حفلت هذه المقالات بصرخات مثل : « لن يبعد اليوم اذا ما استمرت الظروف الحالية ، الذى نصل فيه حقا الى الحالة التى سيكون فيها مقابل كل شاب ثلاث فتيات » أو عبارات مثل : « أنت أيها الشاب المتيقظ لمشاكل الساعة ، أنت أيها الشاب الهادئ الذى لا يتمرد على المجتمع ، أنت أيها الشاب الذى تسمى ذئبا على ألسنة العجائز ولا تخجل من هذا ، أنت أيها الشاب الميت ، المتعب قم وتخلص من جمودك ، وتخلص من وصاية آبائك وأجدادك ، قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة التى بسبب غبائها الشديد أوصلتنا الى هذا · كف · كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولها جولدة أو ديان ··· اخرج الى الشارع وتخط الحواجز وحارب من أجل السلام · لا تقل ان الموقف الأمنى لا يسمح بهذا ، حارب من أجل تغيير هذا الموقف الأمنى · ان السلام يجب أن يصل بأى ثمن ، وكان سيصل لولا غباء الزعامة لا تقل ان الحرب قد فرضت علينا · ان هذا القول من الممكن أن يردده الأمريكيون فى فيتنام والنيجر فى بيافرا ·

= ١ ـ رفض ضم المناطق المحتلة واعتبار خطوط الرابع من يونيو خطوطا للمفاوضات مع تعديلات معينة على الحدود ·

٢ ـ سلام اسرائيلى عربى مرتكز على الصلح مع الفلسطينيين ، وعلى أساس مناهضة الامبريالية ·

٣ ـ مع المظلومين وضد الظالمين ·

٤ ـ الموافقة على كيان دولة اسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة وأغلبية يهودية ·

٥ ـ بناء مجتمع اشتراكى فى اسرائيل ·

انهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها أنت على نفسك لأنك أيدت طريق زعمائك » (١) .

وهكذا فان حرب الاستنزاف بمرارة تجربتها من الناحية المعنوية على الاسرائيليين ، مما كان يدفع زعماء اسرائيل دوما الى التأكيد بأنهم لن يسمحوا بأن تجر اسرائيل الى حرب استنزاف ، وسيحاولون تصعيدها الى حرب شاملة ، هى الأرضية التى مهدت لنشأة حركات السلام المنظمة فى اسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبالرغم من أن صوتها ظل ممقوعا ومحدودا .

ويمكن القول بأن أنصار حركات السلام فى اسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ كانوا من خلفيات متعددة ، وكان البارزون من بينهم هم الملقبون ب « الأساتذة » فى المصطلح الاسرائيلى الدارج ، وهم جماعة متمركزة أساسا فى الجامعة العبرية ، والى حد ما فى الجامعات الأخرى ، وليس هؤلاء أكثرية الأساتذة ، لكن اللقب يرتبط بموقف السلام ، اذ ينظر اليهم على أنهم يحملون تراث « بريت شالوم » (حلف السلام) التى كانت تتألف فى معظمها من الأساتذة . وكانت هذه الجماعة التى سبقت قيام الدولة وضمت مارتن بوبر ويهودا ماجنس وارنست سيمون مستعدة فى بحثها عن اتفاق مع العرب للذهاب الى أبعد من أية جماعة صهيونية أخرى ، من أجل تحقيق المطالب العربية أملا فى الحصول على قبول العرب لليهود كأقلية دائمة فى فلسطين ومن بين « الأساتذة » المعاصرين شبان من أصل أوربى شرقى ، تثقفوا فى القدس ، وفى الجامعات الانجليزية والأمريكية ، مثل يعقوب تالمون ، يهوشواع أريئيلى ، شلومو أفنيرى ، يهوشواع برهيليل ، وبعض الشبان الأصغر مثل

---

(١) الشامى . رشاد عبد الله (دكتور) : الأدب والحرب فى اسرائيل ، مقال فى مجلة « فكر » ، أكتوبر ١٩٨٨ ، ص ١٢٧-١٢٩ .

جاد ياتسيف ، مدرس علم الاجتماع الذى يرأس « قائمة السلام » (رشيملت هشالوم) التى فشلت فى انتخابات الكنيست التاسع (١٩٦٩) .

وهناك منشأ ثان مهم لحركات السلام فى اسرائيل هو حركة « هشومير هستعير » (الحارس الفتى) ووريثها السياسى حزب « المبام » . وتتألف حركة « بريت هسمول » (حلف اليسار) من المرتدين المتقدمين فى السن الذين بقى لينين وحركة « هشومير هتسعير » القديمة مثالا لهم ، وكانوا ينظرون الى الحركة القومية العربية على أنها حركة تقدمية والى الصهيونية على أنها حركة رجعية . أما الجيل الجديد من أعضاء « المبام » الساخطية ، فيشكل أغلبية القيادة فى « سياح » (سمول يسرائيلى حاداش) أى « اليسار الاسرائيلى الجديد » ، والذى يعتمد على جيل الجامعات ، ويتعاطف مع جماعات اليسار الجديد فى البلاد الغربية (١) .

وقد حظيت حركة السلام الاسرائيلى بتأييد عدد كبير من الأدباء الاسرائيليين الشبان . وقد ذكر عاموس أعيون ، وهو نفسه من المتعاطفين مع هؤلاء الأدباء : « تميز الأدب الاسرائيلى الجديد باتجاه سلمى غريزى وبرغبة جامحة فى تفهم « العدو » والتعاطف معه ، بلغا حدا دفع بعض النقاد الى التحذير من الاتجاهات « الانتحارية » التى قد تعكسها هذه التيارات » (٢) .

وكانت الفكرة الرئيسية التى تجمع هؤلاء هو حث اسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ ، بهدف تخليص

---

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ١٥ (أغسطس ١٩٧٢) ، ص ٤٦٦ .

(٢) Elon. Amos : The israelis, Founders and sons, Holt. Rinehart, Wiston, 1971, p. 248.

اسرائيل : أولا وقبل كل شيء ، من المناطق ومن العرب الذين يعيشون فيها ، مقابل السلام ، اذا أمكن الحصول عليه ، ومقابل الوضع القديم ، اذا كان ذلك أفضل ما يمكن الحصول عليه ولم يكن يهمهم ، بشكل خاص ، لمن ستذهب هذه المناطق ، واقترح كثيرون منهم اعادتها لحكامها السابقين . كذلك عالجوا مسألة حق تقرير المصير للفلسطينيين على أنها جوهر الصراع العربي الاسرائيلي وانتهوا الى القول بأنه في اللحظة التي يكون فيها الفلسطينيون دولة ستتبخر أسباب الصراع « ويتضمن هذا في جوهره ، اعادة مشروع الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ » (٣) .

واذا كانت الساحة الاسرائيلية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد كانت مهيأة لاقتحام توجهات اليمين الصهيوني الفاشيستي المتطرف والجماعات الدينية المتطرفة ، التي كانت قد استطاعت عبر سنوات سابقة أن تنظم صفوفها وتستقطب الاتباع والمؤيدين لوجهة نظرهم بشأن الاستيطان وعدم اعادة الأراضي العربية المحتلة وضرورة التخلص من عرب المناطق المحتلة ! استنادا الى أقوال الحاخامات ، فان عبارة « التقصير » التعبير البارز الذي ارتبط بنتائج في حرب أكتوبر ١٩٧٣ في اسرائيل ، مع ذكريات الرعب من المواقع الاسرائيلية المحاصرة والرسائل الاذاعية التي بعث بها الأسرى عبر اذاعة القاهرة العبرية الى ذويهم ، والخلافات اللانهائية بين الجنرالات الاسرائيليين والاتهامات المتبادلة ، ثم صدور نتائج لجنة تحقيق « اجرانات » ، التي ألقت مسئولية الهزيمة الاسرائيلية على أخطاء تقنية ارتكبتها شخصيات في الجيش والمخابرات الاسرائيلية قبل الحرب وأثنائها ، كل هذا أدى الى بروز حركات احتجاج وتظاهرات طالبت بعزل جيل كامل الزعماء ، وكانت الاحتفالات الوحيدة التي تقام بمناسبة حرب أكتوبر تقام في المقابر دون نصب تذكارية .

---

(٣) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ .

وإذا كانت حركات الاحتجاج على هزيمة اسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد تلاشت بنفس السرعة التى ظهرت بهـا ، فان مجموعتين فقط من بين هذه الحركات واصلتا التواجد فى اتجاهين متناقضين تمــاما : المجموعة الأولى هى جماعة « جوش ايمونيم » الدينية الأصولية التى كان لديها حل جاهز ينطوى على تعزيز الايمان بالخلاص والعبادة وحددت أن مبادئها هى : لا تنازل ولا انسحاب ولا تخلى عن طريق الايمان بضرورة استيطان كامل « أرض اسرائيل » التاريخية ، وحركة « السلام الآن » التى نادت بأن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقود الى الطريق العكسى وهو حتمية التفاوض حول اعادة الأراضى المحتلة مقــابل الســلام ، وهى حركة ذات طــابع صهيونى عمالى ليبرالى معتدل تعد امتدادا لحركة السلام الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ وضمت فى صفوفها أيضا العديد من أبرز رموز الثقافة والفكر فى اسرائيل • وقائمة الزعماء النشيطين فى هذه الحركة تضم شخصيات متنوعة تضم أساتذة جامعــات ، وأدباء مشهورين ، ورجال أعمال ، وقادة سابقين فى جيش الدفاع الاسرائيلى وشخصيات عامة قيادية من بينهم عشرة من الوزراء السابقين فى الحكومات الاسرائيلية نعرض فيما يلى لأسمائهم من باب التوثيق :

١ ـ أفراهام أجمون
رجل أعمال ـ شركة البترول

٢ ـ يهودا عميحاى
شاعر وأديب

٣ ـ ريتشارد أرمون
مدير شركة تأمين ومدير بنك العمال

٤ ـ جنرال شمعون أفيدان
عضو كيبوتس وأحد قادة جيش اسرائيل فى حرب ١٩٤٨

٥ ـ الحاخام شموئيل أفيدور هكوهين

٦ ـ هانوخ برطوف
أديب وصحفي في صحيفة « معاريف »

٧ ـ يتسحاك بن أهارون
عضو كيبوتس وجنرال سابق ووزير سابق

٨ ـ البروفسور جبرائيل بن دور
جامعة حيفا

٩ ـ أورى برنشتاين
شاعر ـ رجل صناعة في شركة أمكور

١٠ ـ الجنرال موشيه كرمل
أحد قادة حرب ١٩٤٨ ووزير سابق

١١ ـ البروفيسور نعومى حازان
أستاذ علوم سياسية في معهد ترومان بالجامعة العبرية بالقدس ٠

١٢ ـ روث ديان
سيدة أعمال

١٣ ـ البروفيسور يورام رينشتاين
أستاذ القانون الدولى ورئيس سابق لجامعة تل أبيب

١٤ ـ البروفيسور أفيفا دورون
أستاذ الأدب بجامعة تل أبيب ٠

١٥ ـ أهارون دوفرات
رجل أعمال

١٦ ـ عاموس ايلون
مؤلف ومحرر في صحيفة « هاآرتس »

١٧ ـ البروفيسور يارون ازراحي
أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية بالقدس

١٨ ـ اكسل فيدرمان
رجال أعمال ـ مدير سلسلة فنادق ران

١٩ ـ البروفيسور ميخائيل فيلدمان
أستاذ بيولوجي في معهد وايزمان للعلوم

٢٠ ـ البريجادير جنرال جيورا فيورمان
أحد القادة السابقين لسلاح الطيران الاسرائيلي وعضو كيبوتس

٢١ ـ البروفيسور شاؤول فرايدلاندر
مؤرخ بجامعة تل أبيب وجامعة جنيف .

٢٢ ـ أرنون جفني
رئيس مجلس ادارة شركة كور ومحافظ سابق لبنك اسرائيل

٢٣ ـ البروفيسورة روث جامنسيون
كلية الحقوق بالجامعة العبرية بالقدس ورئيسة منظمة حقوق الانسان .

٢٤ ـ البروفيسورة جاليا جولان
عالمة اجتماع بالجامعة العبرية بالقدس وزعيمة حركة « السلام الآن » .

٢٥ ـ أوري جوردوق
رئيس قسم الهجرة بالوكالة اليهودية

٢٦ ـ اليعزر جرانوت
السكرتير العام لحزب « المبام » وعضو كنيست سابق .

٢٧ ـ شلومو جور
مهندس

٢٨ ـ حييم جبعاتى
عضو كيبوتس ووزير سابق

٢٩ ـ البروفيسور يهوشافاط هركابى
الرئيس الأسبق للمخابرات الاسرائيلية ومؤرخ وأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس .

٣٠ ـ ايلى هلالى
رجل أعمال

٣١ ـ البروفيسور دان هوروفتيس
أستاذ علوم سياسية بالجامعة العبرية

٣٢ ـ البروفيسور اليعيزر كابلانسكى
رئيس قسم الكارديولوجى ـ مستشفى تل هشومير

٣٣ ـ دكتور اسرائيل كاتس
مدير معهد أبحاث السياسة الاجتماعية ووزير سابق

٣٤ ـ دانى كارافان

٣٥ ـ دكتور ايدى كوفمان
مدير معهد ترومان بالجامعة العبرية

٣٦ ـ البروفيسور كلود كلاين
أستاذ القانون الدولى بالجامعة العبرية

٣٧ ـ ثيوكلاين
الرئيس السابق لمؤسسة CRIF بفرنسا

٣٨ ـ برونو لاندزبرج
رجل أعمال

٣٩ ـ البروفيسور شنيور ليفسون
محلل نفسانى ورئيس سابق لمعهد وايزمان للعلوم برحوبوت

٤٠ ـ جبرائيل ملكا
مدير شئون الطلاب بجامعة حيفا

٤١ ـ البروفيسور موشيه ماعوز
مستشرق بمعهد ترومان بالجامعة العبرية

٤٢ ـ البروفيسور أفيشاى مرجاليت
أستاذ الفلسفة بالجامعة العبرية

٤٣ ـ أهارون مائير
رجل أعمال

٤٤ ـ افراهام ملاميد
عضو قيادى بالحزب الدينى القومى

٤٥ ـ حنا ميرون
ممثل ـ حاصل على جائزة اسرائيل

٤٦ ـ دافيد موشيفتيس
رجل أعمال

٤٧ ـ عاموس عوز
أديب اسرائيلى

٤٨ ـ البروفيسور يوحان بيرز
أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية

٤٩ ـ البروفيسور ألن بولاك
المشرف على UJA بكنـدا

٥٠ ـ اسرائيل بولاك
رجال أعمال فى مجال الصناعة ٠

٥١ ـ داليا رابيكوفتيس
شـاعرة ٠

٥٢ ـ البروفيسور آفى رافيتسكى
نائب معهد الدراسات اليهودية بالجامعة العبرية ٠

٥٣ ـ افرايم رينر
رجـل أعمـال ٠

٥٤ ـ يوسف روزين
رجـل أعمال ٠

٥٥ ـ ناتان شاحام
أديب ومدير دار نشر « سفريات بوعاليم » وقائد عسكرى سابق فى حرب يونيو ١٩٦٧ ٠

٥٦ ـ البروفيسور أليس شالفى
من خبراء التعليم ورئيسة جمعية الحقوق المدنية ٠

٥٧ ـ آريه سيمون
من خبراء التعليم وحاصل على جائزة اسرائيل للتعليم ٠

٥٨ ـ البروفيسور أوريئيل سيمون
أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة برايلان ٠

٥٩ ـ ساميخ يزهار سميلانسكى
أديب وعضو كنيست سابق وحاصل على جائزة اسرائيل للأدب عام ١٩٩٢ .

٦٠ ـ يهوشواع سوبول

٦١ ـ البروفيسور ساسون سوميخ
أستاذ الأدب العربى بجامعة تل أبيب .

٦٢ ـ جنرال افراهام تامير
المدير السابق لمكتب رئيس الوزراء ووزير سابق للخارجية

٦٣ ـ بنى تمكيمن
السكرتير العام لحزب « راتسى » ـ أستاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب .

٦٤ ـ أهارون أوزان
رئيس الطائفة الاسرائيلية السفاردية ووزير سابق .

٦٥ ـ البروفيسور دعفان فايتس
رئيس مركز دراسة الاستيطان برحوبوت والرئيس السابق لقسم الاستيطان بالوكالة اليهودية .

٦٦ ـ الكولونيل دانى وولف
قائد كتيبة سابق بالجيش الاسرائيلى .

٦٧ ـ أ . ب . يهوشواع
أديب اسرائيلى .

٦٨ ـ دكتور يوسف يونا
أستاذ فلسفة اليكلم بالجامعة العبرية .

٦٩ ـ البروفيسور يرمياهو يوفال
رئيس قسم الفلسفة بالجامعة العبرية ٠

٧٠ ـ حنـــا سيمير
مدير تحرير صحيفة « دافار » ٠

٧١ ـ موشـــيه زنبر
رئيس بنك لئومى ومحافظ سابق لبنك اسرائيل ٠

٧٢ ـ نسيم زفيلى
رئيس حركة « الموشاف » (١) ٠

وبطبيعة الحال فان العضوية فى حركة « السلام الآن » كانت تضم اضــافة لهذه الأسـماء التى تعتبر بمثابة الزعامة النشيطة للحركة ، المئات من المثقفين والكتاب المتعاطفين من كافة قطاعات المجتمع الاسرائيلى علمانيين ودينيين ، والآلاف من المتعاطفين مع الحركة وأهدافها ٠ واذا جاز لنا أن نقول ان نشاط الحركة لم يكن خاضعا لنفوذ أو تأثير أى حزب اسرائيلى حيث فضل أعضاؤها عدم الانضــواء تحت لواء أى حزب من أحزاب اليســـار الصهيونى الاسرائيلى قد تتفق فى برامجها وأهدافها مع توجهـــات الحركة وخاصة حزب « المبام » الماركسى بصفة خاصة وبعض قطاعات من حزب « العمل الاسرائيلى » ، فان هذه السياسة قد أعطت للحركة حرية اتخاذ القرار والدعوة للتظاهر فى الشـــارع الاسرائيـــلى والاتصـــال الحر بكافة المؤسسات والجماعات والأحزاب والأفراد سواء من الجانب الاسرائيـــلى أو الجانب الفلسطينى على حـــد السواء ، وخاصة بأعضاء منظمة التحرير الفلسطينية حتي لايكون

(١) New- Letter, Bullitin of "international Center For Peace in Middle east, No. 16, p. 2.

الارتباط الحزبى والسياسى قيدا عليها ، بالرغم من وجـود قانون اسرائيلى سنه الكنيست الاسرائيلى يحظر الاتصال بأعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ·

وقد حددت حركة « السلام الآن » أهدافهـــا وتوجهاتهـــا الرئيسية أثنـــاء ندوة عقدتهـــا مع أعضاء من منظمـــة التحرير الفلسطينية فى يوليو ١٩٨٦ برعاية معهد كارل رينر بفيينا كانت أبرز خطوطه هى :

١ ـ أن السلام يجب ان يسود منطقة الشرق الأوسط بحيث تتمتع شعوب المنطقة بما فى ذلك الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى بالحقوق المتساوية وتسوية الصراع الاسرائيلى الفلسطينى على أساس من اقرار الاعتراف المتبادل بين دولة اسرائيـــل ودولة فلسطين ·

٢ ـ أن التسوية يجب أن تضع نهاية للاحتلال الاسرائيلى الذى ترتب على حرب ١٩٦٧ ·

٣ ـ أن التســـــوية يجب أن تتضمن حـــلا لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين من كافة وجوهها ·

٤ ـ أن كافة الخلافات ينبغى أن تحل من خـــلال مفاوضات تتم بين ممثلين معترف بهم من كافة الأطراف ، من حكومة اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بهدف التوصل الى حل جذرى يتضمن حق شعوب المنطقة فى العيش داخل حدود آمنـــة ومعترف بها وعدم اللجوء للعنف فى حل الخلافات ·

٥ – أن المفاوضات بين الأطراف يجب أن تتم فى اطــار مؤتمر دولى للســـلام (١) .

وقد التقت هذه الأهداف مع قطاعات العديد من الشخصيات البارزة والفاعلة فى أوساط اليســار الصهيونى المعتدل امثــال شولاميت آلونى عضو الكنيست وزعيمة كتلة « ميرتس » (*) التى خاضت انتخابات الكنيست الثالث عشر فى يونيو ١٩٩٢ وفازت بعدد من المقاعد أهلها لدخول الائتلاف مع حزب العمل الاسرائيلى، وتولت وزارة التعليم فى اسرائيل فى حكومة رابين وكانت مع أعضاء حزبها فى الكنيست من أهم العوامل التى أثرت فى اتخاذ الكنيست لقرار برفع الحظر عن الاتصال بأعضاء منظمة التحرير الفلسطينية فى فبراير ١٩٩٣ ، وياعيل ديان الكاتبة الاسرائيلية ابنة القائد العسكرى المعروف موشيه ديان والتي قامت باتصـــالات مباشرة مؤخرا مع ياسر عرفات بتونس فى مارس ١٩٩٣ الأمر الذى أثار عليها عاصفة من الغضب داخل اسرائيـــل لم تأبه لها ، وامون روبنشتاين عضو الكنيست عن حزب « شينوى » (التغيير) أحد فصائل كتلة « ميرتس » ، وحييم صادوق وزير العدل الســـابق ورئيس « المركز الدولى للسلام فى الشرق الأوسط » ICPME ، وكانوا جميعا على اتصالات مستمرة مع العناصر القيادية فى منظمة التحرير الفلسطينية داخل الأراضى المحتلة وخارجها أمثال محمود درويش وياسر عبد ربه ونمير حامد ، وحنـــا سنيورة وفيصـــل الحسينى وحنان عشراوى وليلى شديد وابراهيم نمير حسين وحسين

---

(١) Ibid, p. 10.

(★) كتلة « ميرتس » (حيوية) تضم كلا من الأحزاب : راتس وشينوى ومابام ، وهى تعتبر بمثابة أحزاب السلام فى اسرائيل · وتشدد حركة « راتس » بصفة أساسية على الحقوق المدنية ومعارضة الاكراه الدينى ·

أبو حسين وغيرهم سواء بشكل مباشر أو عبر الندوات الدولية للسلام التى كان يقوم بتنظيمها « المركز الدولى للسلام فى الشرق الأوسط » ٠

ويمكن القول بأن المجهود الرئيسى والفعال الذى تقوم به حركة « السلام الآن » فى اسرائيل والتى لايعرف عدد الأعضاء المنتمين اليها تحديدا ، بينما يصل عدد من يتجاوبون مع أهدافها الى عشرات الآلاف ، ينحصر فى الدعوة للمظاهرات الاحتجاجية ضد السياسات الاسرائيلية التى لاتتوافق مع توجهاتها مثل التظاهر ضد « حرب لبنان عام ١٩٨٢ » وضد « ضم الأراضى المحتلة » وضد « الاستيطان فى المناطق المحتلة » ولتأييد مبادرات السلام ، كما حدث عند عقد مؤتمر مدريد فى سبتمبر ١٩٩١ حيث استطاعت حشد مظاهرة تأييد ضمت حوالى أربعمائة ألف متظاهر اسرائيلى (بما يقابل خمسة ملايين مصرى) ، وكتابة المقالات فى الصحف الاسرائيلية والصحف الأجنبية وعقد الندوات ٠ وبالرغم من هذا التأييد العارم لتوجهات حركة « السلام الآن » من الشارع الاسرائيلى ، فان عدد الاسرائيليين اليهود المستعدين لاعتبار حركة « السلام الآن » خارجة على القانون أكبر من عدد الذين يميلون الى اعتبار حركة « جوش ايمونيم » غير شرعية (٢٢٪ مقابل ٢٧٪)(١)٠

ومن الجديد بالذكر ، أن نشير الى أن حركة « السلام الآن » تحظى بمعارضة شديدة من جماعة « جوش ايمونيم » التى شاع بينهم اعتبارها حركة ممثلة للتخلى المطلق عن الصهيونية ومصدرا لفتور الهمة واضعاف العزيمة عند الاسرائيليين : « بمزيد من الحزن نشهد اليوم تحت ستار الصهيونية العاقلة تسارعا فى نفى

---

(١) استطلاع أجراه مركز « داهاف » لمجلة « كوتيرت داشيت » ٩ مارس ١٩٨٣ ٠

الصفة التاريخية والتنكر للصفة الصهيونية ، من خـلال عملية تشـجيع اليهود على تكتيف اليدين وتقويض الايمـان بعـدالة قضيتنا » (٢) • وهم عادة ما يضعون حركه « السلام الآن » فى سلة واحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية ويعتبرونها الناطقـة الرسمية بلسان المنظمة فى اسرائيل ، ويحذرون من مغبة الانسياق وراء دعوة التنـازل عن الأراضى المحتلة التى ترفعهـا حـركة « السلام الآن » : « ان من لايريد العيش فى دولة « السلام الآن »، التى باتت خططها توضع موضع التنفيذ هنا والآن ، فالأجدر به أن يباشر احتواء الفيضان الآن ، والا فانهم سيستيقظون يوما فى يهودا والسامرة وغزة والجولان وربما فى أورشليم أيضا ، كما استيقظنا فى سيناء ، بعد فوات الأوان » (٣) •

وقد عانت حـركة « السـلام الآن » كثيرا ابان حكم كتله « الليكود » اليمينية المتطرفة لاسرائيل (١٩٧٧ ـ ١٩٩٢) وبدا أنها أصبحت أكثر فاعلية عندما حدث ذلك الذى يطلقون عليه فى اسرائيل « الانقلاب الثانى » عندما استعاد « حزب العمل الاسرائيلى » السلطة من حزب الليكود فى يونيو ١٩٩٣ ، وذلك بصعود اليسار الصهيوني المعتدل المتمثل فى كتلة « ميرتس » الى الحكم الائتلافى فى حكومة رابين وتولى بعض عناصره البارزة من أعضـاء حركة « السلام الآن » لمناصب حكومية مؤثرة وزيادة فاعليتهم على القرار السياسى فى الكنيست الاسرائيلى •

واذا كانت حركة « السـلام الآن » هى بمفهوم ما حـركة للمثقفين ورجال الفكر فى اسرائيل من ذوى الاتجاه اليسـارى

---

(٢) لوستيك ، ايان : الأصولية اليهودية فى اسرائيل ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية • بيروت ، ١٩٩١ ، ص ١٢٨ •

(٣) نفس المرجع ، ص ١٦٦ •

الصهيونى المعتدل لها مواقف محددة ازاء عدد من القضايا السياسيه التي تواجه اسرائيل منذ احتلالها للأراضى المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وهى مواقف تقف فى الطرف الآخر ، كما أشرت من قبل من مواقف اليمين الصهيونى المتطرف الداعى لضم الأراضى ، ومن حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التى تضم المثقفين ورجال الفكر الاسرائيليين من ذوى التوجهات اليمينية الصهيونية ، ومن حركة « جوش ايمونيم » الدينية الأصولية الداعية للاستيطان ولسياسة طرد الفلسطينيين ٠ فان دورها الذى تقوم به ربما يكون مناسبا لالقاء الضوء على دور المثقفين ورجال الفكر فى اسرائيل وخاصة خلال فترة حكم « الليكود » لاسرائيل (١٩٧٧ ــ ١٩٩٢) ، وذلك من خلال ما كتبه واحد من أبرز أعضاء حركة « السلام الآن » وهو رئيس المخابرات الاسرائيلية الأسبق والمستشرق وأستاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب يهوشافاط هركابى ٠ يقول هركابى : « ان من الظواهر الأخيرة المحزنة فى اسرائيل تخلى رجال الفكر عن دورهم التقليدى فى التأثير على الجماهير بصورة عامة ٠ وليس ثمة شك فى أن هناك العديد من الأسباب لذلك ٠ لقد كتبوا كتبا ومقالات مثيرة ثم اكتشفوا أن كلماتهم ليس لها تأثير ، وبدأوا فى سؤال أنفسهم لماذا يفعلون ذلك ٠ ولابد أن أعترف بأننى سألت نفسى هذا السؤال مرارا ٠ اذ يبدو أن كل شىء قد قيل بالفعل ، وأن النقد والفكر لم يعد لهما نفوذ أو تأثير ٠ وفى السنوات الأخيرة اتجه التليفزيون الذى يمثل القناة الرئيسية لوسائل الاعلام ، الى وضع نفسه فى خدمة السياسيين ، ونادرا ما توجه الدعوة للاكاديميين لعرض آرائهم كخبراء فى القضايا الحساسة ، كما أن خطورة القرارات واحتمال قسوة النتائج تعمل أيضا على منع الأكاديميين » ٠ ويواصل هركابى حديثه قائلا : « ان من عادة المفكرين التعبير عن أنفسهم بشروح معتدلة ومستقلة ، ولكن خطورة الموقف الراهن من القوة بحيث تتطلب كلمات شديدة اللهجة ٠

وقد جعلت العقلية الشعبية التي جلبها الليكود معه ، أهل الفكر لايشعرون بالراحة ، اذ أنهم لايستطيعون منافسة مهيجي الدهماء. غير أن ردود الفعل المعتدلة والحذرة لاتعتبر مناسبة في وقت الطوارئ الوطنية • والمفكرون يودون التفسير ، ولكن الساحة السياسية تحتاج الى نضال متواصل لكي يدافع المرء عن آرائه • ومن الصعب بالنسبة لعلماء الاجتماع والمختصين بالدراسات الانسانية التوصل الى لغة مشتركة للتفاهم مع الناس البسطاء • كذلك لايتمتع المفكرون بالشجاعة والصراحة التي يجب ان يتمتعوا بهما • وقد أصبت بالانزعاج حينما رأيت أصدقاء يقررون أنه من الحكمة الامتناع عن التعبير عن آرائهم علنا • وليست المشكلة فيما يقدر المرء على البوح به ، بل فيما يتعين عليه قوله ، ولا أعتقد أنني افترى على أحد اذا قلت ان كثيرين من المفكرين قد فشلوا في أداء واجبهم بالوقوف في وجه التطورات التي يؤمنون ايمانا راسخا بأنها تنطوي على كارثة •

والمفكرون والاكاديميون ، مثل سائر الرجال والنساء ، يعانون من الغرور ، ولكن غرورهم يأخذ شكلا فرديا بدرجة اكبر فاذا ظهروا ، على سبيل المثال ، في مناقشة عامة وكانت لهم تقريبا وجهات النظر نفسها ــ لنقل في عملية السلام مثلا ــ فان كلا منهم يسعى في المقام الأول للتأكيد على وجه الخلاف بين موقفه أو موقعها ومواقف الآخرين • وفي النهاية يمنى الجميع بالخسران • ولكي يكون للمفكرين نفوذ ، فانهم يجب أن يشرعوا في تكوين جماعات تشترك في موقف واحد تدافع عنه » (١) •

---

(١) هركابي • يهوشافاط : « هخراعوت جورالبوت » (عمليات حسم مصيرية » ، دار نشر « عم عوفيد » تل أبيب ، ١٩٨٦ ، ص ٢٨٠ـ٢٨١ •

واستنادا الى هذا التقييم الموضوعى لوضع المثقفين والأكاديميين وأهل الفكر في اسرائيل ، واستنادا الى المحصلة العامة للدور الذى قام به أعضاء حركة مثل « السلام الآن » على الساحة في اسرائيل بشأن اجتذابهم لقطاعات من الجمهور الاسرائيلى لتأييد وجهات نظرهم يمكن القول بأنهم ينجحون فى غرس الأفكار وتشكيلها عندما تكون القضية التى يدافعون عنها قضية تسمح الظروف العامة داخل المجتمع الاسرائيلى سياسيا بجعل قطاعات واسعة من الجماهير مهيأة لقبولها والاستجابة لها مثلما حدث ابان حرب لبنان التى فرضت بنتائجها ضرورة تغيير فى الاتجاهات ومراجعة الأفكار الخاصة بحدود القوة الاسرائيلية والالتجاء للقوة ولشيوع حالات التمرد والرفض فى صفوف الجيش الاسرائيلى للمشاركة فى هذه الحرب ، ومثلما حدث عندما لاحت فى الأفق آمال التوصل لتسوية سلمية لدى عقد مؤتمر مدريد ، وعندما تجمعت اتجاهات لدى قطاعات واسعة من الاسرائيليين ذوى الضمير ضد الممارسات اللا انسانية ضد الشعب الفلسطينى وغيرها ٠

ولكن فى المقابل فان التجربة أثبتت أن النفوذ الانتخابى لحركة مثل « السلام الآن » هو نفوذ جعل المفكرين فى اسرائيل محلا للسخرية ، بينما تكون قوتهم هائلة فيما يتصل بغرس الأفكار وتشكيلها ٠ ولاينطبق هذا الأمر على حركة « السلام الآن » فحسب ، بل على الحركات الأخرى غير الحزبية مثل حركة « جوش ايمونيم » التى منيت بهزيمة ساحقة فى انتخابات يونيو ١٩٩٢ ، وذلك بسبب طبيعة الحياة السياسية والحزبية فى اسرائيل ، والتى تجعل المنظمات التى تشكل ائتلافا من الاتجاهات والشخصيات المتباينة تواجه حتما صعوبات فى صياغة مواقف موحدة أو تعبئة الجماهير حول مجمل القضايا التى تعنيهم على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى والأمنى ٠٠ الخ ٠

وعلى ضوء ما سبق ، فان حركة على غرار « السلام الآن » لكى تقوم بدور فعال فى الساحة السياسية فى اسرائيـــل ينبغى ألا تقف عند حدود القيام بالمظاهرات المتناثـرة مهما كان حجـــم المشاركين فيها ، ويتعين عليها أن تتجاوز عقلية « الحدث » وأن تكون مستعدة للقيام بحملات مكثفة ومتواصلة للتعليم السياسى من خلال اتخاذ موقف متماسك ومقنع ، ونشر هذا الموقف على أوسع نطاق ممكن من خلال الخطب والمناقشات والكتيبات وعقد الندوات داخل اسرائيل وخارجها وتناول المشكلات الشائكة الخاصة بالتوصل الى تسوية وتقديم تحليلات موضوعية للتغييرات فى مواقف العرب التى تنطوى على امكانية تحقيق السلام ، سعيا للتأثير على الاتجاهات التى تنبع منها السياسات واجراء تغيير كلى فى مناخ الرأى العام على مستوى المعتقدات والاتجاهات التى تشكله ٠

وفى اطار التقييم الموضوعى لدور حركة « الســـلام الآن » نستطيع القول بأن أعضاءها قد شرعوا بالفعل منذ فترة فى التعامل مع الاتجاهات كوسيلة لتفادى الســـياسات التى يشعر الأفـراد والجماعات أنهم ملتزمون بها ٠ فعلى سبيل المثال ، نجد أن كتابهم بدلا من مهاجمـة عملية الضـم بدأوا فى تفسير وابراز الخطـــر الديموجرافى الذى ينطوى عليه الضم على هوية اسرائيل كدولة يهودية ، وبدلا من الاصرار على التفاوض بين اسرائيـــل والمنظمة يكتبون عن حتمية التوصل الى اتفاق بين اسرائيل والفلسطينيين ، والتأكيد على أن تأخر التوصل الى اتفاق يعد بمثابة هزيمة للذات الاسرائيلية على نحو مطرد ٠٠ وهكذا ٠

وختاما ، فانه مما لا شك أن دورا كهذا الذى قامت وتقوم به حركة من أبرز المنظمات الاسرائيلية المعتدلة مثل « السلام الآن » ،

هى رغم كل شىء ظاهرة ايجابية تؤكد مدى امكانيـة الدور الذى يمكن أن يقوم به المفكرون والمثقفون فى اسرائيل للقيـام باعادة صياغة برنامج العلمانية اليهودية المتنورة فى اسرائيل بما يتلاءم مع المتغيرات التى تشهدها ليس المنطقة فحسب بل العالم بأسره فى الحقبة المقبلة ٠

اليسار المصرى والصراع العربى الاسرائيلى

د • رفعت السعيد

ثمة قضايا تبقى المواقف فيها دوما
على طرفى نقيض •

لعل قضية ما •• لم تكن ملتبسة وظلت كذلك ، مثل قضية موقف اليسار المصرى من الصراع العربى الاسرائيلى •

ولعل سر الالتباس هو أن موقف اليسـار ظل وعلى الدوام نقيضا لموقف اليمين • لم يتقارب الموقفان ، ومن ثم ظل الالتباس المقصود درعا يحتمى به اليمين أو يحاول •

وابتـداء نعتقـد أنه من الضرورى أن نحـدد المواقف ازاء « العروبة » ومسألة التوحد العربى فى مواجهة النقيض ••استعمارا كان أو صهيونية •

ففى الوقت الذى كانت فيه البرجوازية المصرية تنأى بنفسها عن أى معترك عربى (منذ اشتعال ثورة ١٩١٩) تعرف اليسـار المصرى على واجباته العربية سريعا وفور النشـأة المبكرة لحزبه (١٩٢١) • وبدأت شعارات « وحدة الشعوب العربية » ضـد الاستعمار • تتردد كثيرا فى بياناته • وعندما تأسست « عصبة

النضال ضد الامبريالية » فى بروكسل لعب الشيوعيون المصريون دورا نشطا فى دعم أفكارها على نطاق الوطن العربى كله محاولين تأسيس شعبة لها فى مصر تضم ممثلى مختلف القوى الوطنية المصرية ، ثم شعب مماثلة فى مختلف البلدان العربية بأمل أن تتكون لها قيادة مركزية تقرر أن تسمى « عصبة تحرير البلدان العربية » ٠

وفى وثائق الخارجية البريطانية نجد وثيقة تقول « انه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لتكوين فرع للعصبة بالقاهرة ، وان هناك اقتراحا بعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية بالقاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى المشترك » وتمضى الوثيقة قائلة « ان اتصالا قد تم بعدد من الشخصيات المصرية لبحث مسألة عقد هذا المؤتمر معها ومن بين هذه الشخصيات عضو بالبرلمان المصرى ٠ وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين وأندونيسيا وانجلترا والهند » (!) ٠

كذلك فان بيانا صادرا عن « عصبة النضال ضد الامبريالية » تحت عنوان « النضال من أجل حرية الشعب العربى » (لاحظ تسمية الشعب العربى وليس الشعوب العربية) يقول « لقد أوضحت أحداث فلسطين الأخيرة حقيقة أن القضية الوطنية العربية تشكل فى الوقت الراهن احدى القضايا المهمة فى السياسة العالمية ، والعرب يمتلكون كل الحق فى القضاء على تقسيم وطنهم ، وأن يكونوا دولة موحدة ، قوية مستقلة وحرة تماما ٠ دولة عربية عظمى يتحدد شكلها ومستقبلها ليس بواسطة الامبرياليين الأجانب ، وانما وفقا لمصالح وارادة الجماهير العربية الكادحة ، فلاحين

---

(١) F.O. 377 — Egypt and Sudan — File No : 01 Date 26-7-1927.

وعمالا وبدوا » ويمضى البيان قائلا « ان العصبة وقد تابعت باهتمام المظاهرات الرائعة التى تفجرت فى فلسطين كتعبير عن النمو الهائل للحركة الوطنية فى البلدان العربية جميعها لترسل بأحر تحياتها الى المناضلين دفاعا عن حقوق الأمة العربية ، (لاحظ عبارات : وطنهم ، دولة واحدة ، الأمة العربية) . ويمضى البيان ليدعو العرب فى كل مدينة وقرية الى تكوين لجان قاعدية لمناهضة الاستعمار على أساس برنامج وطنى ، وبحيث تنتخب هذه اللجان ممثليها لمجنة أعلى حتى تتكون لها قيادة ثورية فى كل بلد عربى ، ثم تنتخب هذه اللجان المجلس القومى العربى(all Arab National Council ، ومثل هذا التنظيم يقوم على أساس تعبئة كل القوى الشعبية فى مجرى التحرير الوطنى ، لتخوض كفاحا لا ينتهى الا بالنصر الحقيقى . ويختتم البيان بالشعارات الآتية « عاش النضال التحررى للشعب العربى » و « فليسقط الامبرياليون » و « ليسقط انقسام البلدان العربية » و « لتحيا الدولة الفيدرالية العربية الموحدة الحرة » (٢) .

ولعل الشعارات كانت مبالغا فيها من حيث صبغتها العربية ، ولعل الطموحات كانت من قبيل الأحلام صعبة التحقيق لكنها ـ وعلى أية حال ـ تعبر عن موقف ينتمى للعروبة فى وقت كان فيه كل اليمين المصري يتباعد عنها بل ويتنكر لها .

فاذا ما أتينا الى القضية الفلسطينية نجد اليسار المصرى هو أيضا الأسرع الى تأييدها فى وقت وقف فيه اليمين أو أغلبه اما متجاهلا القضية ، أو فى الاتجاه المضاد لها .

ففى الوقت الذى كانت فيه القوى الصهيونية تنشط سافرة فى مصر ، وكان ليون كاسترو (الذى ساند سعد زغلول فى

---

(٢) International Press Correspondence — Vol. 9. no 64 — p. 1371. (15-11-1929).

بداية الثورة) يعمل جاهدا لتأسيس « الاتحاد الصهيوني بمصر » فى ظل صمت رسمى ، وصمت يمينى أيضا ، وربما كان أحد أسبابه تجاهل فكرة العروبة ، وربما كان أيضا ذلك التآخى فى مجالات الاستثمار الاقتصادى بين النخبة اليهودية المصرية وطبقة كبار الملاك وكبار المستثمرين المصريين . فى هذا الوقت وقف اليسار المصرى وحده ليواجه خطر الصهيونية .

ففى عام ١٩٢٥ وعندما افتتحت « الجامعة العبرية » فى تل أبيب ، لم يجد أحمد لطفى السيد باشا أية غضاضة فى السفر لحضور حفل الافتتاح على أساس أن افتتاح جامعة هو خطوة مهمة نحو التنوير بالمنطقة ، بينما تنشر « الحساب » الجريدة العلنية التى كان يصدرها الحزب الشيوعى المصرى (دون أن يضع عليها اسمه) مقالات عديدة تستنكر هذا النشاط الصهيوني وتدعو العرب جميعا لمواجهته . وتقرأ على صفحات « الحساب » .. « احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول أبريل الجارى فدعوا لحضور ذلك نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى وكان فى مقدمة المدعوين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية ، والذى بموجبه أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين ، رغم ارادة سكانها ، وضد كل شرع وعرف وقانون » .. « وقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فأغلقت المتاجر والمصانع والورش وحوانيت البقالة .. وامتنع التلاميذ عن حضور دروسهم .. ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على دورهم ومتاجرهم ، وأنا لنحيى هذه النهضة البديعة فى فلسطين ، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم » (٣) .

(٣) الحساب ـ ١٠ـ٤ـ١٩٢٥ .

فاذا انتقلنا الى الثلاثينات فاننا نتوقف أمام فقرة مهمة فى البرنامج الجديد الذى أصـــــدره الحزب الشيوعى المصرى فى عام ١٩٣١ تقول : « النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربيه من القهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيهـا كل الشعوب العربية الحرة » (٤) ٠

كذلك فقد حرص يسار مصر فى هذه الفترة على التواصل مع القوى التقدمية العربية في مختلف البلدان ٠ وفى قضية الشيوعية التى اتهم فيها عصام الدين حفني ناصف (١٩٣١) ضبطت لديه مخطوطات لمقالات نشرها فى مجلة « الحديث » اللبنانية ، والاخـاء الوطنى العراقية ، و « القبس » اللبنانية ، و « ألف باء » السورية ٠٠ وعندما سأله المحقق عن سر اهتمامه بالنشر فى هذه المجلات قال انها « مجلات تجديدية » (٥) ٠

كذلك فقد نشط شـــيوعيون مصريون فى صفوف الحزب الشيوعى اللبنـــانى والحزب الشيوعى الفلسطينى أمثـــال (محمد دويدار) كما نشـــط شيوعيون ســـوريون ولبنانيون فى صفوف الحزب الشيوعى المصرى (أنطون مارون ـ شفيق باسيور ـ رفيق جبور ـ محمد وهيب المالك) ٠

فاذا أتينا الى الأربعينات نجد الحرص اليسارى على التلاقى مع قضايا اليساريين العرب والدفاع عنهم والدعوة للعمل المشترك

---

(٤) راجع النص الكامل للبرنامج فى :
Ivor Spector — The Soviets and the Muslim World (1959) — p. 141-156.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه العلاقات راجع : د٠ رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ٠ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر ٠

معهم مثل الدعوة لتأسيس « اتحاد عام لعمال الشرق العربى » (٦) كما دافع الشيوعيون المصريون عن شيوعيى البلدان العربية حال وقوع أى اضطهاد عليهم ٠

« يا أيها الوطنيون فى مصر والشرق العربى أوقفوا هجوم الاستعمار ٠ طالبوا بزوال المشانق ٠ وأوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » ٠

انها عناوين مقال نشرته « الجماهير » استنكارا لحكم الاعدام ضد الرفيق فهد سكرتير عام الحزب الشيوعى العراقى واثنين من رفاقه وتتساءل « الجماهير » بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ أية جريمة ارتكبها القوم » (٧) ٠

٠٠ كان هذا عن الموقف تجاه العروبة بشكل عام فماذا عن الموقف من الصراع العربى الاسرائيلى تحديدا ؟

كما قلنا كانت الصهيونية تجد لنفسها مرتعا خصبا فى مصر ٠

فبعد نشاط واسع عبر الثلاثينات بدأت تتبلور حركة صهيونية نشطة ومنظمة أسمت نفسها « الاتحاد الصهيونى بمصر » ٠

وفى لائحة الاتحاد التى وزعت باللغة الفرنسية نقرأ « م ١ : الاتحاد الصهيونى بمصر يتكون من تجمع الصهيونيين المقيمين على أرض مصر ، وهو يمثل الفرع المصرى فى المنظمة الصهيونية العالمية ٠ ويسعى الاتحاد لتوحيد جميع الصهيونيين الموجودين

---

(٦) الضمير : ٧ـ١١ـ١٩٤٥ ٠

(٧) الجماهير ٣٠ـ٦ـ١٩٤٧ ٠

بمصر بهدف تحقيق الافكار الصهيونية وتأكيد برنامج بازل والقرارات التى يتخذها المؤتمر الصهيونى ، والقيادة التى يختارها هذا المؤتمر » • أما المادة ٢٢ من اللائحة فتنص : « يختار الاتحاد الصهيونى بمصر مندوبيه الى المؤتمر الصهيونى العالمى » (٨) •

وقد نشط الاتحاد الصهيونى وسط الشباب اليهودى وفى أندية المكابى نشاطا علنيا واضحا واتخذ لنفسه مقرا فى شارع عماد الدين ، وأخذ علنا فى تحريض اليهود على الهجرة الى فلسطين دون أن تتحرك الحكومة لاتخاذ أى اجراء ضده ولعله من المثير للدهشة أن الذين تحركوا ضد هذا النشاط كان بعض عقلاء اليهود ومنهم رينيه بك قطاوى رئيس الجالية اليهودية ، وكذلك اليهود الشيوعيون •

أما رينيه قطاوى فقد وجه رسالة عنيفة الى ليون كاسترو رئيس الاتحاد الصهيونى يحذره فيها من ممارسات الاتحاد التى « تؤدى الى تشكيك الشبان اليهود فى ولائهم للبلد الذى نشأوا فيه والذى عاملهم بترحاب » وأكد قطاوى فى رسالته « أن مثل هذه الممارسات والتى يتحمل الاتحاد الصهيونى مسئوليتها تؤدى الى استفزاز الرأى العام المصرى » (٩) •

وقد سبق لقطاوى أن وجه رسالة الى كاسترو ينتقد فيها بشدة عملية تهجير « الشباب اليهود من الجنسين » وتقول :

---

(٨) Statuts de la Federation Sioniste d'Egypte.
مكتوبة بالآلة الكاتبة الفرنسية ومطبوعة بالرونيو (نسخة أصلية)

(٩) رسالة بالآلة الكاتبة الفرنسية مؤرخة ١ يناير ١٩٤٥ موقعة : رئيس الجالية – رينيه بك قطاوى – مودع صورة منها بالأرشيف العام بالمتحف البريطانى تحت رقم : F. 0371-45404

« ان الحاخام الأكبر لليهود قد تلقى عدة شكاوى من عديد من الأسر بسبب الدعايات التى تدعو أبناءهم من الجنسين للهجرة الى أرض الميعاد تاركين عائلاتهم » وتمضى الرسالة قائلة : « ان جاليتنا تعتبر أن مثل هذه الدعايات تضر بالعلاقات الأسرية وتهدد استقرار الأسر تهديدا خطيرا » ثم تقول : « اننا كيهود ، وكمواطنين فى بلد ديمقراطى نعتقد أن لكل يهودى كامل الحرية فى اعتناق ما يشاء من أفكار ولكننا كمسئولين عن الدفاع عن مصالح الجالية اليهودية بمصر فان مجلسنا لايمكنه أن يقبل بالأنشطة اليهودية الجماعية التى تضر باستقرار الجالية ، أو التى تضر بغالبية المجتمع المصرى التى تعتبر الجالية اليهودية نفسها جزءا منه » (١٠) .

وباستثناء هذه الصرخة اليهودية التى لم تدم طويلا ، فان مجمل اليمين المصرى قد سكت سكوتا مريبا عن النشاط الصهيونى فى مصر ، بل كان المريب حقا ذلك النشاط الارهابي والعدوانى الذى مارسته جماعتا الاخوان المسلمين ومصر الفتاة ضد أبناء الجالية اليهودية فى مصر ، الأمر الذى أسهم اسهاما مباشرا فى انجاح خطط الاتحاد الصهيونى لتهجير اليهود من مصر . فقد قدمت الأعمال الارهابية دليلا لايدحض على أن اقامة اليهود فى مصر لم تعد أمرا سهلا ولا آمنا .

أما اليمين المصرى الحاكم فقد التزم الصمت المريب .

وحتى عندما قبض البوليس المصرى بالمصادفة البحتة على ثلاثة من اليهود كانوا يحاولون فى ١٩٤٦ « شراء ستمائة مسدس

---

(١٠) رسالة بالآلة الكاتبة مورخة ١١ يناير ١٩٤٤ ، موقعة رينيه بك قطاوى ، وبرغم أن الرسالة موجهة الى شخص غير محدد الاسم الا أن الرسالة مؤشر عليها بالحبر بعبارة رسالة الى ليون كاسترو وهى مودعة بالمتحف البريطانى ، تحت ذات الرقم السابق .

من أمين أحد مخازن الأسلحة الحكومية بقصد تهريبها الى الحركة الصهيونية فى فلسطين » ·· فان الحكومة لم تحرك ساكنا ·

بل ان هناك أدلة قانونية على أن الحكومة الوفدية وحتى بعد حرب فلسطين قد تغاضت فى عام ١٩٥٠ عن تصدير القطن المصرى الى اسرائيل عبر ايطاليا أو فرنسا (١٢) ·

·· ولكن الشيوعيين المصريين يخوضون المعركة المستمرة ضد الحركة الصهيونية ، يخوضونها بالكتابة وبالنشاط العملى وبالمواجهة فى أماكن تجمع اليهود وأنديتهم ·

وفى عام ١٩٤٧ تنشر « صوت الأمة » (الوفدية المعارضة) خبرا يقول ان الشيوعيين والديمقراطيين اليهود تجمعوا أمام نادى مكابى الظاهر واقتحموا أبوابه التى أغلقها الصهاينة بدعم من البوليس وكان المقتحمون يهتفون « تسقط الصهيونية » « يحيا الشعب المصرى » ووقع صدام عنيف وقبض على العديد من الطرفين، وتستمر « صوت الأمة » قائلة : « ولقد بلغت القحة بأحد الصهيونيين وهو ألبرت خاتشويل الى حد الاعلان أمام رجال البوليس المصرى بأنه صهيونى لحما ودما ، وأنه ينتمى الى عصابة شيترن وأنه سيمضى فى طريقه ، ولن تستطيع قوة أن تحد من عمله » (١٣) ·

·· وفى يونيو ١٩٤٧ تأسست « الرابطة الاسرائيلية (اليهودية) لمكافحة الصهيونية » وقد تشكلت أساسا من عناصر

---

(١٢) على هامش قضايا الغدر ـ نعلم من هنا « كتاب أصدره حزب الأحرار الدستوريين ، وكتب مقدمته ابراهيم دسوقى أباظة باشا (١٩٥٢) ـ ص ١٢٨ ·
(١٣) صوت الأمة ٢٦ـ٤ـ١٩٤٧ ·

شيوعية منتمية الى منظمة حدتو ، وعناصر تقدمية ويسارية يهودية .. وثمة برقية من السفارة البريطانية بالقاهرة الى وزارة الخارجية في لندن تقول « ان هذه الرابطة هي شيوعية بالأساس » (١٤) .

وكان شعار الرابطة « ضد الصهيونية في صالح اليهود ـ في صالح مصر » .

وقد بدأت هذه الرابطة نشاطها باصدار كتيب حللت فيه وبشكل علمي ظاهرة الصهيونية وأدانت الفكر الصهيوني ودعت اليهود المصريين الى مواجهتها ورفض دعايتها ، وفي ختام الكتيب نتوقف أمام عبارة بالغة الدلالة « لقد اقتصرت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية على قبول اليهود دون غيرهم كأعضاء عاملين فيها ، لأنها تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل أساسا بين الجماهير اليهودية ، وبمناهضتها للصهيونية تخدم المصالح الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية » (١٥) .

كذلك أصدرت الرابطة عدة منشورات من بينها منشور معنون « نداء الى يهود مصر » جاء فيه « أيتها الأمهات نريد أن نحمي أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية التي ترمي الى ارسال أولادكن ليعيشوا في فلسطين وسط عداء أغلبية السكان وفي نظام كله استبداد واضطهاد .

أيها اليهود ـ أيتها اليهوديات : تحاول الصهيونية الجر بنا في مغامرة . تساهم الصهيونية في جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها . تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب

---

(١٤) F.O. 371-61759 — No. 882-112/13/47 Cairo 25-10-1957.

(١٥) كتيب مطبوع بالمطبعة صادر عن « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية مؤرخ يونيو ١٩٤٧ (نسخة أصلية) .

المصرى • الصهيونية عدوة اليهود • فلتسقط الصهيونيــة • ولتحيا أخوة العرب واليهود ـ وليحيا الشعب المصرى » (١٦) •

واذا كانت منظمة حدتو قد انفردت بقيامها بأعمال تنظيمية ضد الحركة الصهيونية سواء داخـل أندية المكابى أو بتأسيس الرابطة ، فانه يمكن القول ان جميع الفصائل الشيوعية قد أسهمت وبحماس فى الحملة الاعلامية ضد الصهيونية •

ولعله من الصعب سرد عشرات بل مئات المقالات والمنشورات والكتيبات والكتب التى أصدرها الشيوعيون فى هذا الصدد ولهذا سنكتفى بنموذج واحد من كل تنظيم شيوعى •

فاذا بدأنا بالحركة التروتسكية نجد أن أنور كامل قد أصدر فى ١٩٤٤ كتيبا عنوانه « الصهيونبة » يحلل فيه أسباب نشـوء الحركة الصهيونية ويعلن « نحن نحارب الصهيونية ، نحاربها حربا لا هوادة فيها حتى نشهد مصرعها الأخير •• نحاربها هذه الحرب لا لأن بنا كراهية طبيعية نحو اليهود ، وانمـا لأننا نعتقـد أن الصهيونية حركة استعمارية مركبة (استعمارية بحكم أهدافهـا الذاتية ، واستعمارية لاستخدام القوى الكبيرة لها » (١٧) •

أما مجموعة انفجر الجديد التى تسمت فيما بعد بأسـماء متعددة لعل أكثرها شهرة هو « طليعة العمال » فقد حشدت فى مجلتها « الفجر الجديد » عديدا من المقالات ضد الحركة الصهيونية نورد نموذجا واحدا منها « الصهيونية حركة استعمارية ليست فى الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير رأس المال والاستيلاء على الأسواق •• ان الصهيونية لم تكن فى يوم من الأيام لتدافع عن

---

(١٦) أعيد نشر هذا المنشور فى الجماهير ٢٦ـ٥ـ١٩٤٧ •

(١٧) أنور كامل ـ الصهيونية ـ ط ٢ ـ ص ٧٤ •

اليهود أو لتحارب أعداءهم انما كانت فى الواقع الصحيح الصريح تستغل آلامهم وتستفيد من مآسيهم ومصائبهم لتستعمر فلسطين وتستغل مواردها » (١٨) ٠

أما منظمة ايسكرا فقد أصدرت عن طريق مؤسستها العننية « دار الأبحاث العلمية » كراسا عن القضية الفلسطينية وقد تضمن هذا الكراس عديدا من المقالات والدراسات والقصائد تساند كلها الحق الفلسطينى وتدين الصهيونية ٠

فلطيفة الزيات تكتب مقالا بعنوان « ما هى الصهيونيـــة ؟ » تقول فيه : « الصهيونية كلمة تذكر فيذكر معها الاستعمار والرجعية فالصـــهيونية هى حليفة الجشـــع والاســـتعمار وعملية الاحتكـــار والاستبداد » ٠

أما عبد الرحمن الشرقاوى فيدين فى قصـــيدته عدوان هما الاستعمار والصهيونية ويقول :

همان ٠٠ صهيونية مدفوعة　　مجنونة للتخريب والافنـــاء
ونكير بطشك فوقأعراف الربى　　كالعار يرهق خاطر العذراء(١٩)

أما الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فقد أصدرت فيضـــا من المنشورات والبيانات وكرست عديدا من مقالات جريدتهـــا « الجماهير » لهذه المسألة ٠٠ وفى أحد المنشورات التى وزعتهـــا حدتو نقرأ « اننا نطالب بحل عادل للقضـــية الفلســـطينية يكفل الحقوق العربية فى كل الشرق الأوسط ، ويكفل تحرير فلسطين

---

(١٨) الفجر الجديد ١٦ـ٦ـ١٩٤٥ ٠

(١٩) كراس صادر عن دار الأبحاث العلمية منزوع الغلافين الأول والأخير وكله دراسات ومقالات وقصائد عن المسألة الفلسطينية ٠

وكل الدول العربية المحتلة » ويختتم المنشور بشعارات تقول « عاش الكفاح الفلسطينى المشترك ضد الامبريالية والصهيونية ـ تسقط الامبريالية الأنجلو ـ أمريكية ـ تسقط الصهيونية عدوة الشعوب » (٢٠) ٠

وبعد هذا الاستعراض المتعجل ٠٠ نأتى الى المسألة الأكثر التباسا وهى الموقف من قرار التقسيم ٠ وقد أثار موقف الشيوعيين المصريين بقبول قرار التقسيم الكثير من الأقاويل والاتهامات ٠٠

وسنحاول أن نقدم وجهة نظرهم فى هذا الأمر مستندين الى وثائقهم ، لعل هذه المحاولة تقدم تفسيرهم لهذا الموقف ٠

ولست أعتقد أنه من الضرورى أن نتعرض هنا لملابسات صدور قرار التقسيم (١٩٤٧) ولا ملابسات الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى فقط سنتعرض لموقف الشيوعيين من هذه القضية ٠

وابتداء نقرر أن الشيوعيين وافقوا على قرار التقسيم مؤكدين أنه أفضل الحلول السيئة ٠ كما أنهم عارضوا التورط فى حرب فلسطين دون استعداد جدى ، وفى ظل السيطرة العسكرية البريطانية على مسار القوات المصرية ومجال تحركها الأساسى ٠

كذلك نقرر أن حملة شرسة قد وجهت ضد هذا الموقف ، وفسره الكثيرون ولم يزالوا على أحد أساسين ، أو عليهما معا :

١ ـ سيطرة اليهود على الحركة الشيوعية المصرية ٠

٢ ـ التزام الشيوعيين المصريين بالموقف السوفيتى ٠

---

(٢٠) لم نعثر على الأصل العربى لهذا المنشور ، لكننا عثرنا على ترجمته الفرنسية مودعة فى أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية فأعدنا ترجمته الى العربية ٠

فكيف يفسر الشيوعيون موقفهم ؟

فى البداية ٠٠ شكلت الأمم المتحدة لجنة تحقيق لبحث القضية الفلسطينية ، لكن الهيئة العربية العليا قررت مقاطعتها ٠٠ وقد انتقدت « الجماهير » هذه المقاطعة مؤكدة أن « الاستعمار قد بذل جهده لابعاد قضية فلسطين عن النطاق الدولى » و « أن فى موقف الهيئة العربية العليا بمقاطعتها لجنة التحقيق تشكيكا صريحا فى هيئة الأمم المتحدة الأمر الذى يؤدى الى تجريد الشعوب العربيه من سلاح قوى فى كفاحها ضد الاستعمار ، وهو نقل قضاياها الى المجال الدولى ، وفضح الاستعمار على نطاق عالمى » (٢١) ٠

وفى عدد تال تقول « الجماهير » : « لقد أصبح من الواجب العاجل فى الوقت الذى تستعد فيه لجنة التحقيق الدولية لوضع تقريرها ورفعه الى الأمم المتحدة أن يتضامن سكان فلسطين تضامنا قويا فى مناهضتهم للاستعمار والتمسك بندائهم : جلاء المستعمر واقامة حكومة ديمقراطية » (٢٢) ٠

أى أن موقف الشيوعيين المصريين كان حتى قبيل قرار التقسيم هو تضامن سكان فلسطين (عربا ويهودا) ضد الاستعمار ومن أجل اقامة حكومة ديمقراطية مستقلة ٠

وعندما أعدت لجنة التحقيق الدولية تقريرها انتقدته « الجماهير « نقدا حادا قائلة « وأول ما يؤخذ على هذا التقرير دراسته مشكلة فلسطين على أنها مشكلة تسوية علاقات العرب واليهود ، مع أنها أصلا كفاح سكان هذه البلاد ضد مستعمريهم

---

(٢١) الجماهير ١٦ـ٦ـ١٩٤٧ ٠

(٢٢) الجماهير ٢٣ـ٨ـ١٩٤٧ ٠

ومستغليهم ·· وقد أغفلت اللجنة الدولية المطلب الأساسى للعرب واليهود معا الا وهو جلاء الجيوش الاستعمارية » ويختتم المقـــال مطالبا الشعوب العربية بالنضال « دفاعا عن حريتها والمطالبة بجلاء الجيوش الاستعمارية عن فلسطين ، واقامة حكومة ديمقراطية فيها تنظر فى كيفية حل المشاكل المعلقة بين العرب واليهود » (٢٣) ·

وعندما يبدأ الحديث عن الحرب تنتقد « الجماهير » « التحضير لحرب دينية ، حرب صليبية بين العرب واليهـــود ، وليس حربا تحريرية ضد الاستعمار » وتقول : « ان أجل خدمة تقدمها الحكومة المصرية للاستعمار وللمستعمرين هى صرف أنظارنا عنه ·· عن العدو الحقيقى لنا وللشعوب العربية جميعا وتوجيه اهتمامنا الى حرب دينية لايفيد منها سوى الغاصب ، سوى الاستعمار الأنجلو أمريكى ·· ان تحرير وادى النيل ، وتوجيه ضربة قاصمة للاستعمار البريطانى فى مصر ، هو خير مساعدة نقدمها لفلسطين وللشعوب العربية ، فتحرير مصر خطوة هامة وأساسية نحو تحرير الشرق من الاستعمار » (٢٤) ·

ويبدأ الصراع حول قرار التقسيم ، وتبـدأ الحملة الشرسة ضد الشيوعيين الذين أعلنوا تأييدهم المحدود والمشروط لقـــرار التقسيم وتصرخ « الجماهير » « ليشهد التاريخ ، ولتشهد الشعوب العربية اننا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخـــلاص من أجـل تحريرها من ربقة الاستعمار ، ومن أجـــل حياة ســـعيدة حرة ، ديمقراطيـــة » ·

---

(٢٣) الجماهير ٦ـ٩ـ١٩٤٧ ·

(٢٤) الجماهير ١٩ـ١٠ـ١٩٤٧ ·

ثم تعلق فى ذات المقال على اتهامات لأحمد حسين وجهها منتقدا موقف الشيوعيين قائلا : « ان ما يطرب له كل أوربى وأمريكى أن تنتزع فلسطين من يد العرب والمسلمين لتعطى الى اليهود » فتقول : « كلا أيها الفاشى ، اننا لا نريد انتزاع فلسطين من يد العرب لنعطيها لليهود ، اننا نريد انتزاعها من يد الاستعمار لنعطيها للعرب واليهود دولة مستقلة ديمقراطية ، ويجب أن يعلم أحمد حسين وأمثاله أننا لانوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين وكأساس لاستقلال فلسطين ، وأمامنا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل للتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما فى دولة واحدة مستقلة وديمقراطية » ٠

ويقول : « لقد أيدنا ونؤيد وسنؤيد دائما قيام دولة موحدة عربية يهودية بفلسطين ولكن على شرط ، وشرط واحد ٠٠ أن تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية ٠ ولذلك كنا نهاجم دائما الفاشيين وأذناب الاستعمار الذين نفذوا أهداف الاستعمار بدقة ، والتى هدفها جعل التعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية مستحيلا فى المرحلة الحالية » ٠

ويشير المقال الى كلمة جروميكو أمام مجلس الأمن التى قال فيها : « اننا أمام أمرين ، اما استقلال فلسطين ، واما ابقاء حالة الانتداب » ويمضى المقال متسائلا « ولكن كيف يتم تحقيق هذا الاستقلال وزعماء العرب وزعماء اليهود رفضوا التعاون ، ورفضوا اقتراح جروميكو الذى يرمى الى انشاء دولة موحدة ثنائية مستقلة٠

وهنا لم يكن أمام الديمقراطيين ومحبى الشعوب وأعداء الاستعمار الا أن يقبلوا حل التقسيم كأساس لاعلان استقلال

فلسطين ، ونحن نعترف انه حل ردىء ، لكنه الحل الوحيد الذى يؤدى الى انهاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين » (٢٥) ٠

٠٠ هذا هو موقف الشيوعيين من قرار التقسيم ٠

ويبقى بعد هذا ان نسجل أن الشيوعيين قد دفعوا ثمنا غاليا مقابل هذا الموقف فقد ترتب عليه حملة اعلامية ضـارية وجهت ضدهم ، واتهمتهم تارة بالصهيونية وتارة بالعمالة للسـوفييت ، كما ترتب عليه حملة اعتقالات واسعة تم تبريرها جماهيريا أيضا ، وترتب عليه كذلك سلسلة من الانقسامات ضد القيادات اليهودية والأجنبية التى أصبحت بحكم الواقع عبئـا على القبول الجماهيرى للحـــركة ٠

٠٠ ثم يبقى أخيرا سؤال مشروع : هل كان صحيحا رفض قرار التقسيم ؟

وماذا لو كان العرب قد قبلوه ؟

★★★

ثم تأتى ثورة يوليو

وبعد فترة من التجاهل للقضية الفلسطينية ، عادت لتتفجر من جديد بسبب العدوان الاسرائيلى المفاجىء ـ وغير المبرر ـ على القوات المصرية فى غزة ، ثم سلسلة الانفجارات التى دبـرت فى القاهرة والاسكندرية فيما أسمى بفضيحة لافون ٠

وبعد فترة من التردد أعلن عبد الناصر موقف حكام يوليو من مسألة الصراع العربى الاسرائيلى ، فقد أدلى بحديث الى مراســـل

---

(٢٥) الجماهير ٢٣ـ١١ـ١٩٤٧ ٠

النيوزويك الأمريكية أعيد نشره فى جريدة الجمهورية جـــاء فيه « أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك تحسن فى العلاقات بين العرب واسرائيل ، اذا أظهرت اسرائيل رغبة فى قيام سلام عادل • اننا لانطالب بأن يكون السلام على أساس شروطنا ، ولكننا نتمسك بأن تظهر اسرائيل رغبة طيبة واخلاصا لقبول قرارات الأمم المتحدة » وعندما سأله المراسل عن الشروط التى تؤدى فى وجهـــة نظره الى السلام بين العرب واسرائيل » أجاب : « ان الشرط الأول هو أن تبدى اسرائيل رغبة صادقة شريفة فى اقرار السلام والتعايش السلمى » وردا على سؤال آخر أجاب « ليست لدينا أية مقاصـــد عدوانية ضد اسرائيل أو ضد أية أمة أخرى • واننى كجندى أود أن أقول اننى شاهدت كثيرا من ويــلات الحرب بحيث أصبحت أشعر بالرغبة المخلصة فى السلام » (٢٦) •

وكان طبيعيا أن يعلن الحزب الشيوعى المصرى الموحد تأييده لهذا الموقف •

كذلك أعلن يوسف حلمى (السكرتير العام للجنة الوطنيــة المصرية للسلام فى ذلك الحين ، والذى كان هاربا فى باريس وكان وثيق الصلة بالشيوعيين) تأييده لهذا الموقف وأشاد به فى خطابه أمام « الجمعية العالمية لقوات السلم المنعقدة بهلسنكى ١٩٥٥ » •

وأعلن يوسف حلمى صراحة وبشكل مباشر فى خطابه أمام الجمعية « اننا نريد ســلاما عادلا بين الشـــعوب العربية وشعب اسرائيل •• ولقد آن الأوان لكى يأخذ المدافعون عن الســـلام فى البلاد العربية وفى اسرائيل زمام المبادرة من أجل اقرار سلام بين الشعوب ، سلام شعوبى لا سلام أمريكى » ويمضى يوسف حلمى فى

---

(٢٦) الجمهورية ٢٣ـ٥ـ١٩٥٥ •

خطابه « على الشعوب أن تتحرك ٠٠ على أنصار السلام فى اسرائيل وفى البلاد العربية أن يبادروا ويتحركوا ويتجمعوا وينسقوا جهودهم وكفاحهم لفرض السلام الذى تريده شعوبنا العربية وشعب اسرائيل ان السلام بين العرب واسرائيل ضرورى ليس فقط من أجل السلام العالمى ، بل من أجل استقلال وازدهار بلادنا » ٠

ثم يتساءل : لم لا يعقد مؤتمر بين المدافعين عن السلم فى الشعوب العربية واسرائيل لوضع أسس مبدئية للسلام العادل وللتعايش السلمى ؟ » (٢٧) ٠

ثم يبادر يوسف حلمى الى توجيه رسالة الى جمال عبد الناصر رغم ما بينهما من خلاف أدى الى هروبه من مصر بعد فترة طويلة من الاعتقال ٠

وتبدأ الرسالة ساخنة بلهجة يوسف حلمى المميزة :

« السيد البكباشى جمال عبد الناصر ـ رئيس مجلس الوزراء ٠

لك منى التحية بقدر ما أنت مخلص لقضية الاستقلال الوطنى والسلام العالمى الذى أثبتت الأحداث انهما كل لايتجزأ كما لعلك توافقنى » ثم تمضى الرسالة لتشرح وجهة نظر اليسار المصرى فى قضية الصراع العربى الاسرائيلى من بدايتها ثم تتساءل : ماذا سنفعل مع اسرائيل ؟ ويجيب : « سيقول بعضهم وهم موجودون فى معسكرك وحولك ، وفيمن يدعون أنهم رجالك ٠٠ سيقول هؤلاء الحمقى أو الجواسيس ان شئت ، أو ان شئت فعملاء الاستعمار ،

---

(٢٧) كفاح شعوب الشرق الأوسط ـ نشرة مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ـ صادرة فى باريس عن مجموعة الحزب الشيوعى المصرى الموحد هناك ٠ مؤرخة نوفمبر ١٩٥٥ (العدد التاسع) ٠

نلقى اسرائيل فى البحر • ولاشك انك تعى أن أقل ما يستحقه قائل مثل هذا الهذر أن يموت ضربا بالنعال لا بشىء آخر •

واذن •• لا حل الا تنفيذ قرار باندونج : الحل السلمى لمشكلة فلسطين على أساس قرارات الأمم المتحدة » (٢٨) •

ولعلنا لسنا بحاجة الى القول بأن يوسف حلمى قد دفع ثمنا فادحا لهذه الرسالة ذات الأسلوب المميز جدا •

وفى نفس الوقت وجه يوسف حلمى خطابا مفتوحا الى شعب اسرائيل تحدث فيه طويلا عن القضية الفلسطينية واختتمه قائلا : « اننا نريد السلام ، وانكم لتريدونه ياشعب اسرائيل ، فارفعوا فى وجه دعاة الحرب شعارات السلام ، ولندع لعقد مؤتمر دولى يجمع الدول العربية ودولة اسرائيل ودولا أخرى من الشرق والغرب لايجاد تسوية سلمية للمشكلة تعترف للشعب الاسرائيلى بحقه فى دولته المستقلة الديمقراطية وللشعب العربى الفلسطينى بالحق نفسه ليعيش هذان الشعبان مع باقى شعوب المنطقة فى أمن وصداقة ورخاء وسلام » (٢٩) •

•• وبرغم تصريحات عبد الناصر لمجلة نيوزويك السابق الاشارة اليها فقد اعتبر هذا الموقف من جانب يوسف حلمى واليسار المصرى مروقا ، وتعرض أصحابه لاضطهاد شديد ، وظل يوسف حلمى يدفع ثمن هذا الموقف حتى وفاته •

•• ويواصل الشيوعيون دفاعهم عن موقفهم الثابت : دولتين مستقلتين ديمقراطيتين لشعبين •• ولعله من حقنا ان نذكر بأنه ذات الموقف الذى اقترب منه وتبناه الكثيرون •• الآن ، وربما بعد ضياع العديد من الفرص •

---

(٢٨) المرجع السابق •
(٢٩) المرجع السابق •

وفى ديسمبر ١٩٥٥ تحدد جريدة « كفاح الشعب » لسان حال الحزب الشيوعى المصرى الموحد ـ ومن جديد ـ موقف الحزب فى مقال مطول عنوانه « القضية الاسرائيلية » تقول فيه :

ومن الممكن وضع حد لحالة التوتر القائمة بين اسرائيل والدول العربية على أساس من النقاط التالية :

١ ـ تطبيق قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ (قرار التقسيم) ·

٢ ـ عودة اللاجئين العرب الى ديارهم ·

٣ ـ تشكيل حكومة ديمقراطية عربية فلسطينية ينتخبها الشعب الفلسطينى فى انتخابات حرة » (٣٠) وفات محرر المقال ان يقرر صراحة أن الفرصة قد ضاعت لتنفيذ قرار ١٩٤٧ ·



وتحارب مصر · وتهزم وتكون النكسة ، وتبتلع اسرائيل أرضا جديدة وينسى الناس قرار التقسيم ، وتنحدر آمالهم الى تنفيذ قرار ٢٤٢ الذى يتحدث عن الانسحاب من « أراض » محتلة ·· ويدور صراع عربى مجدب ومرير حول قبول قرار ٢٤٢ ·

ويظل الشيوعيون متمسكين بموقفهم الأساسى « تسوية سلمية عادلة وشاملة » و « دولتين لشعبين » وفى هذا الاطار انفرد الشيوعيون المصريون واليسار المصرى عموما بموقف ميزهم عن كل من عداهم من المصريين ، بل وميزهم عن كل الشيوعيين العرب ، وهو أنهم أقاموا جسورا دائمة وممتدة مع قوى السلام الاسرائيلية ·

بل ونجحوا فى عام ١٩٧٢ وبمبادرة شخصية من خالد محيى الدين فى عقد مؤتمر دولى فى ايطاليا أسمى « مؤتمر العدل والسلام فى الشرق الأوسط » وفى ظل هذا المؤتمر كان أول لقاء

بين قوى السلام فى اسرائيل وبين ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية .

وتأتى حرب أكتوبر ، والمباحثات المصرية الاسرائيلية ، ثم زيارة السادات للقدس ، فاتفاقيات كامب ديفيد ويكون غريبا أن ينفرد اليسار المصرى بمعارضتها .. فقط حزب التجمع والحزب الشيوعى المصرى عارضاها ودفعا ثمنا غاليا فى معارضتها .

ولعله من الخطأ تصور أن الموقف من كامب ديفيد كان ثنائيا مع أو ضد . وان كان الكثيرون قد حاولوا أن يرجوا لهذا الخطأ . فالحقيقة أنه ازاء كامب ديفيد كانت هناك ثلاثة مواقف :

(أ) أنصار كامب ديفيد .

(ب) أعداء السلام مع اسرائيل .

(جـ) المعارضون لكامب ديفيد والمؤيدون للسلام العادل والشامل فى آن واحد .

وكان اليسار المصرى (التجمع والحزب الشيوعى) هم وحدهم أصحاب الموقف الثالث لقد عارضوا اتفاقيات كامب ديفيد ، وأعلنوا فى ذات الوقت تمسكهم بموقفهم الثابت والدائم بالسعى نحو تسوية سلمية شاملة وعادلة . بل انهم برروا معارضتهم لكامب ديفيد بأن هذه الاتفاقيات تجهض السلام العادل والشامل .

فعقب زيارة السادات للقدس أصدرت السكرتارية العامة لحزب التجمع بيانا جاء فيه « يتطلع الشعب المصرى بكل طبقاته وفئاته الى تحقيق السلام العادل وتجنيب البلاد ويلات الحروب ، وعيا من جماهيرنا بأن السلام هو الاطار الأمثل للبناء والقضاء على الارهاق الاقتصادى ، الذى يئن الجميع تحت وطأته ، ونحن مع شعبنا وأمتنا فى التطلع المشروع الى السلام ، ولهذا فاننا أمانة مع

الشعب وصدقا مع النفس ، وحرصا على مستقبل البلاد نؤكد أن ما جرى ويجرى لا يسير بنا نحو السلام الذى ننشـــده ، السلام الذى يمنع كل الحروب ، السلام الذى يحقق الاســـتقرار لمصر ولمنطقة الشرق العربى » .

وجاء فيه « أن السكرتارية العـــامة لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. ومن واقع تطلعنا الى سلام حقيقى ، نطالب السـيد رئيس الجمهـــورية والحكومة بوقف الاندفاع وراء هذه المبادرات التى عطلت من مسيرة السلام الذى كنا ننشده جميعا ، وأدت عمليا ومهما كانت النوايا الى تسهيل الأهداف الاستعمارية فى القضاء على وحدة العالم العربى وتحرره وتقدمه الاقتصـــادى والاجتماعى » (٣٠) .

وعندما توقع اتفاقيـــات كامب ديفيد يعلن التجمع والحزب الشيوعى رفضهما لها على أساس أنها صلح منفرد ، لا يحقق سلما عادلا ولا شاملا ..

ويخوض الحزبان معركة معارضة هذه الاتفاقيات من منطلق مغاير لكل معارضيها الآخرين ، فالآخرون يرفضون مبدأ السلام مع اسرائيل ، بينما اليسار المصرى يرفض كامب ديفيد لأنها لا تحقق السلام المنشود بل تحقق صلحا منفردا يبقى القضية الفلسطينية ، وقضية الأراضى المحتلة فى الجولان ولبنان بلا حل ، ويدفع باسرائيل الى المزيد من التعنت بعد أن أخرجت مصر بكل ثقلهـا من ســـاحة المواجهة .. ولعل كل ما يجرى الآن يؤكد كيف أن الصلح لم يكن سلاما لا شاملا ولا عادلا ولا مستقرا .

.. وكالعادة دفع اليسار المصرى ثمنا باهظا من أجل تمسكه بموقفه الثابت من أجل سلام عادل شامل ودائم ..

---

(٣٠) بيان صادر عن السكرتارية العـامة لحـزب التجمع الوطنى التقـدمى الوحدوى ٢٨ـ١١ـ١٩٧٧ .

قضـــايا التـــاريخ فى مدريد

د . يونان لبيب رزق
رئيس قسم التاريخ
كلية البنات ـ جامعة عين شمس

فى بهو الأعمـــدة فى قصر الشرق فى مدريد ، حيث انعقــد مؤتمر السلام الخاص بالشرق الأوسط ، لم تخل كلمة واحدة من مجمل الكلمات التى ألقاها المؤتمرون على مختلف مواقعهم ومواقفهم من الاشارة الى تاريخية المؤتمر ، ونظن أن المؤتمرين كانوا يعنون بهذا أن المؤتمر قد انعقد لتســوية « نزاع تاريخى » دام زهـــاء نصف قرن ، كما نعتقد أن التوصيف قد صـــــدر من أن تاريـــخ المنطقة يشهد لأول مرة جلوس الجيران الأعداء فى مكان واحـــــد لحسم عداواتهم !

وقد أدى طابع المكان .. اسبانيا حيث تجمع هؤلاء الفرقاء ذكريات تاريخية ، وقصر الشرق الذى ينتمى الى القرن الثامن عشر، الى اضـــفاء مذاق خاص زاد من انتشــــار عبق التاريخ فى قاعة المؤتمر ، بل وفى كواليسه !

بيد أنه اذا كانت « التاريخية » تضفى على المؤتمر قدرا كبيرا من الأهمية مما يحمل المشاركين فيه مسئوليـــــة خاصة ، فهو

بطبيعته فرصة غير مسبوقة ولقاء غير متكرر ، فان هذه « التاريخيه» نفسها يمكن أن تكون سببا فى فشل المؤتمر اذا ما تمسك طرف أو آخر « بموقف ما » صدر عن دعاوى تاريخية أو أمسك طرف آخر « بموقف ما » نشأ فى مرحلة من مراحل الصراع الطويل دون أن يدرك أن عجلة التاريخ تدور وأن المتغيرات تملى تغيير المواقف للحاق بهذه العجلة ٠

وفى ظننا فيما شاهدناه رأى العين فى « بهو الأعمدة » وفيما رصدناه من حركة سياسية خارج هذا البهو أن أغلبية المشاركين فى المؤتمر وقعوا أسرى للدعاوى التاريخية فى جانب أو تجمدوا عند مرحلة من مراحل الصراع فى جانب آخر ، والأسرى والجامدون لا يصنعون السلام !

أسير رقم (١) !

بجدارة يفوز الاسرائيليون باللقب ، لقب الأسير رقم (١) لمقولات التاريخ ، وهى مقولات اصطنعوها وعاشوا عليها ٠

فقد لاحظ الجالسون فى بهو الأعمدة أن زهاء نصف الخطبة التى ألقاها المستر شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى كانت استعراضا للتاريخ من وجهة نظره بالطبع ، وهو تاريخ اختلطت فيه الحقيقة بالأسطورة على نحو فاضح ٠

يدعونا ذلك الى اعادة قراءة المقولات التاريخية التى أطلقها المستر شامير فى بهو الأعمدة فى تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس ٣١ أكتوبر ٠٠

جاء فى المقولة الأولى انه يمثل الشعب الذى « عاش فى أرض اسرائيل أربعة آلاف عام دون انقطاع ، ونحن الشعب الوحيد

الذى تمتع بسيادة مستقلة فى هذه الأرض باستثناء مملكة صليبية استمرت فترة قصيرة » ! ٠

المقولة الثانية انصرفت الى القدس بقوله : « نحن الشعب الوحيد الذى كانت عاصمته القدس ونحن الشعب الوحيد الذى لا توجد أماكنه المقدسة الا فى اسرائيل » ، ولم ينس فى هذه المناسبة أن يردد بعض الآيات المتعلقة بالقدس خاصة ما جاء فى المزامير ٠٠ « لن أنساك يا أورشليم ولو فقدت يميني » !

ثالث المقولات متصلة بالقبول الدولى لمطالبة اسرائيل بالأرض، فيما سجله الجانب من الخطبة الذى جاء فيه ٠٠ « وفى عام ١٩٢٢ اعترفت عصبة الأمم بعدالة هذا المطلب وقد فهمت الضرورة التاريخية الملحة لاقامة وطن يهودى فى أرض اسرائيل وأعادت الأمم المتحدة تأكيد هذا الاعتراف بعد الحرب العالمية الثانية » ٠

ولم يكن رجل مثل شامير ولا أى اسرائيلى آخر يمكن أن يغفل فى هذه المناسبة الاشارة الى ما لقيه اليهود فى ألمانيا فى الحقبة النازية لا سيما انها حقبة تاريخية قريبة نسبيا ، ويلوح فى مثل هذه الفرصة بقضية معاداة السامية Anti Semeitism ٠

ولا يستطيع انسان أن يجزم بالدرجة التى يصدق بها المستر شامير أو أعضاء الحكومة الاسرائيلية ، أو رجال الوفد الاسرائيلى الذين كانوا بصحبته فى قصر الشرق ٠٠ أن يصدقوا أنفسهم أو أن يصدقهم الآخرون !

فانه مما يستلفت النظر درجة السذاجة المفرطة التى اتسمت بها خطبة رئيس الوزراء الاسرائيلى فى جانبها التاريخى ، الى الحد الذى يصعب معه تصور أن كل الاسرائيليين المعنيين لم يفطنوا اليها ٠

فالمقولة الأولى الخاصة « باستمرار التواجد » لأربعة آلاف سنة لا تتناقض فحسب مع الأدبيــات الاسرائيليــة الخاصــة « بالدياسبورا » أو « الشتات » ، بل تتناقض أيضــا مع العقائد الدينية التى سجلتها التوراة عما أسمى « بالسبى البابلى » حين ساق نبوخذ نصر العبرانيين الى بابل بعد أن استولى على أورشليم وهدمها وخرب الهيكل ، وانهم فى فترات طويلة بعد عودتهم من الأسر اســتمر وجودهم هامشيا حتى انه لما زار الرحالة اليهودى « جيروندى بتاحيا » القدس فى أواخر القرن الثــانى عشر كتب متحسرا أنه « لم يجد فيها سوى يهودى واحد » !

تأتي بعد ذلك مقولة القدس وتبــدو طبيعة القراءة المغاوطة للتاريخ بأن شعبا لم يتخذ من القدس عاصــمة سوى الاسرائيليين أن الفترة القصيرة « للوجود السياسى » العبرانى فى فلسطين قد بدا فيما يمكن توصيفه بالدولة المدينية City State ، احداهما فى الشمال حول السامرة والثانية فى الجنوب حول أورشليم ، وهو نوع من الدول ظهر بالعشرات فى التاريخين القــديم والوسيط . أما باقى الدول التى عرفتها تلك العصور ، خاصة فى أواخر التاريخ القديم وبامتداد التاريخ الوسيط فهى من ذلك النوع الذى عرف بالدول العالمية Universal State وهى الدول التى ضمت أقواما وأجناسا متعددة جمعت بينها خاصة فى العصــور الوســطى رابطة الدين ، الامبراطورية الرومانية المقدسة في الغرب ودولة الخلافة الاسلامية فى الشرق ولم يكن من الممكن أن تكون القدس عاصمة لايهما رغــم الصراع المرير حولهـــا خلال الحروب الصليبية .. كل ما كان يمكن أن تكونه المدينة المقدســة أن يصبح لها وضــع خاص ، وهو ما تحقق فعلا بعد حرب القرم عام ١٨٥٦ حين نشأت « متصرفية القدس » !

ثالثة المقولات التاريخية للمستر شامير استمدها من التاريخ

القريب ، تلك الخاصة بما لقيه اليهود من اضطهاد تحت الحكم النازى ، ورغم أن كثيرين يحملون سلوك « الجيتو » أو « حارة اليهود » مسئولية الاضطهادات التى لقوها من كثير من المجتمعات التى عاشوا بين ظهرانيها سواء فى التاريخ الوسيط أو الحديث فاننا نسلم بأنهم قد لقوا بالفعل من الحكم النازى صنوفا من الاضطهاد ، غير أنه يبقى التذكير ان شعوبا أخرى عديدة لقيت قدرا من التنكيل من النازيين ربما يفوق القدر الذى لقيه اليهود ، الا أنهم كانوا أقل ضجيجا وأقل قدرة على الشكوى ، فضلا عن ذلك فان اسرائيل قد تقاضت ثمن اضطهاد اليهود من ألمانيا والعالم الغربى الأمر الذى لم يتح بأى درجة من التكافؤ للشعوب الأخرى ٠

يصعب اذن على ضوء تهافت دعاوى أسير التاريخ رقم (١) فى بهو الأعمدة تصديق أن يكون مؤمنا بمثل هذه الدعاوى مما يطرح للتساؤل الأسباب التى دفعته الى اثارتها ٠

عزا بعض المراقبين هذا الاغراق فى التاريخ الى طبيعة من يمثلهم المستر شامير ، سواء من الليكود أو من الأحزاب الدينية التى تعيش على تراث الشعب اليهودى بكل ما يحمله هذا التراث من حكايات التاريخ وعقائد الأسلاف ، وانه لم يكن أمامه مع هذا الا أن يقول ما قاله !

عزا البعض الآخر موقف الأسير رقم (١) الى البنية الفكرية التى قامت عليها دولة اسرائيل ، وهى بنية اختلطت فيها الحقيقة بالأسطورة منذ أن نشأت الحركة الصهيونية مما تكشف عنه أوراق مؤتمر بازل الذى انعقد في سويسرا فى أغسطس عام ١٨٩٧ والذى أسس الحركة الصهيونية الحديثة كما يكشف عنه كتاب مؤسس الحركة المستر تيودور هرتزل الذى وضعه قبل انعقاد

المؤتمر بوقت قصير تحت عنوان « الدولة اليهودية » • وانه لم يكن فى امكان أى ممثل لاسرائيل فى مدريد ، سواء كان شامير أو غيره ، وسواء كان من الحمائم أو الصقور ، أن يتجاهل مثل هذه البنية •

وفي تقديرنا ان مثل هذه التفسيرات ، رغم وجاهتها ، لا تكفي •• فنحن نعتقد ان سببا أساسيا من أسباب اسراف خطاب المستر شامير فى الجانب التاريخى الرغبة فى أن يحتل الجانب الخاص من الخطاب « بتحديد الموقف » أضيق مساحة . فالجانب الاسرائيلى كان يسعى لاجتياز المرحلة الافتتاحية فى قصر الشرق بأقل قدر من التعهدات وبأكبر قدر من الغموض باغراق المشاركين فى المؤتمر فى بحر التاريخ !

ونحن نرى أنه كان يسعى الى جر الآخرين من الأطراف العربية الى لجج نفس البحر ، وهو بذلك يدخلهم فى متاهات طويله تصرف المؤتمر عن هدفه الأساسى ، وهو الأمر الذى تنبه اليه الطرف المصرى وحذر منه السيد عمرو موسى وزير الخارجية فى كلمته التعقيبية عندما ضمن هذه الكلمة القول ب « اننا أتينا لنتحدث عن المستقبل » بكل ما يعنيه ذلك من دعوة الى ترك الماضى والخروج من أسر التاريخ !

أسير رقم (٢) !

وكان أسيرا عربيا هذه المرة ، ولحسن الحظ فقد كان موجودا خارج بهو الأعمدة أكثر مما كان موجودا بداخلها !

فباستثناء بعض العبارات التى وردت فى بعض كلمات الوفود العربية داخل بهو الأعمدة فى اشارة الى الأصل التاريخى للنزاع فان التمسك بالتاريخ جاء من قطاعات من الشارع السياسى العربى خاصة تلك التى ذهبت الى طهران تندد بالمؤتمر •

وقد استمر ممثلو هذه القطاعات ينظرون للصراع العربى الاسرائيلى باعتبـاره صراع حياة أو موت ، وهم فى هذا لازالوا واقعين تحت تأثير مقولات تاريخيـة أطلقت خـلال الثلاثينـات والأربعينات دونما نظر الى أن عجلة التاريخ قد دارت خلال العقود الأربعة الأخيرة دورات عديدة !

نعم تبقى اسرائيل كيانا عـدوانيا يهدد الأمة العربية طالما استمرت تتبنى السياسات القائمة على الغزو والتوسع ، ولكن يبقى الجمود عند لحظة تاريخية معينة بكل مفرداتها ما يعطى هذا الكيان الوقت والفرصة لتحقيق كل مخططاته .

واذا كان « التفخيخ » يمثل عنصرا من عناصر الحرب لدى اسرائيل فنرى ومن خـلال قراءة طويلة لسياسات تل أبيب تجاه الجيران العرب ان نصب الفخاخ يمثل ركنا أساسيا من أركانها .

ولعل أهم الفخاخ التى وقعت فيها بعض قطاعات الشـارع السياسى العربى فى تعاملها مع الصراع مع اسرائيل بالنظر اليه من منظـور دينى ، باعتبار ان هذا الصراع لـون من الجهـاد ينبغى ألا يتوقف الا بانتصار المجاهدين .

وليس من شك أنه قد قوى من هذا التوجه على الجانب العربى تصاعد قوى اليمين الاسرائيلى صاحبة التوجه ذاته .

قوى منه أيضا ما شهدته السبعينات والثمانينات ، خاصة بعد نجاح الثورة الايرانية ، من ارتفـاع موجـة المد الدينى فى الشارع العربى بما صاحب هذه الموجة من اضفاء الطابع الجهادى على الصراع مع اسرائيل .

والمشكلة فى ادارة الصراع من هذا المنطلق أنه بينما يمكن أن تتغير المواقف السياسية تبعا لتغير الظروف التاريخية فانه يصعب

ان لم يستحل تغيير المعتقدات التي تصل بحكم طابعها الديني الى حد المسلمات ، ولعل هذا هو المأزق الذى يواجهه المفاوض الاسرائيلى بينما لا يواجهه بنفس القدر المفاوض العربى ·

وفى تقديرنا ان الوقوع فى أسر هذا الموقف التاريخى فضلا عن أنه يخرج التحالف الحاكم فى اسرائيل من مأزقه السياسى فانه يعطى لهذا النظام الفرصة لاضفاء الروح الصليبية على الصراع بكل ما تثيره هذه الروح من مخاوف لدى الغرب من ذكريات مريرة تقود الى مزيد من تدفق أشكال التأييد على الاسرائيليين ·

ثم ان هذا الموقف من ناحية أخرى يؤدى الى تفريق الشعب العربى خاصة وأن كل دول الطوق المحيطة باسرائيل تتواجد بها أقليات غير اسلامية كبيرة يقلقها بلا شك أن يأخذ الصراع بين أوطانهم وبين اسرائيل مثل هذا المنحى ، ولعل هذا الفهم هو الذى دعا الحركة الوطنية الفلسطينية منذ وقت مبكر الى طرح البديل العلمانى للدولة الفلسطينية فى مواجهة النموذج الدينى الذى تجسده دولة اسرائيل ·

أسير التاريخ رقم (٢) الذى جسده المجتمعون فى طهران لم يلقوا بالا الى حجم المتغيرات التاريخية التى عرفتها المنطقة والعالم خلال العقود الأربعة الأخيرة ·

برصد هذه المتغيرات يمكن القول ان الاختيار الأساسى الذى حكم هذا الصراع خلال الفترة بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٧٣ كان اختيار الحرب ، فقد شهدت تلك الفترة الحروب العربية — الاسرائيلية الأربع المعروفة ·

بيد أنه خلال الفترة بين عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بدأ اختيار آخر فى الظهور هو اختيار « اللاحرب واللاسلام » وأخذ يفرض نفسه على ادارة الصراع بين الجانبين ·

بعد عام ١٩٧٣ وعودة شكل من التوازن بين الطرفين أخذ اختيار ثالث فى التواجد على الساحة وهو اختيار السلام ٠

وقد أدى عقد المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية عام ١٩٧٩ الى التأكيد على امكانية هذا الاختيار ، والحقيقة أن ما جرى فى الثمانينات ومطلع التسعينات قد ضيق كثيرا من هامش الاختيارات ٠

فقد تأكد خلال تلك الحقبة استبعاد اختيار الحرب لحسم الصراع ، خاصة بعد أن استبعدت مصر هذا الاختيار ، وخاصة بعد ما أصاب الاتحاد السوفيتى من وهن نتيجة لأزمته الاقتصاديه والسياسية ، وبعد أن انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم الحر وغير الحر !

لم يبق بعد ذلك سوى الاختيارين الآخرين ، اللاحرب واللاسلام أو السلام وبينما كان يحقق الاختيار الأول مصالح اسرائيلية مؤكدة فانه كان يقينا يضر بالمصالح العربية عامة والمصالح الفلسطينية على وجه الخصوص من خلال السياسة التى استمرت تتبعها اسرائيل ٠٠ سياسة القضمة قضمة للأرض المحتلة ٠

واذا كنا لا نريد حرمان أولئك الذين اجتمعوا فى طهران من بعض قطاعات الشارع السياسى العربى من نبل المقصد ومن انهم فى رفضهم لخيار السلام كانت لديهم حججهم القائمة على ان استمرار الكفاح الشعبى هو البديل الوحيد لحالة اللاحرب واللاسلام ، فان نبل المقاصد وحدها لا يكفى ، والجمود عند لحظة تاريخيه بعينها لن يقودهم وبقود القضية التى يعملون من أجلها الا الى الوبال ٠

أسير رقم (٣) !

والأسير هذه المرة مصرى ، أو بعض قطاعات من العاملين فى الساحة السياسية المصرية .

وتدور معركة غريبة على هذه الساحة حول كامب دافيد فبينما عاد الكثيرون الى التذكير بها باعتبارها انجازا عظيما فان آخـــرين عادوا للتنديد بها ، وقد تناسى هؤلاء وأولئك أنه قد مـرت تحت جسور التاريخ مياه كثيرة خـــلال الأعوام الثلاثة عشر الممتدة بين ما جرى فى المنتجع الأمريكى عام ١٩٧٨ وبين ما جـــرى فى قصر الشرق الاسبانى عام ١٩٩١ .

فى كامب دافيد كانت كل الظروف مختلفة ..

فالمفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية قد جرت فى نطاق نتائج حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وما استتبعها من اتفاقيات فض الاشتباك ، أما مفاوضات مدريد فهى تجرى فى نطـــاق نتائج حرب الخليج وما صحبها من الشعور بخطورة استمرار حالة اللاحرب واللاسلام ليس فقط على العرب وانما على المصالح الغربية فى المنطقة .

فى كامب دافيد ورغم سياسة الانفـــراج الدولى كان لازال للاتحاد السوفيتى وجوده الفعـــال على الساحة ، ومن ثـم كان للمنتقدين الحق فى عدم قبول مقولة الرئيس السادات بأن ٩٩ فى المئة من أوراق اللعبة فى أيدى أمريكا .

فى مدريد كان الموقف دراميا فلم يكن أمام الجميع ، بمن فيهم الاتحاد الســـــوفيتى ، الا الاعتراف بالحقيقة أنه بعـد متغيرات الثمانينات ومطلع التسعينات أصبحت فعلا ٩٩ فى المئة من أوراق الحل فى أيدى حكومة واشنطون ، ورغم أن المؤتمر انعقـــد تحت رعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقد كان الجميع يعلمون

داخل أروقة المؤتمر وخارجه أن هناك مظلة واحــدة يجتمع تحتها المؤتمرون هي المظلة الأمريكية !

كامب دافيد على الجانب الآخر لم ترض جميع الأطراف ، فهي قد أعطت مصر سلاما منقوصا كان عليها أن تجاهد لعقد كامل حتى تسترد كل أراضيها بعد صدور الحكم في قضية طابا عام ١٩٨٨ ، فضلا عما تضمنته من ترتيبات أمنية فى سيناء لم ترض قطاعات من المصريين ، وأعطت اسرائيل سلاما باردا مع مصر ، وأعطت لبعض الزعامات العربية الفرصة سعيا لعزل مصر واحتلال مكانها الزعامى، وهى المحاولة التى قادت فى النهاية الى كارثة الخليج ٠

يختلف الأمر بالنسبة لمدريد ، فمصر اذا كانت قد خرجت فى كامب دافيد من الباب العربي فهى تدلف فى المؤتمر الجديد من نفس الباب وان هدفا أساسيا من أهداف « المشاركة » المصرية فى مدريد هو دعم الموقف العربى مما كشفته كلمة مصر التى ألقاها السيد عمرو موسى فى أول أيام مدريد ٠

فضلا عن كل ذلك فان الأداء المصرى فى مدريد مختلف جد الاختلاف عن الأداء المصرى فى كامب دافيد ، ليس فقط فى اعلان الموقف القومى بكل مفرداته التى لا تفريط فيها ، وانما أيضا من خلال تشــكيل وفد وطنى كان احدى مفاجآت المؤتمر كمـــا جاء فى تعليقات المراقبين ، ولكنه لم يكن مفاجأة للعمل السياسى المصرى خلال الثمانينات ، فقد كانت هناك سابقة ٠

فقد عرفت الثمانينات تشكيل وفد على نفس المستوى أدار الصراع حول طابا وأمكن من خلال هذا الاسلوب أن يصل بالحق المصرى الى بر الأمان ٠

ويختلف مثل هذا الأســـلوب فى ادارة صراع الســــلام مع اسرائيل عن أسلوب كامب دافيد حين استأثر الرئيس الســـادات

ليس فقط بالمبادرة وانما الأهم من ذلك بالبت، دون رأى المستشارين ناهيك عن أخذ رأى ممثلين عن العمل السياسى المصرى ، البت فى كثير من المسائل الخلافية الأمر الذى دعا هؤلاء الى اتهامه بتقديم تنازلات غير محتملة ودفع ثمن غال للسلام ٠

باختصار فان الحديث عن كامب دافيد سواء من قبل المؤيدين أو من جانب المعارضين انما يدل على أنه لازال هناك على الساحة المصرية أسرى للتاريخ ، ورغم أنه تاريخ قريب فان سرعة الأحداث قد تجاوزته وجعلت الحديث عنه دخولا فى الذمة ٠٠ ذمة التاريخ !

تعليب التاريخ !

محاولة بعث الأسطورة من أكفانها واعادتها حية لتدب بأقدامها على الأرض محاولة لم يبرع فيها شعب بقدر ما برع فيها الشعب اليهودى الذى يمكن توصيفه بأنه ليس الشعب الذى نجح فى صناعة الأسطورة فحسب بل انه الشعب الذى نجح أيضا فى تصديرها !

الصناعة الجديدة التى بدأ الاسرائيليون فى تركيبها منذ عام ١٩٧٧ هى صناعة « تعليب التاريخ » ، وهى صناعة جديدة تنسب لصاحبها المستر مناحم بيجن زعيم الليكود ورئيس وزراء اسرائيل السابق والمفاوض الرئيسى الذى قام بمفاوضة الرئيس المصرى أنور السادات فى المفاوضات التى انتهت بعقد اطار السلام الشهير فى كامب دافيد ٠

وما نقصده « بتعليب التاريخ » هو أن يقوم شخص ما أو فئة ما باستدعاء واقع تاريخى معين من مرحلة زمنية سابقة ومحاولة فرضه على مرحلة زمنية لاحقة بغض النظر عن حجم

المتغيرات بين الواقعين ، وكأن التاريخ يمكن حفظه في معلبات يجرى فتحها واستخدامها فى وقت الحاجة اليها ، وهو المستحيل الذى ابتدعه المستر بيجن ، والذى يحـاول الساسة الاسرائيليون حتى هذه اللحظة وضعه موضع التطبيق من خلال الرؤية الاسرائيليـة لقضية الحكم الذاتى للفلسطينيين ٠

وتعتمد هذه الرؤية تماما على التجربة التاريخية لليهود فى عصر بعينه وفى منطقة بذاتها ، والعصر غير العصر والتجربة غير التجربة ، الأمر الذى يتطلب النظر داخل المعلبات !



الرؤية الاسرائيلية لقضية الحكم الذاتى للفلسطينيين وضعها مستر مناحم بيجن فى مشروعه ذى النقاط الست والعشرين الذى قدمه الى الكنيست فى ديسمبر عام ١٩٧٧ ٠

وقبل التعرض لفحوى هذا المشروع ينبغى النظر الى الظروف التى قدمه رئيس الوزراء الاسرائيلى فيها ٠٠

١ ـ أنه قدم مشروعه فى أعقاب الزيارة الشـهيرة التى قام بها الرئيس السادات الى القدس ، وكان مفترضا أنه سوف تبدأ جولات المباحثات بين الطرفين فى أعقاب هذه الزيارة ، وقد أراد المستر بيجن من هذا العمل أن يضع الرئيس المصرى أمام الأمر الواقع ، مشروع اسرائيلى متكامل للضفة الغربية وقطاع غزة ، أو يهودا والسامرة على حد تسميته ، مدعوم بقـرار من الكنيست ، فقد كان الرجـل يعلم أن أصعب موضوعات المفاوضات بين العرب واسرائيل ، كانت وستبقى، موضوع الأراضى الفلسطينية فى الضفة والقطاع ٠

٢ ـ أن المشروع تم تقديمه بعد أكثر من عشر سنوات على الاحتلال الاسرائيلى للأراضى الفلسطينية بعد حرب ١٩٦٧ ، خاصة وان تلك الأراضى لم تشـهد أى قتال خلال الحرب التالية ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، التى اقتصرت عمليـات القتال خلالها على المناطق المحتلة من مصر وسوريا ، فى سيناء وهضبة الجولان. ثم ان الانتفاضة الفلسطينية لم تكن قد هبت بعد مما كان يزيد من الأطماع الاسرائيلية فى ضم الأراضى المحتلة من فلسطين .

٣ ـ أنه لأول مرة ، وبعد نحو ثلاثين عاما من قيام الدولة ، يتولى فى ذلك العام ، ١٩٧٧ ، الحكم فى اسرائيل تحالف من قوى اليمين يتزعمه رجل متطرف كان هو نفسه زعيـم الارجون Irgun فى الأربعينات ، ورئيس جماعة « تحيا » بعد قيام الدولة ، والتى كانت من أكثر الجماعات السياسية تطرفا .

ومثل هؤلاء الرجال فى العـادة يصنعون الأساطير وتصنعهم الأساطير فهم يعيشون عليهـا ويكونون بذلك مؤهلين للوقوع فى أسر التاريخ بكل ما يصحب ذلك من بعـد عن الواقع مما لايخلق فحسب التناقضات بل أسوأ من ذلك يخلق الصراعات والحروب !

٤ ـ ان مناحم بيجن والرجال الذين تصدوا لقيادة دولة اسرائيل منذ قيامها ، وربما حتى يومنا هذا ، كانوا من ذلك الرافد من المهاجرين الذى قدم من شرق أوربا ، وهم قد استوردوا تجربتهم التى يحاولون الآن فرضها على العرب الفلسطينيين فى الضفة والقطاع ، مما عانوه وعاينـوه فى المناطق التى قدموا منها .. من مناطق امبرطورية النمسا ـ المجر ، خاصة من بولندا ، من مناطق روسيا القيصرية ، أخيرا من بعض مناطق الامبراطورية العثمانية .

وتشير فحوى المشروع الى تلك الصلة الوطيدة بينه وبين المناطق التى أتى منها هؤلاء ..

يقضي مشروع بيجن بالغاء الحكومة العسكرية فى الضفة الغربية ، التى دعاها بيهودا والسامرة ، وقطاع غزة ليحل محلها حكم ذاتى ادارى يدار بواسطة السكان العرب ومن أجلهم والذين ينتخبون مجلسا اداريا يتشكل من أحد عشر عضوا يكون مقره فى بيت لحم ولمدة أربع سنوات .

يكون هذا المجلس مسئولا عن التعليم ، الشئون الدينية ، النقل ، البناء والاسكان ، الصناعة ، التجارة ، الزراعة ، الصحة ، العمل والشئون الاجتماعية ، توطين المهاجرين ، العدل والشرطة المحلية ، على أن تبقى المسئولية عن الأمن فى أيدى الجانب الاسرائيلى .

وعلى مواطنى الضفة الغربية وغزة أن يختاروا بين الجنسية الاسرائيلية والجنسية الأردنية ، ومن يقع اختيارهم على الأولى من حقهم التصويت والترشيح للكنيست ، أما من يختارون الجنسية الثانية فيتمتعون بنفس الحقوق فى الأردن ، وأن تتشكل لجنة من الاسرائيليين والأردنيين والمجلس الادارى لتقرر أى القوانين يمكن أن تبقى ليعمل بها وأى القوانين يمكن أن تلغى .

ويستطرد مقترح بيجن فيخول للاسرائيليين الحق فى تملك الأرض والاستقرار فى الضفة الغربية والقطاع على أن يتمتع عرب تلك الجهات الذين حصلوا على الجنسية الاسرائيلية بنفس الحقوق فى اسرائيل (!) أما الهجرة ، بما فيها هجرة اللاجئين العرب فسوف ، تقوم بتنظيمها « بأعداد معقولة » لجنة مشكلة من اسرائيل والأردن والمجلس الادارى . وأن يتمتع المقيمون فى مناطق الاستقلال

الذاتى واسرائيل بحرية التنقل وممارسة النشاطات الاقتصادية فى كل مناطق اسرائيل ومنطقة الاستقلال الذاتي . وأن يعد مقترح خاص لضمان حرية الدخول لكل الأماكن المقدسة للمسيحيين والمسلمين واليهود .

وقد قال المستر بيجن فى الجلسة التى قدم خلالها هذه المقترحات ان « الاستقلال الذاتي » هو اجراء انتقالي لتوفير الفرصة لعقد معاهدة السلام مع مصر وانه ليس هدفا فى حد ذاته . أما البريجادير جنرال أرييه شاليف Shalev الذى وضع دراسة مهمة تحت عنوان « الحكم الذاتى ـ المشاكل والحلول المحتملة » قدمها لمركز الدراسات الاستراتيجية فى جامعة تل أبيب فقد كان من رأيه أن الفترة الانتقالية سوف تمكن من خلق حقائق جديدة فى تلك الأراضى كما قد تؤثر على الولايات المتحدة لقبول الوضع الجديد ، وانه بعد الفترة الانتقالية تصبح تلك الأراضى جزءا من الدولة اليهودية .

واذا كان شاليف قد وضع دراسته تلك عام ١٩٨٠ فان اسرائيل قد حصلت على ما هو أكبر كثيرا من الفترة الانتقالية (٤ سنوات) .

هذا هو المخطط الاسرائيلى الذى دخلوا به محادثات كامب دافيد والذى يدخلون به ، بعد خلق مزيد من الحقائق الجديدة فى الضفة والقطاع ، فى المفاوضات مع الجانب الفلسطينى فى المحادثات الثنائية القادمة أو القائمة ، وهو يقوم على فكرة « تعليب التاريخ » ! .

فهذا المخطط انما يستورد تجربة يهودية حدثت فى منطقة معينة وفى مرحلة تاريخية بذاتها ..

أما المنطقة فهى امبراطورية النمسا ـ المجـر ، روســـيا القيصرية ، الامبراطورية العثمانية ·· ولنا ملاحظتـــان على هذه المنطقة :

الملاحظة الأولى : ان هذه الكيانات السياســية الثلاثة كانت تتشكل من اعراق عديدة لها ديانات أو على الاقل مذاهب مختلفة مما كان يدفع حكوماتها الى البحث عن « صيغ للتعايش البشرى » بين أقوامها ودياناتها ، ولما كان اليهود يشكلون دائما جماعة نافرة أو ناتئة فى مجتمعات تلك الدول ، فقد كانت حكوماتها تفضل أن تترك لهم « ترتيب » حياتهم بالشكل الذى يرونه داخل الدولة . وان كان ذلك بالطبع لم يقتصر عليهم وانما امتد لجماعات عديدة عرقية ودينية ، وهو ما كان يعرف فى الامبراطورية العثمانية باسم « النظام الملى » القائم على اعطاء كل ملة ، أى طائفة ، حـق ادارة شئونها الداخلية ·

الملاحظة الثانية : انه اذا كان هذا النظام قد استمر متبعا فى بعض مناطق أوربا حتى القرن التاسع عشر ، فقد كانت أكثر المناطق تخلفا عن الحركة التاريخية والتى كانت تربطها ثمة صلة بالعصور الوسطى ، فالامبراطوريات الثلاث قد انحدرت بدرجة أو بأخـرى من تلك العصور ، الأمر الذى دعاها الى استبقاء قدر من أنظمتها ·

والمعلوم أن نظام الاقطاع الذى ساد فى تلك العصور كان بالأساس « نظاما طائفيا » من الناحية الاجتماعيــة مما خلق لونا من ألوان « اللا مركزية الادارية » هو بالضبط ما تريده اسرائيل من نظام الحــكم الذاتى المقترح والذى تذهب به الى المباحثات الثنائية بعد تطويره طبعا على ضوء المستجدات التاريخيــة التى حدثت طوال الأربعة عشر عاما الممتدة بين تقديم بيجن لاقتراحه وحتى يومنا هذا ·

ومعنى أن يأتى الاسرائيليون الآن ليضعوا مشاريعهم من خلال تجربة انقرض عصرها بالفعل ، فكأنهم يسعون بالفعل الى اخراج التاريخ من أكفانه ، وهو الأمر المستحيل مهما تسلحوا فى سبيل ذلك بأسباب قوة العصر أو بدواعى تخلف خصومهم عن اللحاق به !

★★★

لسوء الحظ فان القاموس السياسى العربى احتفظ لنا بتوصيف واحد للحكم الذاتى بينما يحتفظ القاموس السياسى الانجليزى بتوصيفين نشأ كل منهما فى ظرف تاريخى مختلف .

التوصيف الأول هو الأوتونومى Autonomy والتوصيف الثانى هو الـ Self Government .

والتوصيف الأول هو الذى استخدمه الاسرائيليون خلال كامب دافيد ، ولا زالوا حريصين على استخدامه ، ويقينا فانهم سوف يطرحونه فى محادثاتهم القادمة مع الوفد الفلسطينى .

ويشير التطور التاريخى لاستخدام لفظة « الأوتونومى » انها قد استعملت أولا بمعنى الادارة الذاتية ، ثم تحولت بعد ذلك لتصبح « الحكم الذاتى » خاصة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتبدأ فى الاختفاء خلال الحرب العالمية الأولى ليحل محلها التوصيف الجديد الـ Self Government مما يشكل قصة طويلة .

هذا التطور قد حدث نتيجة لمتغيرات تاريخية ، ففى ظل نظام الدولة « اليونيفرسالية » التى عرفتها العصور الوسطى ، والتى كانت تتكون من أعراق وثقافات وأصحاب ديانات ومذاهب متعددة ، بل والأكثر من ذلك أنظمة اقتصادية واجتماعية متفاوتة ، كما سبقت الاشارة ، كانت فكرة « الادارة الذاتية » لكل فئة من هؤلاء

لها تعنى أن ينصرف الحكم الذاتي للبشر وليس للأرض القائمين عليها ٠٠ كانت فكرة مفهومة ومقبولة ٠

ذلك أنه لم تكن كل جماعة من تلك الجماعات ترتبط بالضرورة بقطعة من الأرض يمكن أن تشكل كيانا سياسيا متمايزا، ولنأخذ يهود أوربا كنموذج على ذلك ٠٠

فقد كان هؤلاء موجودين فى أغلب مدن أوربا فى حارة خاصة بهم هى « الجيتو » المشهور ، ولم يكن معقولا أن تجمع تلك الحارات المتناثرة من قلب روسيا فى الشرق الى الأراضى المنخفضة فى الغرب ليشكلوا فى النهاية كيانا سياسيا متمايزا ٠

ولنا أن نلاحظ هنا أنه كلما جرت حركة التطور التي تؤدى الى انقراض دولة العصور الوسطى الاقطاعية ذات الطابع اللامركزى وحلول الدولة الحديثة ذات الطابع المركزى أن كان يتآكل هذا المفهوم للادارة الذاتية ٠

يتأكد ذلك من أن دول غرب أوربا التى سبقت فى حركة التطور كانت قد اختفت تماما منها هذه الظاهرة ٠٠ ظاهرة الادارة الذاتية للبشر التى لم تبق الا فى دول شرق أوربا التى لم تكن بعد قد شهدت اكتمال النقلة الاقتصادية الاجتماعية السياسية ، بيد أن رياح التغيير لم تتأخر كثيرا عن تلك الدول خاصة خلال قرن الثورات وانتعاش الروح القومية ٠٠ القرن التاسع عشر ، فقد شهد هذا القرن تغييرات ظاهرة فى البنيان السياسى لتلك الدول ٠

الامبراطورية الرومانية المقدسة وريثة تقاليد العصور الوسطى اضطرتها رياح التغيير الى اعادة بناء نظامها السياسى على أساس قومى فأصبح التاج فيها معبرا عن أكبر قوميتين داخلها ٠٠ النمسا والمجر ٠

الدولة العثمانية الوريث الشرقي لتقاليد هذه العصور اضطرت خلال نفس القرن والسنوات الأولى من القرن العشرين الممتدة حتى قيام الحرب العالمية الأولى الى اعطاء ولاياتها البلقانية لونا من الحكم الذاتي كان مفهوما أنه يشكل خطوة نحو الاستقلال فيما حدث لكل من اليونان ورومانيا وبلغاريا وصربيا ٠

صحيح أن المسألة تأخرت بعض الشيء بالنسبة للجناح العربي من الدولة ، سواء بحكم قوة الرابطة الدينية التى أخرت ظهور التمايز القومي ، أو بحكم درجة التخلف فى التطور الاقتصادى الاجتماعي السياسي ، الا أن فكرة « الأوتونومي » على أساس قومي بدأت تحتل مكانها فى برامج بعض الجماعات السياسية العربية خلال الفترة السابقة على قيام الحرب كان أشهرها « حزب اللامركزية العثمانية » ٠

وتختلف فكرة « الأوتونومي » على أساس قومي عنها على أساس طائفي فيما كان قائما من قبل ، فبينما تقتصر الفكرة فى وضعيتها القديمة على البشر دون الأرض فانها فى وضعيتها الجديدة تمتد للأرض التى اكتسبت فحوى جديدة !

ذلك انه مع نشوء « الفكرة القومية » بدأت تنشأ فى نفس الوقت فكرة الوطن ، بكل ما يستتبع ذلك من علاقة خاصة بين البشر والأرض التى اكتسبت قدسية خاصة ، وشاع مع ذلك تعبير « التراب الوطنى » بكل ما يعنيه التفريط فيه من معان ترقى الى مستوى الخيانة ٠

يقودنا ذلك الى التمييز بين « الأوتونومي » فى عصر الدول الاقطاعية وهو المفهوم الذى يتمسك به الاسرائيليون ، وبين نفس الفكرة بعد أن دخلت ذات الدول عصرا جديدا هو عصر القوميات ،

وما يريده المشروع الاسرائيلي من هذا التمسك انما يشكل لونا من الارتداد بالتاريخ وسعيا لتحويل الفلسطينيين من شعب الى مجرد « طائفة » وهو ما يمكن أن يرقى الى مستوى المستحيل التاريخي !



نفس الفترة التى شهدت هذه التطورات التاريخية التى غيرت جذريا من مفهوم الأوتونومى على مستوى نمط دول العصور الوسطى التى عرفت هذا المفهوم ، شهدت أيضا وفى نفس المنطقة الهجمة الامبريالية ، وكان لهذه الهجمة فى العالم العربى قسمات مختلفة .

فالقوى الامبريالية وجدت فى هذا العالم أوضاعا متميزة عن تلك التى وجدتها فى قارة كافريقيا مثلا ، فقد وجدت شعوبا كان بعضها قد قطع شوطا طويلا فى طريق بناء الأوطان ، وكانت مصر أظهر النماذج فى هذا الصدد .

دعا ذلك المحتلين البريطانيين الى التحرك بحذر فى ميدان صياغة العلاقة بينها وبين مصر ، فبدأت « بالاحتلال » لما يزيد عن ثلاثين عاما (١٨٨٢ ـ ١٩١٤) وتحولت بعد ذلك ومع ظروف قيام الحرب العالمية الأولى ، وانضمام تركيا الى دول الوسط ، الى « الحماية » ، وفى هذه المناسبة ظهرت الدعوة إلى الحكم الذاتى بمعناه الجديد Self Government .

ففى شهر مارس عام ١٩١٥ ، وبعد نحو ثلاثة شهور من اعلان الحماية البريطانية ، تقدم رشدى باشا والوزراء المصريون بمنح مصر قدرا من الاستقلال فى اطار « الحكم الذاتى » يوفق بين

مصالح انجلترا وآمال المصريين ويعلن أن « مصر دولة ملكية دستورية مستقلة لها حاكم وراثى بشارات الملك المعتادة كالعلم والجيش والعملة وامتيازات الشرف الوطنية وغيرها » .

وقد انطلق الوزراء المصريون فى ذلك من نص اعلان الحماية البريطانية على مصر الذى جاء فيه : « وفى عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد ، بل انها موقنة بأن تحديد مركز بريطانيا العظمى فى هذه البلاد تحديدا صريحا يؤدى الى سرعة التقدم فى سبيل (الحكم الذاتى) .

ويعترف ممثلو بريطانيا فى مصر الذين أعدوا نص اعلان الحماية بموافقة ومعاونة دوائر الخارجية البريطانية أنهم قد ضمنوا النص تلك العبارة تهدئة لردود فعل الحركة الوطنية المصرية التى كانت قد تصاعدت على نحو كبير فى الفترة السابقة على الحرب ، سواء تمثلت فى الحزب الوطنى ذى التوجهات الوطنية الاسلامية مما خشيت معه سلطات الاحتلال من نجاح رجالات هذا الحزب فى اشعال ثورة دينية فى البلاد ، أو فى حزب الأمة الذى كان يضم « الوجهاء المصريين » والذين كان يرضيهم كثيرا التلويح بوعد بدرجة من الاستقلال الوطنى باعتبارهم دعاة للوطنية المصرية .

ورغم أن سلطات الحماية البريطانية لم ترحب بمطلب وزراء مصر بدعوى أن الوقت غير مناسب لهذا المطلب فانها بعد اشتعال الثورة فى أعقاب الحرب (١٩١٩) حاولت احياء مشروع « الحكم الذاتى » وشجعت على اقامة « الحزب المستقل الحر » الذى نادى به ، الا أن الوقت كان بالنسبة للحركة الوطنية المصرية قد فات على قبول هذه الصيغة ، حتى ان دعاتها اتهموا بالخيانة الى

الحد الذى دعاهم الى التخلى السريع عن مشروعهم والانسحاب من ميدان العمل السياسى ٠



اذن ففكرة الحكم الذاتى Autonomy سواء تلك التى تطورت من تحت عباءة الدولة « اليونيفرسالية » أمام رياح القومية المتعاظمة وأضحت خطوة فى اتجاه الاستقلال الكامل ، أو نفس الفكرة بمعناها الآخر Self Government والتى عبرت عن مرحلة من مراحل الكفاح الوطنى ضد الوجود الامبريالى كانت بدورها تمثل الخطوة الأولى فى نفس الاتجاه ٠٠ اتجاه الاستقلال الكامل ، انما تتناقض مع فكرة الحكم الذاتى بالمفهوم الذى يحاول الاسرائيليون تطبيقه ، وهو مفهوم فقد أى مقوم له منذ نحو قرن وتجاوزه العصر وأصبح نوعا من المعلبات التاريخية الفاسدة لسبب بسيط وهو انها قد تجاوزت تاريخ الصلاحية !

الاطار القانونى لمشروعات تسوية الصراع العربى الاسرائيلى

دكتور عبد الله الاشعل
نائب مدير معهد الدراسات
الدبلوماسية

تمهيد وتحديد :

تهدف هذه الورقة الى تحديد الأسس القانونية التى استندت اليها مشروعات التسوية فى الشرق الأوسط ، وتحديد حجم الدور الذى أنيط بالقانون ومدى مراعاة هذه المشروعات للجوانب القانونية للنزاع ·

وبعبارة أخرى ، اذا كان الانطباع العام هو أن المشروعات قد تراوحت ـ من زاوية القانون ـ بين التوفيق الذى ينشىء بالتسوية قانونا جديدا ، وبين القانون الذى ارسته مواقف الأمم المتحدة وتمسك به الجانب العربى ، فان هذه الدراسة تهدف الى الكشف عن مدى دقة هذا الانطباع العام من الناحية العلمية · وقد يرى البعض ان هذا التمييز الذى أوردته بين مشروعات التوفيق ومواقف الأمم المتحدة والذى تساقطت فى ثناياه عناصر الحق العربى الفلسطينى ، هو تحصيل حاصل ، لكننى أزعم أن مثل هذه الدراسة

ضرورية وان كانت لا تكلف الباحث الكثير من الجهد ، كما أنها تفيد في الوقوف على مدى فهم المشروعات التوفيقية وتقديرها لدور القانون ، وتعكس أيضا التيارات السياسية التى صاحبت هذه المشروعات ٠

ولما كان المشروع الصهيونى يستهدف الأمة العربية بأكملها متخذا قاعدته فى فلسطين ، فقد انشغلت شعوب الأمة العربية بتطورات هذا المشروع منذ ظهوره ، وبدأ صراعها معه منذ تبلورت امكانات تنفيذه فى وعد بلفور ، وعهد العصبة وصك الانتداب ولا يزال الصراع محتدما حتى الآن بما يحمله من مضاعفات جعلت حياة الأمة وعلاقاتها ومواردها رهنا لهذا الصراع وتطوراته ٠ وقد حفل سجل الصراع بالصفحات الدامية ، كما حفل بالمحاولات المستمرة لتسويته وتعددت هذه المحاولات بقدر تنوع مصادرها ودوافعها وشروط وأوضاع التسوية التى تصبو الى تحقيقها ٠

ولكن هذه المشروعات جميعا قد قدمت فى ظروف معينة تتصل بميزان القوى بين الأطراف ، وعلاقات الأطراف بالقوى الدولية المؤثرة ، ومفاهيم الأطراف الايديولوجية ومواقفها السياسية من فكرة التسوية اصلا التى ظلت تعنى فى الجانب العربى شيئا مغايرا تماما لما كانت تعنيه فى النظرة الاسرائيلية ، كما تطورت المواقف من فكرة التسوية مبدئيا بفعل المتغيرات والعوامل التى أشرنا اليها ٠

وقد تغير دور القانون ومفهومه طوال مراحل الصراع فى كل من الجانبين العربى والاسرائيلى ، وغيرهما ٠ ومعلوم ان الصراع العربى الصهيونى قد مر بمراحل متعددة ابرزها مرحلة الصراع الفلسطينى اليهودى حتى قيام اسرائيل ، ثم مرحلة الصراع العسكرى والسياسى العربى الاسرائيلى حتى ١٩٦٧ ، والمحاولات العربية لاسترداد الأراضى المحتلة والحقوق الفلسطينية عام ١٩٧٣ وما بعدها،

وتحول الصراع العسكرى الى محاولات للتسوية السياسية الصرفة أو استبعاد الخيار العسكرى من الصراع الذى تأكد نهائيا بحدثين كبيرين هما المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وضرب حركة المقاومة الفلسطينية ٨٢ ـ ١٩٨٧ ٠

وتنقسم مشروعات التسوية من زاوية اطارها القانونى الى عشر مجموعات هى (١) :

١ ـ مشروعات التسوية فى اطار الأمم المتحدة ٠

٢ ـ مشروعات التسوية العربية (والفلسطينية والمصرية) ٠

٣ ـ المشروعات الاسرائيلية ٠

٤ ـ المشروعات الأمريكية ٠

٥ ـ المشروعات السوفيتية ٠

٦ ـ المشروعات الأوروبية ٠

٧ ـ مشروع العالم الثالث ٠

٨ ـ المشروعات الفردية والخاصة ٠

٩ ـ نظام التسوية فى كامب دافيد ٠

١٠ ـ مؤتمر مدريد للسلام ٠

وقبل تحديد الاطار القانونى لهذه المشروعات ، يتعين ابداء الملاحظات الأساسية الآتية :

١ ـ تتراوح هذه المشروعات بين الالتزام الدقيق بمفهوم معين للشرعية ، وبين التسوية الاتفاقية التى تصنع للتسوية باتفاق الأطراف قانونها الجديد ، وهى تعكس التفاعل المستمر بين القانون والواقع

ومحاولات كل منهما تطويع الآخر ، حتى بدت بعض المشروعات احلاما مثالية بالقياس الى امكانات التحقيق .

٢ - عكست هذه المشروعات كافة موازين القوة العالمية والاقليمية ، والانقسامات بين العرب واسرائيل .

٣ - تعكس المشروعات العربية والاسرائيلية رغبات الطرفين دون ان تعكس الواقع الذى يظهر بوضوح ان مؤشر الصراع منذ بدايته حتى الآن ، يتجه بالكامل لصالح اسرائيل وضد صالح العرب فى كل المراحل لدرجة ان البعض يعتقد ان استمرار هذا المؤشر سينتهى الى تصفية كامل الحقوق العربية وتأكيد المشروع الصهيونى .

٤ - يطلق الصراع العربى الاسرائيلى ومشروعات تسويته فى هذه الدراسة على الفترة اللاحقة على قيام اسرائيل واصطباغ الصراع بالطابع الدولى ، دون ان نغفل ان قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ الذى نشأت بموجبه اسرائيل عام ١٩٤٨ ، هو الأساس القانونى الراسخ للموقفين العربى والفلسطينى منذ عام ١٩٨٨ ، بعد ان كان الفقه العربى يأخذ بمذهب العدالة المطلقة ويرفض قرار التقسيم وينتقد الجمعية العامة وتجاوزها لأحكام الميثاق ، فلما أرغم الواقع العربى هذا الفقه على التكيف ، تبنى بدلا من العدالة المطلقة نظرية (العدالة الوضعية) Positivist Justice أو ما يسمى فى الفكر القانونى والسياسى العربى بالواقعية القانونية legal realism .

٥ - هناك تداخل زمنى وموضوعى فى كل هذه المشروعات ، وهى تمثل لوحة للمفاوضات والحوار من نوع خاص ، ففيها من نقاط الاتفاق قدر ما تظهر من نقاط الاختلاف عبر مراحل ومفاهيم التسوية عند الأطراف .

أولا : الاطار القانوني لمشروعات التسوية في اطار الأمم المتحدة :

أصدرت الأمم المتحدة ثلاث وثائق أساسية هي : قرار التقسيم، وقراري مجلس الأمن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ • صدر قرار التقسيم رقم ١٨١ في الدورة الثانية للجمعية العامة في ١٩٤٧/١١/٢٩ وكان أساسا لقيام اسرائيل ، ولا يزال الأساس القانوني لحق الفلسطينيين في اقامة دولتهم • أما القراران ٢٤٢ ، ٣٣٨ فقد صدرا عن مجلس الأمن عقب حربين الأولى ١٩٦٧ التي انتصرت فيها اسرائيل واحتلت خلالها الأراضي العربية ، والثانية ١٩٧٣ التي مهدت الطريق لدى أطراف الصراع وفي المحافل الدولية لتسوية من نوع مختلف • واعتبارا من عام ١٩٦٧ صارت مشروعات التسوية تعالج أمرين : القضية الفلسطينية كحق للشعب ووضع الأرض ، وعلاقة اسرائيل بالدول العربية من خلال المطالبة بانسحاب اسرائيل من أراضيها • بل وظهرت للأمرين مشروعات مختلفة للتسوية ، وفي اطار هذا التباين برز الخلاف المصري العربي ٧٩ — ١٩٨٨ •

ولما كان قرار التقسيم هو الحل الذي ارتأته الدولة المنتدبة للصراع ، فاننا نبدي عليه الملاحظة التالية من الناحية القانونية :

١ — ظل الفقه العربي يرفض قرار التقسيم لاعتبارات تتصل بسلطات الجمعية العامة وطبيعتها القانونية (٢) ، وليس قبولنا للقرار سوى موقف يحفظ على الفلسطينيين القسط المقبول دوليا من حقوقهم عملا بالقاعدة الشرعية ما لم يدرك كله لا يترك كله (٣) •

٢ — طلب القرار في الجزء (أ) من مجلس الأمن حماية مشروع التقسيم واعتباره اي محاولة لتغييره من الأعمال الواردة في المادة ٣٩ التي تتطلب اتخاذ اجراءات القسر •

٣ — طلب القرار ان يخول المجلس الجمعية العامة سلطة (اتخاذ اجراءات تمنح لجنة الأمم المتحدة (٤) تمشيا مع المادتين ٣٩ ، ٤١ من الميثاق ٠٠ سلطة الاضطلاع فى فلسطين بالمهام المنوطة بها فى القرار) ٠

والمعلوم انه ليس فى الميثاق سند لتفويض المجلس بعض سلطاته ، ولم يحدث ذلك الا بعد صدور قرار الاتحاد من أجل السلم عام ١٩٥٠ لكى تحل الجمعية محل المجلس اذا عجز عن العمل بسبب الفيتو ، وهو قرار يرى الكثير من شراح الميثاق انه غير قانونى ٠

٤ — نص القرار فى الفقرة (ب) من الفصل الثالث على انه يجوز ان يرفع أى نزاع الى محكمة العدل الدولية ، ويكون متعلقا بالتوارث الدولى فى فلسطين بعد انتهاء حكومة الانتداب ، **ويعد هذا أساسا قانونيا يخول السعى نحو طلب رأى استشارى من المحكمة حول تفسير قرار التقسيم وتحديد آثار التوارث منذ لحظة تطبيقه وحتى الآن ٠**

ونضيف الى ذلك النص الصريح للفقرة الثانية من الفصل الرابع « يحال كل خلاف متعلق بتطبيق هذا التصريح أو تفسيره على محكمة العدل الدولية ، بناء على طلب أحد الطرفين ، ما لم يتفق الطرفان على أسلوب تسوية آخر » ٠

وهذا النص يعطى للطرف الفلسطينى الحق فى ان يطلب من المحكمة البت فى الخلافات المتعلقة بتفسير القرار أو تطبيقه ويعتبر هذا النص منشئا لاختصاص المحكمة القضائى فى هذا الشأن دون حاجة الى موافقة اسرائيل ، ورغم تحفظاتها على قبول اختصاص المحكمة ٠

وقد تأكد حق الحق فى نص الفقرة ٢١ من الفصل الرابع ،

بشأن انهاء التعهد وتعديله وتغييره حيث تجيز احالة كل نزاع متعلق بتطبيقه أو تفسيره وكذلك أية اتفاقية صادرة عنه الى المحكمة ·

وقد وضع القرار فى الجزء الثالث نظاما خاصا لمدينة القدس بوصفها كيانا منفصلا ، وألحق بالقرار الملحق (ج) حول النظام الدولى لمدينة القدس تحت ادارة الأمم المتحدة ، وتحت ضمانها وفق أحكام المادة السادسة منه ·

وقد صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ عقب هزيمة الدول العربية المحاربة هزيمة ساحقة واحتلال سيناء وغزة والضفة والقدس الشرقية والجولان السورية · ويعد هذا القرار مشروعا بمبادىء التسوية السلمية الواردة فيه التى تفترض قبل كل شيء الانسحاب الاسرائيلى وانهاء حالة الحرب فى المنطقة ولكن القرار ليس قابلا للتنفيذ بذاته بمعنى انه لا يترتب على عدم تنفيذه أى اخلال أو مسئولية قانونية ، لأنه أوجب فى فقرته الثالثة على الأمين العام (ان يعين ممثلا خاصا يقوم باتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة فى الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة فى هذا القرار) ·

وقد أثارت هذه الجزئية جدلا قانونيا واسعا حول الطبيعة القانونية لهذا القرار ومدى اعتباره ملزما طبقا للفصل السابع أم انه توصية فى اطار الفصل السادس من الميثاق (٥) ·

وكان القرار يعكس نتائج الانتصار الاسرائيلى من زاوية أخرى حيث لم ينص أسوة بالحالات المماثلة على الانسحاب الى الخطوط السابقة على بدء القتال فأعطى لاسرائيل فرصة التفاوض بورقة الأرض المحتلة لفرض ارادتها (٦) ·

ولقد لوحظ ان القرار خلا من الاشارة الى قرارات الأمم المتحدة السابقة وخاصة قرار التقسيم مما أثار الجدل حول علاقة قرار المجلس

بقرار التقسيم (٧) فاعتبره البعض امتدادا لقرار التقسيم وتأكيدا ، بينما اعتبره البعض الآخر نكوصا عن قرار التقسيم واعترافا بمكاسب اسرائيل الاقليمية منذ صدور قرار التقسيم ٠

وكنا قد ناقشـنا هذا الرأى فى دراسة سابقة (٨) ، ولكننا لاعتبارات عملية تهدف الى التوفيق بين قبولنا للقرارين نرى ان قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لا يتناقض مع تأكيد قرار التقسيم ، وانه يعالج آثار حرب ١٩٦٧ دون المساس بامكانية تطبيق قرار التقسيم فى شقه الفلسطينى ٠ ويقترب هذا الموقف من موقف القائلين بأن قرار المجلس « يدخل فى اطار التزامات المجلس بموجب قرار التقسيم لتنفيذه حسبما جاء فى ديباجة الفقرة (أ) من قرار التقسيم » ، كما يتفق مع القائلين بأنه استمرار لقرار التقسيم ٠ ومادمنا قد حرصنا على انسجام قرار المجلس مع قرار التقسيم فلابد من التأكيد على شرعية قرار التقسيم فى اطار الوضعية القانونية الجديدة التى تستند أساسا الى اعتراف الطرفين المعنيين ، اسرائيل والفلسطينيين بهذا القرار فى اعلانات الاستقلال (٩) بعد ان تجاوزنا الوضعية القانونية التقليدية وفق اجتهادات ماليزون (١٠) ، والموقف العربى التقليدى الذى يطعن فى سلامة القرار من حيث مدى اتفاقه مع الميثاق ، ومدى اختصاص الجمعية العامة باصداره (١١) ٠

أما قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر فى ١٩٧٣/١٠/٢٢ عقب حرب أكتوبر فقد استهدف تثبيت مواقع المتحاربين فى ذلك اليوم « وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن » ٠ وهو القرار الذى لم تحترمه اسرائيل فى حينه وتقدمت فى تعميق الثغرة بعد صدور القرار ، مما اضطر المجلس الى اصدار قراريه ٣٣٩ ، ٣٤٠ فى ١٩٧٣/١٠/٢٥ وقضى بانسـحاب القـوات الى المـواقع يـوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ ويطالب القرار بتطبيق القرار ٢٤٢ بكافة أجزائه ،

« **وذلك تحت الاشراف الملائم بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط** » (١٢) ٠

وبذلك صـار القرار ٣٣٨ اداة لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، تحت « الاشراف الملائم » الذى اتخذ تارة صورة المؤتمر الدولى الذى طالبت به الدول العربية تحت اشراف الأمم المتحدة ، أو المؤتمر الاقليمى تحت الاشراف المشترك للدولتين العظميين الذى عقد فى مدريد فى ٣٠/١٠/١٩٩١ حسبما أرادت اسرائيل ٠

ثانيا : المشروعات والمبادرات العربية (١٣) :

ظهرت من الجانب العربى مشروعات مختلفـة نذكر منهـا قرارات بلودان ومبادرة الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة ومشروع المملكة العربية المتحدة ومبادرة الملك فيصل ، ومشروع الملك فهد ثم مشروع فاس ، ومبادرات الرئيس السادات (١٤) ، والاتفاق الأردنى الفلسطينى عام ١٩٨٥ ٠

أما قرارات بلودان التى اتخذتها الجامعة العربية فى يونيو ١٩٤٦ فهى تدخل فى اطار تنسيق المواقف العربية ازاء تقرير اللجنة الانجلو أمريكية ٠ وقد جددت فى تونس فى ١٩٨٢/٨/٢١ مقترحات الرئيس التونسى التى سبق ان قدمها فى اريحا فى ١٩٦٥/٣/٣ ولقى بسببها هجوما شديدا فى العالم العربى ، وتقوم مقترحاته على الالتزام فى حل القضية الفلسطينية بالشرعية الدولية وفقا لقرار التقسيم ، وهذا ينسجم مع الموقف العربى الفلسطينى اللاحق كما ينسجم مع الوضعية القانونية الجديدة التى أشرنا اليها ٠

ولا يمكن اعتبار مشروع المملكة العربية المتحدة الذى اقترحه الأردن للاتحاد مع فلسطين مشروعا للتسوية بقدر اعتباره مشروعا

وحدويا بين الأردن والضفة وأية أراض فلسطينية أخرى يتم تحريرها ويرغب أهلها فى الانضمام اليه (١٥) ٠

ومن ناحية أخرى فان مشروع الملك فهد الذى قدمته السعودية للجامعة العربية فى ١٩٨١/١١/٢١ (١٦) قد طالب بالانسحاب الاسرائيلى من كافة الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية ، وازالة المستوطنات وتأكيد حق الشعب الفلسطينى فى العودة أو التعويض وتأكيد حق دول المنطقة فى العيش بسلام وضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان بالأماكن المقدسة ، وهذه كلها تنسجم مع مبادىء التسوية فى القرار ٢٤٢ ٠ ولكن المبادرة السعودية تضمنت اقتراح خضوع الضفة وغزة لفترة انتقالية لاشراف الأمم المتحدة لمدة لا تزيد عن بضعة أشهر وضمان تنفيذ هذه المبادىء من جانب الأمم المتحدة أو بعض الأعضاء فيها، وهذا لا يناقض القرار ٢٤٢ ٠ أما اقتراح قيام دولة فلسطينية مستقلة بعاصمتها القدس ، فهو ينسجم مع قرار التقسيم عدا جزئية القدس التى حجزها القرار لتكون عاصمة الدولة الاتحادية اليهودية العربية ٠

وينصرف التحليل السابق على خطة فاس العربية لعام ١٩٨٢ التى حددت دورا معينا لمجلس الأمن وهو ان يضع ضمانات السلام مع جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة ، وأن يقوم بضمان تنفيذ تلك المبادىء (١٧) ٠

وأما الاتفاق الأردنى الفلسطينى فى ١٩٨٥/٢/١١ فقد استهدف تنسيق العمل بين الجانبين على أساس الأرض مقابل السلام طبقا لقرارات الأمم المتحدة ، واقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى، وحل مشكلة اللاجئين وفق قرارات الأمم المتحدة ، وحل القضية الفلسطينية بجميع جوانبها ، على ان تجرى مفاوضات السلام فى

ظل مؤتمر دولى تحضره الدول الخمس الدائمة العضوية بالمجلس وسائر أطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير **ضمن وفد اردنى فلسطينى مشترك** ٠

أما المرجعية القانونية لبنود الاتفاق الذى يعد مشروعا متكاملا للسلام فهى قرارات الجمعية والمجلس حول القضية الفلسطينية ٠

وأما المبادرات المصرية فلم تتوقف خلال عهد الرئيس السادات وشملت مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ بوقف اطلاق النار فى حرب الاستنزاف لمدة شهر لاتاحة الفرصة لجهود السلام الدولية ، وقيام اسرائيل بسحب جزئى لقواتها من سيناء تتيح لمصر فتح القناة للملاحة الدولية ضمن جدول زمنى لتنفيذ بقية بنود القرار ٢٤٢ ٠

ثم كانت المبادرة المصرية خلال حرب أكتوبر التى أبدت فيها مصر استعدادها للالتزام بقرارات الجمعية والمجلس ، وانسحاب اسرائيل الكامل تحت اشراف دولى ثم حضور مؤتمر دولى للسلام فى الأمم المتحدة ، يضم ممثلى الشعب الفلسطينى لوضع ضوابط السلام فى المنطقة ، ثم تطهير القناة وفتحها للملاحة الدولية ٠ أما مبادرة السادات فى الكينيست الاسرائيلى نوفمبر ١٩٧٧ (١٨) ، فقد تضمنت خمسة مبادىء هى الانسحاب والاعتراف بحقوق الفلسطينيين بما فى ذلك حق تقرير المصير واقامة دولتهم ، وحق جميع دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ضمن اجراءات يتفق عليها بما فيها تأمين الحدود الدولية والضمانات الدولية المناسبة ، والتزام دول المنطقة بادارة علاقاتها وفق مبادىء وأهداف الميثاق خاصة نبذ استخدام القوة وحل الخلافات سلميا وانهاء حالة الحرب ٠ وهذه المبادىء الخمسة تتمشى مع قرار التقسيم والقرار ٢٤٢ وأحكام الميثاق ٠

ثالثا : المبادرات الأمريكية :

برز الدور الأمريكى المؤيد لاسرائيل منذ بدايات الصراع ، ولذلك هدفت المبادرات الأمريكية الى العمل فى اطار هدفين بارزين هما تأكيد مصالح وأمن ومواقف اسرائيل ، ومناهضة موسكو حيث تطور الدور الأمريكى من دور منافس الى ان صار دورا منفردا فى النهاية .

وقد قدمت الولايات المتحدة خمس مبادرات هى مبادرة روجرز، ومبادرة فانس التى مهدت الطريق الى كامب دافيد والسلام ، ومبادرة ريجان ، ثم مبادرة شولتز وأخيرا مبادرة بوش ١٩٩١ .

كانت خطة روجرز تهدف الى البحث عن موطىء قدم للولايات المتحدة فى جهود التسوية بعد أن قدرت ان هزيمة ١٩٦٧ قد عمقت الاعتماد العربى على موسكو والعداء للولايات المتحدة أما كامب دافيد والسلام فهى خاتمة نجاح هذه البداية الأمريكية التى انتهت الى انفراد واشنطن بالتسوية بعد ان كانت تحاول مزاحمة موسكو فى نطاق التسوية وقد اسهمت مصر بدور ملحوظ فى تمكين واشنطن من ابعاد موسكو مما انعكس على الخلافات المصرية السورية والعربية عموما وجلب لمصر بدايات العداء مع ايران . وسوف يلحظ الدارسون ان هذه السياسة المصرية قد اسهمت فى انهيار الاتحاد السوفيتى اذ جعلت المواجهة الأمريكية السوفيتية فى المنطقة باهظة التكاليف بالنسبة لموسكو .

والحق ان المبادرات الأمريكية السابقة على عام ١٩٧٣ كانت تمثل محاولة أمريكية حثيثة لهزيمة موسكو ومناهضتها فى المنطقة ، أما المبادرات اللاحقة لعام ١٩٧٣ فكانت فى البداية تبرعا أمريكيا لجمع العرب جميعا حول واشنطن وصرفها عن موسكو ثم صارت هبة وتكرما على العرب ، وهو الأمر الذى ظهر فى اتجاهات هذه

المبادرات . حتى كانت مبادرة بوش فى مارس ١٩٩١ وهى أساس عملية السلام الحالية .

ونلاحظ على هذه المبادرات بوجه عام ما يلى :

١ ـ تستند المبادرات الأمريكية فى تسوية الصراع العربى الاسرائيلى الى أساس قانونى واحد وهو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وترجمته العملية هى مبادلة الأرض بالسلام، ولكن مبادرة ريجان كانت المناسبة الأولى التى نصت على هذه النتيجة اذ قال (اننا نبنى موقفنا فى صورة متوازنة على مبدأ ان النزاع العربى ـ الاسرائيلى يجب ان يحل بمفاوضات تنطوى على مبادلة الأرض بالسلام ، وهذه المبادلة منصوص عليها فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .. وانه فى مقابل احلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب فى القرار رقم ٢٤٢ على كل الجبهات بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غـزة .

٢ ـ وفيما عدا الصيغة العامة للأرض مقابل السلام ، ابتعدت المبادرات الأمريكية بدرجات متفاوتة عن عناصر الصراع الأخرى التى تأكدت بوضوح فى قرارات الأمم المتحدة خاصة بالنسبة للدولة الفلسـطينية ووضـع القدس ومصير وضع الضفة وغزة ، وقضـية المستوطنات والأهلية الفلسطينية للمشاركة فى المفاوضات والاطار العام للمفاوضات .

٣ ـ يعد مشروع النقاط العشر أو مشروع روجرز المقدم لمصر فى ١٩٦٩/١٢/٩ هو الأساس لاتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية عدا ما ورد فى المشروع بشأن مستقبل قطاع غزة حيث نص المشروع على (انهاء قضية غزة بصورة نهائية) دون تحديد . ومعلوم ان القضية الفلسطينية فى مشروع روجرز المقدم لمصر قد أغفلت تقريبا اذ أشير اليها فى النقطة السابعة على أنها قضية اللاجئين .

٤ ـ كان الموقف الأمريكي ولا يزال بالنسبة للقدس متفقا مع قرار التقسيم وهو ان القدس وحدة واحدة ليست قابلة للتجزئة ، ان الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يشمل القدس أيضا (القدس الشرقية) غير ان المفاوضات هي التي تحدد الوضع القانوني للقدس وهذه النقطة لا تتعارض مع قرار التقسيم الذي تصور للقدس وضعا دوليا خاصا الى ان تصبح عاصمة الدولة العربية اليهودية الفيدرالية وآخر المواقف الأمريكية في هذا الشـأن هو مقترحات وزير الخارجية الأمريكي الستة خلال جولته في المنطقة في أوائل مارس ١٩٩٣ (١٩) وان كان البرنامج السياسي للرئيس كلنتون قد أكد على ان القدس الموحدة عاصمة أبدية لاسرائيل (٢٠) ٠

٥ ـ استبعدت المشروعات الأمريكية ضمنا (٢١) ، ثم صراحة (٢٢) ، امكانية قيام دولة فلسطينية ، بينما اقرت بحق الحكم الذاتي للفلسطينيين ، دون ان تتصور بشكل واضح الوضع القانوني النهائي للأراضي الفلسطينية ٠ وهذا الموقف الأمريكي يتنافى مع قرار التقسيم الذي اقترحته بريطانيا وعملت واشنطن على اقراره وتطبيقه ٠

٦ ـ تضمنت المشروعات الأمريكية تأكيدا ثابتا بضمان أمن اسرائيل وكان أوضح هذه التعهدات في صلب المشروعات الأمريكية ما ذكره الرئيس ريجان (ليعلم الجميع ان الولايات المتحدة سوف تعارض أي اقتراح من أي طرف وفي أي مرحلة من مراحل عملية التفاوض من شأنه ان يهدد أمن اسرائيل ، فالتزام أمريكا بأمن اسرائيل التزام راسخ ، كذلك التزامي أنا) (٢٣) ٠ وأما أحدث هذه التعهدات فهو ما أكده الرئيس كلنتون وادارته وهو ضمان أمن اسرائيل وضمان تفوقها العسكري (٢٤) ٠

٧ ـ هناك اعتراف أمريكى واضح فى جميع المشروعات بأن الأراضى الفلسطينية أراض محتلة · ويترتب على ذلك ان اسرائيل هى مجرد سلطة احتلال وان اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على الأراضى وسكانها وقد اعترفت واشنطن ببعض الآثار المترتبة على الوضع القانونى للأراضى الفلسطينية دون بعضها الآخر وأهم هذه المواقف هو ادانة سياسة الابعاد وانتهاكات حقوق الانسان ووقف المستوطنات وعدم تصور استمرار الاحتلال الاسرائيلى · وهذه المواقف تستند الى قرارات الأمم المتحدة التى ايدتها واشنطن وأهمها قرار التقسيم وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٧٩٩ والأخير خاص بضرورة اعادة اسرائيل للمبعدين الفلسطينيين ·

رابعا : المبادرات السوفيتية :

قدمت موسكو قبل انهيار الاتحاد السوفيتى مبادرتين بالاضافة الى الموافقة السوفيتية على مبادرة بوش عام ١٩٩١ وموافقتها على مشاركة واشنطن فى رعاية مؤتمر مدريد للسلام · ففى ١٩٨٢/٩/١٦ أعلن الرئيس السوفيتى بريجنيف مبادرة أكدت على الانسحاب الاسرائيلى الكامل من الأراضى العربية المحتلة بما فى ذلك القدس الشرقية واقامة دولة فلسطينية مستقلة مقابل انهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل والاحترام المتبادل لأمن واستقلال وسيادة ووجود جميع دول المنطقة وفق ضمانات دولية تحت اشراف مجلس الأمن أو أعضائه الدائمين وتتم التسوية عن طريق مؤتمر دولى ·

وينسجم الاقتراح السوفيتى مع قرارات الأمم المتحدة كما يتطابق مع الموقف العربى ·

وفى ١٩٨٤/٧/٢٨ قدم الاتحاد السوفييتى مشروعا جديدا للتسوية اضاف الى نقاط مشروعه السابق تفصيلا يتعلق بأهداف

المؤتمر الدولى وتنظيمه والمشاركين فيه والتأكيد على اقامة حدود دائمة بين اسرائيل والدول العربية وعلى حق الفلسطينيين فى دولة مستقلة تحدد علاقاتها مع غيرها بشكل حر ، وحق اللاجئين فى العودة أو التعويض .

ويتكامل المشروعان السوفيتيان فى التأكيد على المبادىء الخاصة بالتسوية فى قرارات الأمم المتحدة بشأن الدولة الفلسطينية والانسحاب الاسرائيلى ، والعلاقات السلمية ، واطار التسوية وغيرها من النقاط التفصيلية فى المشروعين (٢٥) .

خامسا : المبادرات الأوروبية :

هناك أربع مبادرات أوروبية (٢٦) هى البيان الثلاثى الأمريكى البريطانى الفرنسى فى ١٩٥٠/٣/٢٩ الذى أكد على ضمان هذه الدول لاحترام خطوط الهدنة ولم يقدم أفكارا للتسوية الشاملة . أما مشروع السلام الرومانى الذى قدم منذ أوائل السبعينات فقد أكد على صيغة المؤتمر الدولى والدولة الفلسطينية والانسحاب الاسرائيلى الكامل مقابل حل مشكلة القدس وضمان أمن اسرائيل .

وأما بيان البندقية فى١٩٨٠/٦/١٣الذى أصدرته دول المجموعة الأوروبية فقد استند صراحة الى قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٩ والمواقف السابقة للمجموعة مؤكدا على حق جميع دول المنطقة بما فى ذلك اسرائيل فى الوجود والأمن ، والعدل الشامل لكل الشعوب والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وان يضمن مجلس الأمن الحل السلمى واشتراك منظمة التحرير فى المفاوضات والا تحل قضية القدس من طرف واحد وحظر المستوطنات وانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية .

ولا شك ان بيان البندقية يتمشى مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بل انه دفع شبهة تجاهل القرار لحقوق الفلسطينيين فى تقرير المصير فأكد صراحة على هذه الحقوق · ولما كانت المبادىء الواردة فى البيان تتطلب مشاورات مع كل الأطراف لبلورة مبادرة نهائية ، فقد أكدت على عدم المساس بقضية القدس من طرف واحد وتقصد اسرائيل التى أعلنتها من طرف واحد عاصمة دائمة وأبدية لها ·

غير ان المبادرة الأوروبية لم تشر الى موضوع الدولة الفلسطينية وان أكدت حق الشعب الفلسطينى (فى وجوده كشعب له مكانة تخوله ممارسة حقه كاملا فى تقرير المصير بطريقة ملائمة تضبط فى اطار الحل السلمى الشامل) ·

وتجدر الاشارة الى ان هذه المبادرة وان قصرت عن الوفاء بكل متطلبات الشرعية الدولية فى القضية فانها اعتبرت حينذاك موقفا مناهضا للتسوية المصرية الاسرائيلية على أساس المبادرات الأمريكية (٢٧) ·

وقد صدر بيان بروكسل فى ١٩٨٣/٣/٢٢ مؤكدا على الموقف السابق ، ومؤيدا التسوية على أساس خطة ريجان أما قمة فاس ١٩٨١ فهى تمثل (ارادة سلمية) ، وحث اسرائيل على اظهار استعدادها للسلام بقبول قرارى المجلس ووقف بناء وتوسيع المستوطنات ·

وقد أظهرت المجموعة الأوروبية اهتمامها بالقضية أو ببعض جوانبها فى مختلف مراحل الصراع ، كما ان بعض الدول العربية اتخذت مواقف وحاولت ان تلعب أدوارا أكبر ، ومثال ذلك فرنسا التى قدمت مع مصر فى ١٩٨٢/٧/٢ مشروعا مشتركا لمجلس الأمن لتسوية المشكلة اللبنانية والصراع العربى الاسرائيلى · كما عنيت المجموعة بقضية المبعدين وسياسة الابعاد الفلسطينية وأيدت الأمم المتحدة فى ذلك ·

سادسا : المبادرات الاسرائيلية :

أعلنت اسرائيل ما لا يقل عن عشرة مشروعات للسلام آخرها موقف حكومة العمل حول مختلف جوانب الصراع العربى الاسرائيلى ٠

والملاحظ ان اسرائيل قد أكدت منذ بدايات مشروعات السلام الاسرائيلية ، وهو مشروع شاريت بعد قيام اسرائيل بقليل ، على رفضها للتفاوض على أساس قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ ٠ وأوضح مشروع شاريت رغبة اسرائيل فى الحصول على حقوق العبور التجارى المتبادلة بينها وبين الدول العربية ، واستعداد اسرائيل لتعويض اللاجئين من قرض أمريكى لاسكانهم خارج اسرائيل (٢٨) ٠

وهذا الموقف الاسرائيلى المبدئى يخالف قرار التقسيم وقرار التعويض رقم ١٩٤ لسنة ١٩٤٩ أما مشروع آلون الذى قدمه عقب حرب ١٩٦٧ (٢٩) ، فقد كان أول من تصور حلا يقوم على الحكم الذاتى المرتبط باسرائيل ، وحل مشكلة اللاجئين حلا اقليميا ودوليا كما يحدث الآن فى مؤتمر مدريد ، وتهويد المناطق الفلسطينية عن طريق انشاء كل أنواع المستوطنات ٠ واقترح المشروع ضم غزة الى اسرائيل ٠

وأكد آلون انه أسرع بهذا المشروع حتى يحسم التردد الاسرائيلى حول مستقبل المناطق المحتلة وحتى لا تقرر واشنطن لاسرائيل ما سوف تفعله ٠

ويتضح من مشروع آلون انه طرح بدائل لمصير الأراضى المحتلة ، وكان أحدها اعادة الضفة للأردن دون القدس الشرقية ، حيث أكد آلون ان اسرائيل لن تتنازل عن (القدس الموحدة عاصمة اسرائيل الخالدة) أما قرار التقسيم فقد أوضح مشروع آلون أن

(غزو الجيوش العربية لأرض اسرائيل عام ١٩٤٨ ونتائج حرب التحرير ، قضت قضاء مبرما على الحدود التى أوصى بها مشروع التقسيم الذى أقرته الجمعية العامة عام ١٩٤٧ ، كما ان حربين أخريين خصوصا الأخيرة (١٩٦٧) لم تقطعا دابر مشروع التقسيم وحدوده وحسب ، وانما أيضا اتفاقيات الهدنة (٣٠) ، ومضى آلون يشرح فهمه لقرار التقسيم قائلا : ان المشروع لم يتضمن فى أساسه اقامة جناحين يهودى وعربى فقط ، وانما أوصى أيضا باطار اقتصادى مشترك بينهما ، وارتباط الضفة الغربية بالأردن ليس وليد مشروع التقسيم ، وانما كان مخالفا لقرار الأمم المتحدة ، لأنه ناجم عن ضم عسكرى بالقوة ، وعن اعتراف اسرائيل بهذا الوضع عن طريق توقيع اسرائيل على اتفاقية الهدنة مع الأردن ، ثم حررت اسرائيل هذه المنطقة فى حرب دفاعية ضد العدوان الأردنى ، فقضى على اتفاقية الهدنة وعلى الأساس القانونى لوجودها فى تلك المنطقة وخلص آلون بأن مشروعه المقترح يتمشى مع الفكرة التى يقوم عليها قرار التقسيم .

والطريف ان ما اقترحه آلون بالنسبة لسيناء وشرم الشيخ والمرور فى المضايق قد تحقق فى اتفاقية السلام مع مصر يقول آلون: (مهما كان الحل الاقليمى فى شبه جزيرة سيناء ، فهذه المرة يجب أن نضمن ، ضمن اطار معاهدة سلام ، التجريد المراقب الفعال لشبه جزيرة سيناء من السلاح ، حتى لا تستطيع مصر شن هجوم مفاجىء على اسرائيل ينطوى على أية احتمالات للنجاح) (٣١) .

أما مشروع أبا ايبان (٣٢) ، فقد حدد النقاط الأساسية التى تتضمنها معاهدات السلام بين العرب واسرائيل أهمها حرية الملاحة لجميع الدول وحل مشكلة اللاجئين عن طريق مؤتمر يضم كل دول الشرق الأوسط ، وضمان وضع خاص للأماكن المقدسة غير

اليهودية فى القدس ، دون التطرق لموضوع القدس ، والاعتراف المتبادل بين الجانبين بالسيادة ، بحيث تضع اتفاقية السلام حدودا دائمة وآمنة ومعترفا بها وتنظيمات للقوات ، وذلك بدل خطوط وقف اطلاق النار · أى تثبيت هذه الخطوط التى تنطوى على احتلال اسرائيل للأراضى العربية ·

أما برنامج حكومة العمال المؤتلف مع الليكود فقد عمد الى بيان خطوات دعم اسرائيل لتحقق هدفها المركزى وهو جمع شتات الشعب اليهودى فى وطنه ، وتشجيع الهجرة اليهودية واستعادة العلاقات مع موسكو والدول الأخرى التى قطعتها ، وتعزيز قدرات الجيش اسرائيلى ·

وأكد البرنامج على استمرار مسيرة السلام مع مصر وفقا لاطار السلام فى الشرق الأوسط المبرم فى كامب دافيد ، ولكن اسرائيل التى تؤيد الحكم الذاتى الكامل وفقا لكامب دافيد تعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة (**فى المنطقة بين الأردن واسرائيل**) ، وترفض التفاوض مع منظمة التحرير· **أما وضع السيادة على الضفة وغزة فهى لا تخضع لاية سيادة اسرائيلية أو غيرها** ·

ويمكن القول ان برنامج حكومة شامير ومقترحاته لا تخرج عن هذه الخطوط الأساسية وهى التى حددت المواقف الأساسية التى انعقد على أساسها مؤتمر مدريد ، فأغفلت مقترحات شامير مثل برنامج الحكومة الائتلافية فكرة الانسحاب ومبدأ الأرض مقابل السلام بشكل عام ، وقد فصل شامير موقف اسرائيل من مختلف قضايا الصراع خلال كلمته فى مؤتمر مدريد فيما يمكن ايجازه فيما يلى :

١ ـ بالنسبة لقرار التقسيم لم ينكر شامير انه يمثل الشرعية الدولية التى قامت فى ظلها اسرائيل والتى تحداها العرب ، برفض

القرار ومهاجمة اسرائيل) فكان الهجوم العربى وطرق قرار الأمم المتحدة لتقسيم البلاد (وكان معناه انه قد ألغى عمليا ان الأمم المتحدة لم تخلق اسرائيل ، لقد قامت الدولة اليهودية وتكونت ، لأن الطائفة اليهودية ٠٠ تحت الانتداب ٠٠ ثارت على الحكم الأجنبى الامبريالى) ، ومن بداية الصهيونية ومعنا اقتراحات وبرامج للسلام لا حصر لها ولا عدد ولكنها رفضت جميعا) ، وان الجهود الأمريكية التى أثمرت مؤتمر مدريد هى استمرار لمشروع السلام الاسرائيلى لعام ١٩٨٩ (برنامج الحكومة الائتلافية) ٠

٢ ـ أسلوب تحقيق السلام الذى انتصر فى النهاية هو المحادثات المباشرة الثنائية مقابل الرفض والحصار العربيين ، وموافقة العرب على هذا الأسلوب تعنى **الاعتراف المتبادل** ٠

٣ ـ بالنسبة لقضية الأرض انكر شامير ان القضية هى وجود اسرائيل بأربعة ملايين مقابل ١٧٠ مليون عربى ، على أرض مساحتها ١٤ مليون كيلومتر مربع مقابل ٢٨ ألف كيلومتر مربع لاسرائيل ، فالمطلوب ليس الحديث عن الأرض وانما عن بناء الثقة ٠

٤ ـ ان صيغة السلام المطروحة هى السلام مقابل السلام وليس الأرض مقابل السلام ٠ ولم يذكر شامير شيئا عن متطلبات قرارى مجلس الأمن ، ولم يعلن استعداده لتقديم أى تنازل ٠

ولسنا بحاجة الى التدليل على ان الموقف الاسرائيلى وكافة المبادرات الاسرائيلية والتصرفات الاسرائيلية منافية للشرعية الدولية فى أوسع معانيها بدءا بقرارات الأمم المتحدة ، وأحكام الميثاق ، وأحكام القانون الدولى بأقسامه المختلفة ٠

سابعا : ـ مشروعات العالم الثالث ـ :

حاولت لجنة الحكماء العشرة الأفارقة بدورها السعى لتسوية الصراع فقدمت مشروعا (٣٣) فى نوفمبر ١٩٧١ لتحريك اجراءات تنفيذ القرار ٢٤٢ ومهمة يارنج وتضمن المشروع التفاوض تحت اشراف يارنج لتنفيذ القرار « ٢٤٢ » ، والاتفاق مؤقتا لفتح القناة ووضع قوات دولية على ضفتى القناة وابرام اتفاقية سلام تكفل الانسحاب ورسم حدود آمنة ومعترف بها وحرية الملاحة وضمان الأمم المتحدة لترتيبات الأمن وبينها نزع سلاح بعض المناطق وتواجد قوات دولية بما فى ذلك شرم الشيخ ٠ وقد ركز المشروع الافريقى بوضوح على المشكلة بين مصر واسرائيل حين لم يكن الأفارقة قد أدركوا أنهم طرف متضامن مع مصر الافريقية ، لذلك رفضت مصر والدول العربية المشروع ٠ ويلاحظ ان هذا المشروع ينسجم فى مجال الانسحاب والضمانات والسلام الاتفاقى مع القرار ٢٤٢ ولكنه أغفل المشكلة الفلسطينية ٠٠ والطريف ان أفكار هذا المشروع هى صلب اتفاقية السلام ٠ وواضح ان مصر رفضت المشروع رغم اتفاقه مع المبادرات المصرية فى الكثير من النقاط لأنه أغفل القضية الأصلية وتصور تكريس الاحتلال لسيناء لحين ابرام اتفاقية سلام ٠

ثامنا : ـ المشروعات الفردية والخاصة ـ :

ظهرت مشروعات فردية كثيرة (٣٤) لتسوية الصراع بعضها عربى والآخر أجنبى ومثلها مشروع اللورد كارادون ومشروع معهد بروكنجز للسلام ومشروع لجنة الخدمات للأصدقاء الأمريكان ومشروعى موسى العلمى ووليد الخالدى ٠

ويكتسب مشروع اللورد كارادون أهمية خاصة لأنه صاحب صيغة القرار ٢٤٢ ولأن المشروع مفصل ومنطقى ويعكس الادراك الصحيح لأبعاد الصراع ٠

فقد حدد المشروع عددا من الموضوعات الأساسية لمعالجتها وهى الحدود الآمنة والمعترف بها التى ترك للأطراف تحديدها ، ومشكلة اللاجئين التى تصور حلها وفق القرار ١٩٤ أما مشكلة القدس فان حلها فى المشروع ينسجم مع المعطيات القانونية والواقعية فتدويل القدس لم يعد ممكنا ، على ان تظل وحدة آمنة وحرة ومضمونة للجميع مع ادارة مدنية عربية ويهودية لشطرى المدينة وهذا أقرب ما يكون للواقع ولقرار التقسيم ٠

وأكد مشروع كارادون على الأهميـــة المركزية للقرار ٢٤٢ ، والتسوية من خلال الوسيط المحايد وفى اطار مؤتمر دولى ٠

ولا يختلف مشروع لجنة الخدمات للأصدقاء الأمريكان لعام ١٩٧٠ عن مشروع كارادون سوى فى تفاصيل بعض النقاط ، وفى تصوره وضع الأراضى المحتلة تحت ادارة دولية مؤقتة ٠ وعالج هذا المشروع ما أغفله مشروع كارادون حول حق الفلسطينيين فى تقرير مصـــيرهم باشراف الأمم المتحدة ٠ وحيث اقترح المشروع الأمريكى مساندة اقتصادية ومالية لعملية التسوية ٠

وأما مشروع معهد بروكنجز للسلام فى ديسمبر ١٩٧٥ والذى كان أساسيا فكريا للمشروعات الرسمية الأمريكية خلال حكم كارتر ، فقد أكد على عدد من الحلول الجيدة لمسائل الصراع ، واللازمة لاية تسوية عادلة ودائمة وهى الأمن للجميع بضمانات ، والتدرج فى الانسحاب وانشاء العلاقات السلمية ، والانسحاب الى حدود يونيو ١٩٦٧ مع تعديلات مقبولة من الطرفين واجراءات لحماية الحـــدود تحت اشراف الأمم المتحدة ، وتصور قيام دولة فلسطينية ، أو الاتحاد الكونفيدرالى مع الأردن وحل مشكلة القدس على أساس حرية النقل والوصول الى جميع الأماكن المقدسة وقيام أمريكا والأمم المتحـــدة بدور هام لمساندة اتفاقات السلام وضمانها ٠

وقدم موسى العلمى (٣٥) مشروعا يقوم على قرارى التقسيم واللاجئين مع تقسيم القدس الى عربية ويهودية كما كان الحال قبل ١٩٦٧ وقد قدم المشروع شرحا وافيا لتطورات الموقف العربى وقدم مبررات كافية لقبول قرار التقسيم بعد سبق رفضه فى حينه ٠

وفي يوليو ١٩٧٨ وقبيل توقيع اتفاقيتى كامب دافيد بأسابيع نشر وليد خالدى مقالا فى مجلة الشئون الخارجية يتضمن اقتراحا بعنوان « التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه : دولة فلسطينية ذات سيادة طالب فيه بانشاء دولة فلسطينية بحدود ١٩٦٧ فى سلام متبادل مع اسرائيل وتكون محايدة فى الشئون الخارجية والدفاع بضمان مجلس الأمن دون نزع سلاحها ، مثل حياد النمسا ٠ وتكون القدس الشرقية عاصمتها ٠ وحل مشكلة اللاجئين بموجب القرار ١٩٤ » ٠

تاسعا : الاطار القانونى :

مؤتمر مدريد للسلام

عقد مؤتمر السلام بعد مساع أمريكية حثيثة أساسها مبادرة الرئيس بوش أمام الكونجرس فى ٦ مارس ١٩٩١ التى تعهد فيها بحل الصراع العربى الإسرائيلى وفق قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ بالنسبة للبنان حلا شاملا وعادلا ونهائيا ٠

وقد تفرع المؤتمر الى لجان ثنائية بين اسرائيل والأطراف العربية الأربعة ، والى لجان متعددة الأطراف لقضايا التعاون الاقليمى ٠

وقد روعى فى تنظيم المؤتمر واجراءاته الكثير من رغبات الطرفين وعلى أساس خطابات الضمان التى قدمتها واشنطن لأطراف الصراع ٠

ومن الواضح ان الأساس القانونى لعقد المؤتمر هو القرار ٣٣٨ الذى نص على اجزاء مفاوضات تحت اشراف مناسب « لاقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط . ولم يحدد القرار هذا الشكل المناسب من الاشراف ، ولذلك انعقد مؤتمر جنيف ١٩٧٥ ومؤتمر مدريد فى هذا النطاق وهذا لا يستبعد عقد مؤتمر دولى موسع لذلك الغرض . وينعقد مؤتمر مدريد تحت الرعاية المشتركة الأمريكية المصرية .

أما المرجع القانونى للمفاوضات حول موضوعات المؤتمر فيمكن تلخيص المواقف بشأنها على النحو التالى :

١ ـ الموقف الاسرائيلى :

(أ) أوضح شامير فى افتتاح المؤتمر ان اسرائيل هى الشعب الوحيد فى العالم « الذى عادت له سيادة مستقلة من الماضى بعاصمته أورشليم » .

(ب) ان الأساس القانونى المتين لمنطق الحق التاريخى اليهودي هو نظام الانتداب وقرار التقسيم ولكن انتهاك العرب للقرار أسقط شرعيته بعد ذلك (أى بعد قيام اسرائيل) .

(جـ) ان اسرائيل لن تنسحب لانها لم تحتل أرضا أجنبية بل صدت هجوما عربيا لابادة اسرائيل .

(د) الأسلوب الأمثل هو المفاوضات المباشرة الثنائية والمتعددة لاقرار السلام على هذا الأساس ، وهو فى الأصل مبادرة اسرائيلية قدمت عام ١٩٨٩ بلورتها جهود أمريكية وتقوم على تطوير علاقات التعاون المستقبلية دون النظر الى الماضى .

(هـ) الهدف من المفاوضات هو ابرام اتفاقيات السلام والاتفاق على ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى وهذا الموقف الاسرائيلى يغفل

تماما اطار الشرعية الدولية الحالى والذى يتكون من قرار التقسيم ، وقرار اللاجئين وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ وغيرها القرارات المشددة على الحقوق العربية ورفض التصرفات الاسرائيلية فى القدس والأراضى العربية والفلسطينية المحتلة ٠

٢ ـ الموقف العربى :

يقوم على أساس القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة السالف الاشارة اليها بالنسبة للانسحاب والأراضى (قرارات المجلس ٤٧٦ ، ٤٩٧ خاصا بالقدس والجولان) واسترداد الأراضى (أى الأرض مقابل السلام) وحق تقرير المصير للفلسطينيين وليس مجرد الحكم الذاتى وحماية الأراضى والسكان الفلسطينيين لحين انسحاب اسرائيل وتطبيق الحماية القانونية المقررة لهم فى اتفاقية جنيف الرابعة ، ضد الابعاد والمصادرة وملاحقة الآمنين وانكار العدالة وقد أكدت الوفود العربية بوضوح انها تسعى الى تحقيق التسوية العادلة على أساس القانون والشرعية الدولية على النحو السالف ايضاحه وعلقت على الموافقة الاسرائيلية ٠

وتولت الوفود العربية تأكيد أسس الشرعية الدولية بالتفصيل فقد أشار الوفد السورى مثلا الى التناقض بين رفض اسرائيل للقرار ١٩٤ بحجة ضيق المساحة بينما تسعى الى استقدام اليهود المهاجرين اليها ٠

وأكدت بعض الوفود العربية ان المحادثات المتعددة الأطراف ليس لها سند فى القرار ٢٤٢ وهى مطلب أساسى لاسرائيل ودعت الا تبدأ الا بعد تحقيق تقدم حقيقى فى المحادثات الثنائية ٠

وأكد لبنان أنه متضامن مع الأطراف العربية فى تنفيذ القرار ٢٤٢ ولكنه **معنى بالقرار ٤٢٥ المستند الى حدود ١٩٤٩ والمثبت الصلة بالقرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠**

وطبيعى ان يجعل الوفد الفلسطينى مطلبه الأساسى اقامة دولة فلسطينية وهى الدولة المفقودة فى الشرق الأوسط على حد تعبيره ٠

واذا كانت الوفود الأمريكية والجماعة الأوروبية قد أكدت على أن أساس عمل المؤتمر هو القرار ٢٤٢ ، ٣٣٨ وان المحادثات المتعددة الأطراف تكمل المحادثات الثنائية وتعززها فان الوفد السوفيتى برئاسة جورباتشوف والذى كان يعكس الأيام الأخيرة فى حياة الامبراطورية السوفيتية المحتضرة ، لم يحدد موقفا معينا وان فهم انه يوافق على موقف شريكه الأمريكى ٠

النتائج والخلاصة :

نخلص من دراسة الاطار القانونى لمشروعات تسوية الصراع العربى الاسرائيلى الى ما يلى :

١ ـ تنقسم مشروعات تسوية الصراع العربى الاسرائيلى من زاوية مراعاتها للقانون الدولى وقواعده واقترابها أو ابتعادها عنه الى مجموعتين كبيرتين :

المجموعة الأولى :

تشمل الأمم المتحدة والمشروعات العربية السوفيتية والأمريكية وبعض المشروعات الأوروبية والفردية وهذه تقوم بشكل عام على مبادىء الشرعية الدولية التى تضم قرارات الجمعية والمجلس منذ عام ١٩٤٧ وحتى الآن ومبادىء القانون الدولى خاصة فى جانبها الانسانى ٠

المجموعة الثانية :

وتضم المشروعات والمواقف الاسرائيلية التى تصر على انكار كافة مبادىء الشرعية الدولية منذ ١٩٤٧ رغم ان اسرائيل استفادت

من هذه الشرعية في قيامها واستمرارها وانضمت الى الأمم المتحدة بقرار الجمعية العامة رقم ١٧٣ لعام ١٩٤٩ بشروط كثيرة أولها وأهمها الالتزام بالميثاق وقرارات المنظمة الدولية خاصة تلك المتعلقة بالنزاع العربى الاسرائيلى ·

٢ ـ أهم مشروعات التسوية منذ عام ١٩٦٩ هى المشروعات الأمريكية والسبب واضح وهو اعتقاد العالم العربى ان لواشنطن سطوه لدى اسرائيل تجعلها قادرة على الضغط عليها · ولذلك لوحظ ان المشروعات الأمريكية قد أخذت فى اعتبارها أولا ان هدفها متغير وتراوح من مزاحمة موسكو فى البداية الى الانفراد بالتسوية فى النهاية وهذا ما تصوره البداية فى مشروع روجرز ١٩٦٩ والنهاية فى خطة بوش وخطابه أمام مؤتمر مدريد ١٩٩١ ووضعت فى اعتبارها ثانيا تداعى القدرة السوفيتية على الصمود والسيطرة والمساندة للموقف العربى وتدنى القدرة العربية الشاملة سياسيا وعسكريا ، ثم وضعت فى اعتبارها أخيرا العلاقات الأمريكية الاسرائيلية المعقدة التى تسهم بلا جدال فى صناعة الموقف الأمريكى فى الشرق الأوسط ·

٣ ـ يتسلح العرب بالشرعية الدولية التى تضم قرارات الأمم المتحدة والتى حرصنا على تحقيق الانسجام بين بعضها دون القعود عن تقديم السند القانونى اللازم للمواقف السياسية المتغيرة من حيث ان السياسة السليمة هى فن الممكن والجهد القانونى السليم وهو الذى يستهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من الحق السليب · أما اسرائيل فقد أغفلت كافة جوانب الشرعية وتذرعت بالصداقة المثبتة مع واشنطن ، والدعاوى التاريخية والدينية البالية ·

٤ ـ اذا أخذنا فى اعتبارنا المقارنة بين المشروعات السياسية ورصد المواقف ازاء جوانب الصراع فى الأمم المتحدة لاتضح بعض

الارتباك فى الموقف الأمريكى وسبب هذا الارتباك هو حرص الولايات المتحدة على الوفاء بمتطلبات العلاقة الخاصة مع اسرائيل وارضاء بقية الأطراف فى الصراع بما يحقق سلاما مستقرا فى المنطقة ·

٥ ـ مادام الموقف الاسرائيلى الثابت منذ عام ١٩٥٠ حتى الآن كما عكست المشروعات والمقترحات الاسرائيلية هو الاغفال التام للشرعية الدولية اعتمادا على المساندة الأمريكية فان الموقف العربى يجب ان يزداد تمسكا بالشرعية الدولية والا يمل من اظهار الجوانب القانونية ومحاولة اقناع قوى السلام فى الولايات المتحدة والعالم · فالحق العربى لا يفترض التسليم بوضوحه وانما يتعين إعادة التأكيد على الأسانيد القانونية لبديهياته ·

٦ ـ وأخيرا تجدر الاشارة الى دراسة الأستاذ توماس ماليزون أحد كبار الفقهاء الأمريكيين التى عقد فيها مقارنة طريفة بين مشروعات السلام الدولية الرامية الى تسوية الصراع وبين مخططات إسرائيل التى تؤدى الى استمرار الصراع والتى تنكر ان هناك أصلا موضوعا للنزاع مادامت الارض أرضها ردت اليها وان المطالبين بالأرض يثيرون للفتنة معتدون ارهابيون وان قمع أصحاب الأرض والفتك بهم وابادتهم واجب دينى وحق قانونى للدفاع الشرعى عن النفس والبقاء وهذه هى مقومات السلام الاسرائيلى ·

وفصل ماليزون جوانب المقابلة بين مشروعات السلام المستندة الى قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى وبين المخطط الصهيونى الاسرائيلى منذ برنامج بازل ١٨٩٦ وخطط حزب العمل من ١٩٧٧/٤٨ ثم خطط الليكود (خطة بيجن) وخطة دروبلز ١٩٧٩ وتسوية شارون فى لبنان ١٩٨٢ وخلص مع اللورد كاردون بأن الحق (٣٨) بين ولكن التواطؤ الغربى مع التجاوزات الاسرائيلية ضد النظام الدولى هو المشكلة ·

هوامش ومصـــادر الدراســة

١ ـ انظر نصوص هذه المشروعات فى : تسوية النزاع فى الشرق الأوسط ، الأمانة العامة للجامعات العربية / تونس ١٩٨٨ ٠

٢ ـ انظر للتفاصيل : هنرى قطان :

Pale tine & International Law : The legal aspects of the arab-Israeli Conflict, London 1973.

٣ ـ راجع للتفاصيل كتابنا : المركز القانونى الدولى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٠٥ وما بعدها ٠

٤ ـ هى اللجنة المكلفة بتنفيذ قرار التقسيم والتى شكلتها الجمعية العامة فى الفقرة الثانية يوم صدور قرار التقسيم وضمت خمس دول هى بوليفيا وتشيكوسلوفاكيا والدانمارك وبنما والفلبين وتبدأ مهمة اللجنة فور تشكيلها لتشرف على مرحلة انتهاء الانتداب فى التاريخ الذى قررته بريطانيا وهو أول أغسطس ١٩٤٨ انظر نشأة مدة التقسيم ومشروعات التقسـيم فى د٠ عصـام سـخنينى : فلسطين الدولة ـ جذور المسألة فى التاريخ الفلسطينى ط ، منظمة التحرير الفلسطينية ، نيقوسيا ١٩٨٥ ص ١١٩ وما بعدها ٠

٥ ـ انظر تفاصيل هذا الجدال بمناسبة تصريح الأمين العام للامم المتحدة بأن القرار غير ملزم لصدوره وفقا للفصل السادس : د٠ عبد الله الأشعل : العالم اليوم ١٩٩٢/٧/١٩ ٠ صلاح عامر الأهرام ١٩٩٢/٧/١٧ ٠٠

٦ ـ انظر دراسة شاملة للقرار فى د٠ عطية الأفندى سلطات مجلس الأمن فى أزمة الشرق الأوسط ٦٧ـ١٩٧٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ٠

٧ ـ انظر تفاصيل هذا الجدل فى : محمد شـوقى عبد العـال حـافظ ، الدولة الفلسطينية : دراسة سياسية قانونية فى ضوء أحكام القانون الدولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ ص ١٦٩ وما بعدها ٠

٨ ـ انظر كتابنا سالف الاشارة اليه ص ١٠٥ وما بعدها ٠

٩ ـ انظر نص اعلان قيام اسرائيل فى محمد شوقى حافظ ص ٢٣٧ـ٢٣٩ ، واعلان الدولة الفلسطينية ص ٢٥٨ـ٢٧١ ٠

١٠ـ يرى ماليزون أن سبب شرعية القرار هو صدوره بالأغلبية وتواتر الاعتراف به والاشارة اليه فى قرارات الأمم المتحدة ، انظر كتاب ماليسون وسالى : تحليل قرارات الأمم المتحدة ، الرئيسية المتعلقة بقضية فلسطين من وجهة نظر القانون الدولى ـ الأمم المتحدة ـ نيويورك ١٩٧٩ ص ٢٩ وما بعدها ٠

١١ـ انظر تفاصيل موقف الفقه العربى وكتاب هنرى قطان السابق الاشارة اليه محمد شوقى حافظ ، ص ١٦٠ وما بعدها ٠

١٢ـ انظر للتفاصيل د٠ عبد العظيم رمضان ، العلاقات المصرية الاسرائيلية ٤٨ـ ١٩٧٩ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ ص ٨٠ـ٨٤ ٠

١٣ـ انظر التفاصيل والنصوص فى : تسوية النزاع فى الشرق الأوسط مرجع سابق ص ٢٢٥ وما بعدها ٠

١٤ـ تفاصيل هذه المبادرات فى الكتاب الأبيض ـ وزارة الخارجية ـ القـاهرة ١٩٧٩ (المبادرات من ١٩٧١ـ١٩٧٧) ٠

١٥ـ النص فى : تسوية النزاع فى الشرق الأوسط ، ص ٢٢٢ـ٢٢٣ ٠

١٦ـ انظر تحليلا وافيا للمبادرة السعودية فى كتابنا السعودية وقضايا الصراع العربى الاسرائيلى ، جدة ١٩٨٩ ص ٨٢ وما بعدها ٠

١٧ـ الفقرتان سابعا وثامنا من خطة فاس ـ راجع النص فى : تسوية النزاع فى الشرق الأوسط ٢٣٦ـ٢٣٧ ٠

١٨ـ الكتاب الأبيض لعام ١٩٧٩ ، د٠ عبد العظيم رمضان ، ص ١١٧ـ١١٨ ٠

١٩ـ انظر هذه النقاط الست ، خاصة النقطة الأخيرة بشأن القدس فى الشرق الأوسط ١٩٩٣/٣/٦ ٠

٢٠ـ برنامج الرئيس كلنتون : ـ كلنتون وال جور : برنامج لتغيير أمريكا ، مركز الأهرام للترجمة ، القاهرة ١٩٩٢ اسرائيـل الشرق الأوسـط ، ص ١٢٤ وما بعدها ٠

٢١ـ عالج مشروع روجرز فقط قضية اللاجئين وعمل « على ايجاد تسوية عادلة لها » ٠

٢٢ـ تحدث مشروع ريجان عن الحكم الذاتى وقال بصراحة « انه من الواضح لى أن السلام لا يمكن أن يتحقق باقامة دولة فلسطينية مستقلة فى هذه الأراضى ، النزاع فى الشرق الأوسط ومرجع سابق ص ٢٥٨ ولذا فان الولايات المتحدة لن تؤيد اقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة وغزة ٠٠٠ ان حكومة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة مرتبطة مع الأردن توفر أفضل فرصة لسلام عادل ومتين ٠ نفس المرجع وآخر المواقف الامريكية التى استبعدت صراحة اقامة دولة فلسطينية هو موقف ادارة كلنتون فى كتابه السالف الاشارة اليه ص ١٢٥ ٠

٢٣ـ انظر النص فى : تسوية النزاع فى الشرق الأوسط مرجع سابق ، ص ٢٥٤ ٠

٢٤ـ الرئيس كلنتون ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ـ١٢٥ ٠
تصريح وارين كريستوفر وزير الخارجية ، الأهرام ١٩٩٣/٢/٢٢ ٠

٢٥ـ راجع نص المشروعين السوفيتيين فى تسوية النزاع فى الشرق الأوسط ص ٢٦٣ـ٢٦٨ ٠

٢٦ـ التفاصيل فى المرجع السابق ص ٢٧٠ وما بعدها ٠

٢٧ـ أحدثت التسوية المصرية الاسرائيلية خلافا حادا بين المواقف الأوربية والأمريكية اذا أيدت المجموعة الأوربية الموقف العربى ضد مصر وأبدت تعاطفا واضحا مع منظمة التحرير ولكن ثبت عدم فعالية الموقف الأوربى ثم ما لبث الموقف الأوربى أن اعترف فى بيان بروكسل بمحورية الدور الأمريكى فتبدد احتمال اعتباره بديلا للدور الأمريكى ٠

٢٨ـ راجع النص فى المرجع السابق ، ص ٢٨٧

٢٩ـ النص فى المرجع السابق ص ٢٠٨ ، ٣٠٢ ٠

٣٠ـ المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ٠

٣١ـ المرجع السابق ، ص ٣٠٢ـ٣٠٣ ٠

٣٢ـ المرجع السابق ، ٣٠٥ ٠

٢٣- تكونت اللجنة من موريتانيا ، الحبشة / ليبيريا - السنغال - الكاميرون - زائير - نيجيريا - كينيا - تنزانيا - ساحل العاج - انظر النص فى المرجع السابق ، ص ٢١١-٢١٢ .

٢٤- المرجع السابق ، ص ٣٢٥ وما بعدها .

٢٥- نفس المرجع ، ص ٣٤٤ وما بعدها .

٢٦- نفس المرجع ص ٣٥٢ وما بعدها .

٢٧- انظر كتابنا حول منظمة التحرير ، مرجع سابق ، ص ٤٧-٤٨ .

٢٨- نفس المرجع ص ٤٨ - ومقال اللورد كارادون .

Looking back and ahead on resolution 242, American Arab Affairs, Fall 1984, No 10, pp. 28-32.

انعكاسات المتغير السكانى على عملية التسوية السياسية للصراع العربى ـ الاسرائيلى

عمـاد جـاد

باحث بمركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية ـ الأهـرام

فى مطلع الثمانينيات تزايد الحديث عما سمى « القنبلة الديموجرافية العربية » فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ · وتعددت الدراسات العربية والعبرية والتى قامت بها هيئات وجهات ثالثة ، التى أكدت نفس المعنى ، والذى قصد به بالأســاس أن معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب فى اسرائيــل والأراضى الفلسطينية المحتلة سوف تؤدى الى تزايد فى أعـداد العرب بمعدلات أكبر من تزايد اليهود ، ووصــلت بعض الدراسات الى التأكيد على أنه فى ظل تراجع موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، فان اليهود سوف يتحولون الى أقلية داخل الأراضى الفلسطينية ، وان ذلك سوف يدفع اسرائيل الى التعجيل بالانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، أو أجزاء كبيرة منها حتى تتمكن من الحفاظ على التفوق اليهودى فى اسرائيل ـ والمناطق التى سوف تضمها من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ·

واستمرت نفس التســاؤلات مطروحة حتى بعد أن بدأت موجات الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى ـ الســابق ـ الى

اسرائيل ، على أساس أنها موجات محدودة فى النهاية ، فضلا عن أن الدوافع البرجماتية ـ الاقتصادية ـ لهؤلاء المهاجرين سوف تدفع بقطاعات واسعة منهم للهجرة مرة أخرى من اسرائيل الى البلدان الغربية ٠

وفى هذا الاطار نجد أن المتغير السكانى يلعب دورا هاما فى مسار الصراع العربى ـ الاسرائيلى سواء فى ادارة الصراع أو سبل التوصل الى تسوية سلمية ، انطلاقا من كون الصراع العربى ـ الاسرائيلى يأخذ كل سمات الصراع الاجتماعى الممتد ٠

ومن هنا ولكى نحيط بكافة انعكاسات المتغير السكانى على عملية التسوية السياسية للصراع العربى ـ الاسرائيلى ،فسوف نركز على القضايا التالية :

أولا : الصراع العربى الاسرائيلى كصراع اجتماعى ممتد ٠

ثانيا : الأوضاع السكانية فى فلسطين (اسرائيل والأراضى المحتلة عام ١٩٦٧) ٠

ثالثا : حدود تأثير المتغير السكانى على عملية التسوية ٠

أولا : الصراع الاجتماعى الممتد Protracted Social Conflict

من بين مختلف أنماط الصراعات ، يعد الصراع الاجتماعى الممتد أكثر هذه الأنماط خضوعا لتأثيرات المتغيرات السكانية نظرا للطبيعة الخاصة بهذا النمط من الصراعات ، اذ أن المتغيرات السكانية تلعب دورا هاما فى تحديد بدء وتطور وانتهاء هذا النمط من الصراعات ٠

ويقصد بالصراع الاجتماعى الممتد ذلك النمط من الصراعات الذى يتسم بالاستمرارية والامتداد خلال فترة طويلة من الزمن ٠

وتتميز تفاعلاته العدائية بالكثافة والتكرار والتقلب كما تتسم هذه التفاعلات بالانتشار داخل المجتمع ، أو بين المجتمعات المتصارعة بحيث يصبح الصراع فى حد ذاته مصدرا لمزيد من التفاعلات العدائية ، كما يحدد الصراع الصورة القومية والتماسك الاجتماعى لدى الجماعات المتصارعة · كذلك فان هذه النوعية من الصراعات تتسم بعمق مسبباتها وتستعصى على الحل السريع (سواء المباشر أو بتدخل أطراف خارجية) ومن ثم فان حل الصراعات الاجتماعية الممتدة يتطلب فترة زمنية طويلة نسبيا تتم خلالها تغيرات ذات مغزى فى بيئة أطراف الصراع (١) ·

كذلك هناك من يرى أن هذه النوعية من الصراعات تضرب بجذورها فى الانقسامات الاثنية أو القومية ومن ثم فهى ايديولوجية من حيث الأساس وتنعكس فى أهداف أطراف الصراع والتى تتراوح ما بين طلب الانفصال ، والتحرر الوطنى ، وحق تقرير المصير ، والاستقلال والمساواة (٢) · أيضا هناك من أكد على أن معظم هذه النوعية من الصراعات هى بمثابة ارث للماضى الاستعمارى فضلا عن أنها تندلع بالأساس (داخل المجتمع) من التمايزات الهيكلية الحادة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم فهى تتوطن أساسا داخل بلدان العالم الثالث ·

ولذلك يمكن أن نحدد سمات الصراع الاجتماعى الممتد فى :

١ ــ الاستمرارية والامتداد ·

٢ ــ التقلب فى الكثافة والتكرار ·

٣ ــ الانتشار ·

٤ ــ غياب نقطة محددة لانتهاء الصراع ·

٥ ــ ذاتية الحل ·

١ ـ الاستمرارية والامتداد : ـ تتسم هذه النوعية من الصراعات بالاستمرار لفترة زمنية طويلة نسبيا مقارنة بغيرها من الصراعات ، ففي الدراسة التى قام بها عازار وايكهارت حول الصراعات التى وقعت خلال الفترة من ٤٥ ـ ١٩٨٠ وجد أن ٦٢ صراعا منها استمر لمتوسط ٣ر١ سنة وأن ١٥٢ منها (الصراعات الداخلية كالانقلابات والحروب الأهلية) استمرت لمدة ٦ر١ سنة فى المتوسط • أما الصراعات الاجتماعية الممتدة فوجد أن ٥٠ منها استمر لمتوسط يزيد عن ١٣ر١ سنة ومن أمثلتها الصراع العربى الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، الأثيوبى ـ الصومالى من عام ١٩٦١ حتى الآن ، أريتريا منذ عام ١٩٦١ حتى الآن • الكردى منذ عام ١٩٦١ حتى الآن ، قبرص منذ عام ٦٢ حتى الآن ، تشاد منذ عام ٧٨ حتى الآن ، شمال وجنوب كوريا منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن (٣)،وهكذا نجد أن الصراعات الاجتماعية هى الممتدة لفترة زمنية أطول من غيرها من الصراعات الأخرى وفى نفس الوقت توجد صعوبة كبيرة واختلاف شديد فى تحديد زمن اندلاع هذا النمط من الصراعات اذ يظل زمن اندلاع الصراع مسالة خلافية لاسيما وأن هذه الصراعات عادة ما تندلع فى مرحلة سابقة على تفجرها الصريح فى شكل عنف مفتوح ومنظم • فعلى سبيل المثال فان الصراع العربى الاسرائيلى لم يبدأ عام ١٩٤٨ بالمواجهة العربية الاسرائيلية الأولى وهناك من يرى أنه بدأ بالصراع العربى الصهيونى فى أعقاب مؤتمر بال فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهناك آخرون يرون أنه بدأ بوعد بلفور ، وفريق رابع يرى أنه بدأ باندلاع الصراعات العربية اليهودية فى فلسطين تحت الانتداب البريطانى •

٢ ـ التقلب فى الكثافة والتكرار : حيث تشهد هذه النوعية من الصراعات تقلبا شديدا ما بين الصراع والتعاون ، والعنف الصريح ، والخفى حيث تظهر فى خضم التفاعلات الصراعية العنيفة بعض المظاهر التعاونية فيما يتعلق بالموقف من احدى القضايا الثانوية

فى الصراع كاتفاقات الهدنة وتبادل الأسرى ، كما أن هذه النوعية من الصراعات قد تستمر لفترة زمنية طويلة دون أن تشهد صراعا مفتوحا ، ثم فجأة تنفجر الصراعات المفتوحة فى الوقت الذى تكون قد حدثت فيه تراكمات تعاونية وقد يصل الصراع المفتوح الى درجة الحرب الشاملة بين الدول أو الحرب الأهلية داخل الدولة (٤) ، ومن هنا أعطى بعض الدارسين للصراع المستتر نفس الأهمية التى يحتلها الصراع المفتوح (٥) والصراع العربى الاسرائيلى شهد فى هذا الاطار ـ منذ اعلان تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وحتى الآن مئات الصدامات العسكرية التى تخللتها فترات عنف خفى وآخر صريح وصل الى الحرب الشاملة (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢) وقد أدى هذا التقلب فى الكثافة والتكرار ، بالبعض الى وصف الصراع العربى الاسرائيلى بأنه نمط يجمع بين الحرب كحالة قائمة war as status Quo والسلم كأزمة Peace as crisis (٦) .

٣ ـ الانتشـــار : ويقصد بالانتشـــار هنا تعدد الفاعلين (أطراف الصراع) وتعدد القضايا (محل الصراع) وفى هذا الاطار تنتشر الصراعات الاجتماعية الممتدة فى المجتمعات ويصبح الفصل بين الوقائع الداخلية والخارجية غير واضح وتتورط فى الصراع قوى خارجية ســواء اقليمية أو دولية وتشهد هــذه النوعية من الصراعات اختراق الحدود الدولية ومن ثم يتعدد الفاعلون .

أما انتشــار القضــية فمرجعه أن هذه النوعية من الصراعات تميل الى أن تكون فى ذاتهــا مصدرا لمزيد من الصراعات فالصراع الاجتماعى الممتد والذى يدور حــول قضية أو أكثر يولد خــلال التفاعلات الصراعية مزيدا من القضايا الصراعية الأمر الذى ينتهى بالصراع الاجتماعى الى تعدد القضايا محل الصراع وتشابكها (٧) .

٤ ـ غياب نقطة محددة لانتهاء الصراع : بنفس منطق عدم وضوح النقطة الحقيقية واللحظة الفعلية لاندلاع الصراع الاجتماعى

المتد فان الغموض يحيط بانتهاء هذه النوعية من الصراعات بحيث لا يمكن القول بانتهائها لمجرد حل احدى (أو بعض) قضاياه أو التوصل الى سلوك تعاونى ما بين الفاعلين (كاتفاقية هدنة أو معاهدة سلام بين بعض أطراف الصراع) ويرجع ذلك الى العامل السابق والخاص بانتشار الفاعلين والقضايا ، الأمر الذى يعنى مزيدا من التشابك فى سلوكيات الفاعلين ومزيدا من التعدد فى قضايا الصراع ومن ثم فان التوصل الى اتفاق بين بعض الفاعلين ازاء بعض أو كل القضايا أو التوصل الى اتفاق بين كل الفاعلين ازاء بعض القضايا لا يعنى حل الصراع ، اذ أن الصراع قد يعود للتفجر مرة أخرى بين فاعلين آخرين حول قضايا معينة أو بين نفس الفاعلين الذين توصلوا الى اتفاق سابق بصدد بعض أو كل القضايا ولذلك يرى البعض أن هذه النوعية من الصراعات لا تتبع نمط الدوائر الصراعية المشتملة على بداية ونضوج وذبول ثم نهاية للصراع ، اذ أن هذه الصراعات الممتدة يستغرق حلها وقتا طويلا بالمقارنة بغيرها من الصراعات (٨) ٠

٥ ـ ذاتية الحل :- نظرا لأن قضايا الصراع تضرب بجذورها فى المجتمع وتلعب المتغيرات السكانية دورا هاما فى تطور وانتهاء الصراع فان حل هذه النوعية من الصراعات لابد أن يتخلق داخل رحم بيئة الصراع ومن هنا كان استغراق الحل لفترة زمنية طويلة ، وكان أيضا فشل امكانية حل الصراع بتدخل أطراف خارجية فاذا نجحت الأطراف الخارجية فى حل بعض الصراع على مستوى فوقى فان الجذور الضاربة فى أعماق المجتمع تظل تنمو حتى تظهر التفاعلات الصراعية مرة أخرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان تعدد الفاعلين وتعدد قضايا الصراع وانتشارها يزيد من صعوبة مهمة الأطراف الخارجية فى حل هذه النوعية ٠

ونظرا لذلك أكد البعض (٩) على فشل الطرق المختلفة لحل الصراعات في معالجة هذه النوعية التي تتسم بالامتداد الاجتماعي ٠

نشوء الصراع الاجتماعي الممتد : أجريت العديد من المحاولات لحصر مسببات الصراع الاجتماعي الممتد ولعل أشمل هذه المحاولات تلك التي طرحها ادوارد عازار (١٠) والذي حصر هذه المسببات في أربعة هي : ـ

١ ـ المحتوى التعددى للمجتمعات : حيث تعد التعددية داخل المجتمع من أهم مسببات نشأة الصراعات الاجتماعية الممتدة ولابد من التأكيد في البداية على أن التعددية في حد ذاتها لا تؤدى حتما الى نشوب الصراع الاجتماعي الممتد ، انما المؤدى الى ذلك هو قيام السلطات الحاكمة في المجتمع التعددى باتباع سياسات تفرقة شديدة بين جماعات المجتمع التعددى وادراك تلك الجماعات التي تمارس ضدها التفرقة لذلك ، ومن هنا فتعد سياسات التفرقة والتمييز متغيرا وسيطا بين التعددية والصراع (١١) ٠

وترجع التعددية في المجتمعات الى عوامل ثلاثة هي :

(أ) الميراث الاستعمارى باتباع السلطات الاستعمارية لسياسات تفرقة (في اطار فرق تسد) نجمت عنها تكوينات فريدة من نوعها حيث تكون الدولة مؤلفة من عدة تجمعات (لبنان ، ماليزيا أو تكون الأمة مقسمة الى دولتين أو أكثر (الصين ، الأكراد ، كوريا ، الصومال) ٠

(ب) دور الاستعمار في فتح باب الاستيطان أمام جماعات مغايرة للسكان وتدعيم هذه الجماعات ومساعدتها في الهيمنة على سكان البلاد الأصليين (فلسطين ، جنوب أفريقيا) ومن ثم تبدأ الصراعات في أعقاب رحيل الاستعمار التقليدى ، حيث تسعى

الجماعات المسيطرة الى الحفاظ على سيطرتها وتميزها ، وتسعى الجماعات الأخرى للقضاء على هذه التفرقة ويتوقف الصراع هنا على عدد من العوامل منها الحجم النسبى للجماعات المختلفة ومدى التمييز ومحتوى القضايا التى يدور حولها الصراع (اجتماعية ، اقتصادية أو مصيرية) وعلى شبكة العلاقات الاقليمية والدولية لكل الجماعات المتصارعة ·

(ج) حركات الهجرة المختلفة فى الأسباب والدوافع اذ أن فترات الحروب والمجاعات والاضطهاد وتدنى فرص العمل ·· كلها أسباب تدفع الى هجرة موجات بشرية كبيرة من دولة الى أخرى وبمرور الوقت تبدأ سمات الصراع فى التبلور ويترتب عليها بعض سمات الصراع بين الدولة المرسلة (دولة الأصل للجماعات) والدولة المستقبلة (التى استوطن فيها المهاجرون الجدد) ·

٢ ـ الحاجات البشرية : يأتى ذلك من خلال جهود الأفراد لاشباع حاجاتهم المختلفة وتكوين جماعات متماثلة سواء من خلال الالتقاء حول مصلحة أو مكونات كالعرق أو اللغة أو الدين ·· الخ · ويعد الالتقاء حول الانقسامات الأولية أكثر أهمية فى نشوب الصراع الاجتماعى الممتد اذ أن الجماعات المتمايزة على أساس الانقسامات الأولية تتسم عادة بالتماسك والجماعية فى التحرك من أجل البقاء وبما أن بقاء الجماعات متوقف على القدرة على اشباع حاجات الجماعات المختلفة أو على الأقل توزيع الموارد النادرة توزيعا عادلا بين الجماعات المختلفة فان الجماعات المحرومة من هذه الحاجات العضوية عادة ما تتحرك فى اطار جماعى قد يسفر فى النهاية عن نشوب الصراع الاجتماعى الممتد اذا ما فشلت السلطة القائمة فى ايجاد حل للمشكلة سواء بالقضاء على مسببات التفرقة أو بتوجيه ضربة شاملة لتطلعات هذه الجماعات (١٢) ·

كذلك فان الحرمان من الحاجات الأساسية لا يسفر تلقائيا عن الصراع ، انما التوزيع غير العادل للموارد النادرة وعلى أساس الانقسامات الأولية يجعل هناك باستمرار جماعات مضطهدة أكثر من غيرهـا ، ومع ادراك الجماعات لهذا الحرمان والاضطهـاد تتجه المتمركز حول مسببات الانقسام (العرق ـ اللغة ـ الدين) ومن هنا تبدأ بذور الصراع الاجتماعي الممتد فى الانبات (١٣) وتتجه هذه الجماعات الى الاقدام على ردود أفعال تحاول من خلالها تغيير أو تصحيح أو اعادة صياغة استجابات أصحاب القرار ٠ ونظرا لأن صياغة سياسات صنع القرار تعتمد على الاطار الكلى لتوزيع القوة السياسية فان المواقف الصراعيـة سرعان ما تنفجر (١٤) وتزداد حدة هذه الصراعات أكثر فى حالة الانقسامات الشديدة بين الجماعات من حيث اللغة والدين والعرق اذ أن عملية الحرمان فى هذه الحالة تنبع من رفض الجماعة (أو الجماعات) المسيطرة قبول أو الاعتراف بهوية الجماعات الأخرى والتى تبرز فى شكل قيم ومعايير وأفكار وعادات (حالة جنوب أفريقيا ، حالة فلسطين داخل الخط الأخضر) ومثل هذا الموقف يؤدى الى استثارة الجماعات المحرومة ـ التى يرتفع لديها الوعى بالحرمان الجماعى ـ ومن ثم فان رد الفعل يميل الى أن يكون جماعيا ٠

٣ ـ دور الدولة : حيث تلعب الدولة (السلطة السياسية) دورا هاما فى خلق وتصعيد الصراع الاجتماعى الممتد ، ومع التسليم بدور القوى الاجتماعية المستفيدة من الأوضـاع التمييزية فى المجتمعات التعددية ، الا أن القرار فى النهـاية هو بيد السلطة السياسية التى تتجه الى الاستخدام « الشرعى » للقوة بحجة الحفاظ على الأمن والنظام وتوفير الحاجات الأساسية ٠ وعليه فان مستوى الاشباع والحرمان من الحاجات الأسـاسية يتأثر بدور الدولة ٠ فيمكن أن تكون هناك مساواة فى اشباع الحاجات فى مجتمعـات تموج بالانقسامات الأولية اذا كانت هناك سياسات جادة لتحقيق

التجانس الجماعي والاستقرار السياسي ، واذا كانت هذه صورة مثالية في عالم اليوم ، فان ذلك لا ينفي احتمالات وجودها بدرجات نسبية ، عموما عالم اليوم يموج بالسياسات التمييزية المستندة الى الانقسامات الأولية ولكن اندلاع الصراعات الاجتماعية الممتدة يظل رهنا بتوافر شرطين :

(أ) جماعية الممارسة التمييزية ·

(ب) الادراك من جانب الجماعات التى تمارس ضدها السياسات التمييزية ·

وعليه فان الدول التى تشهد صراعات اجتماعية ممتدة تتسم ب : -

(أ) انها غالبا ما تكون السلطة فيها منحازة لجماعة ما بسبب خضوعها لسيطرة تلك الجماعة أو لجماعات متجانسة بالمقارنة بالجماعات الأخرى ، وتميل الجماعة (أو الجماعات) المسيطرة الى استخدام آلة الدولة لتحقيق مصالحها على حساب الجماعات الأخرى (١٥) ·

(ب) ان هيمنة جماعة (أو جماعات) ما على آلة الدولة يتبعها تحريف لنمط الحكم لتثبيت الهيمنة والاحتكار مع حرمان الجماعات الأخرى من المشاركة ، وتتبع فى هذا سياسات سلطوية للقمع ، الأمر الذى يؤدى الى تقليص شرعية النظام وتفجر الصراع ·

(ج) ان حدة الصراع الاجتماعي الممتد ترتبط باحكام قيود عدم المشاركة وكذلك بمدى توافر المواد النادرة فى المجتمع فكلما ترافق الاحكام مع قلة الموارد ازدادت رغبة الجماعة المسيطرة فى الاستئثار بهذه الموارد ومن ثم تزداد دقة واحكام قيود الموارد النادرة ·

٤ ـ الارتباط الدولى : حيث ان دور الدولة فى الصراعات الاجتماعية الممتدة وآثاره فى خلق واستمرار وتكثيف هذه الصراعات ـ وان كان فى أساسه نتيجة تفاعلات موضوعية داخلية تجد مسبباتها الأولى فى العوامل الخارجية (الاستعمار والتحركات البشرية عبر الحدود) ـ يرتبط بنمط العلاقات الخارجية للجماعة المسيطرة فى هذا المجتمع الذى يشهد الصراع الاجتماعى الممتد ٠

ومن جانبه حدد ادوارد عازار نمطين للارتباط هما : ـ

(أ) نمط التبعية الاقتصادية للنظام الدولى التى تترتب عليها قيود شديدة على استقلال الدولة وتغير نمط التنمية الاقتصادية بشكل يعيق عملية اشباع الحاجات فى اطار تحالف رأس المال الدولى والمحلى والسلطة ٠

ب ـ العمالة السياسة والعسكرية للدولة القومية حيث تقوم الدولة المتبوعة بتوفير الحماية لقيادة الدولة التابعة وامدادها بأدوات القمع (١٦) ٠

ويمكن أن نضيف لهذين النمطين أنماطا أخرى منها :

(أ) المشاركة فى عوامل الانقسام (عرق ـ لغة ـ دين قومية) حيث ان اشتراك الجماعة أو الجماعات المسيطرة فى الدولة التى تشهد صراعا اجتماعيا ممتدا مع دولة أخرى (لا سيما الدول الأقوى) فى أى من عوامل الانقسام هذه ، يدعم من العلاقة بينهما ويساعد الأولى على تلقى المساعدات من الثانية ٠ كذلك يمكن تصور الموقف العكسى بتلقى الجماعات التى تمارس ضدها سياسة تفرقة وتمييز لمساعدات من الدولة أو الدول التى تشترك معها فى أى من عوامل الانقسام السابق ذكرها ٠ وتمثل جنوب أفريقيا الحالة الأولى ويمثل سكان اقليم الأوجادين الحالة الثانية حيث تدعم

بريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا . وتدعم الصومال سكان الأوجادين وأريتريا ذوى الأصل الصومالى .

ب ـ التحالفات العسكرية التى تنشأ بين الدول التى تتعرض لصراعات اجتماعية اذ قد تتعاون النخب المسيطرة فى هذه البلدان لتدعيم أمنها ولا يمكن القول انها هنا فى حالة عمالة سياسية أو عسكرية (التعاون بين جنوب أفريقيا واسرائيل وأثيوبيا ..) .

ومن هنا يمكن أن نصل الى صياغة معادلة تتعلق بمحددات الصراع الاجتماعى الممتد كالتالى : ـ

ص ج م = م (م ت ، ج م ، س ت ج ، و ، ق ، ت خ) .

حيث ان : ـ

ص ج م :
يعنى الصراع الاجتماعى الممتد .

م ت :
يعنى مجتمعا تعدديا فى العرق ، اللغة ، الدين ، أو أى منها .

ج م :
يعنى سيطرة جماعة معينة على الدولة .

س ت ج :
يعنى سياسات تفرقة جماعية بالاستناد الى أسس الانقسام .

و :

يعنى وعى الجماعة التى تمارس ضدها سياسات التفرقة بهذه السياسات ·

ق :

يعنى قهر السلطة ·

ت خ :

يعنى التدخــل الخارجى سواء لصــالح الجمــاعة (أو الجماعات) المسيطرة أو لصالح الجماعة (أو الجماعات) المحرومة ·

ثانيا : الأوضــاع الســـكانية فى فلســـطين (اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧)

نظرا للطبيعية الخاصة للمجتمع اليهودى فى فلسطين والتى اعتمدت على تدفق موجات الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال فترة زمنية محدودة لا يمكن تناول خريطة السكان فى اسرائيل اليوم ، دون استعراض عــلاقة اليهود بأرض فلسطين ونسبة تواجدهم فى فلسطين من اجمالى يهود العالم ·

١ ـ اليهود فى فلسطين : ـ

بايجاز شديد ، نجد أن علاقة اليهود بأرض فلسطين هى علاقة ترحال وتنقل غير محددة المعالم ، حيث لا يوجد سند تاريخى يؤكد أن هذه الأرض كانت ذات هيمنة يهودية فى فترات زمنية طــويلة ، انما كانت هناك باستمرار أحداث تتعلق باليهود وقعت فى هذه الأرض ، ومن خلال التوراة ، نجد أن العبرانيين الأوائل هاجروا الى

أرض كنعان ولم يستقروا فى مكان واحد ، انما داوموا التنقل فى أرض فلسطين · وبسبب عنصريتهم هاجر العديد منهم الى مصر ثم اضطروا للخروج منها بسبب عنصريتهم تجاه أهل مصر (١٧) ·

وفى أعقاب الخروج من مصر ، استقر اليهود فى فلسطين حيث تركزوا فى الجزء الداخلى الفقير وأسس داود مملكة يهودية لم تدم سوى ٧٨ عاما ، ففى عام ٩٢٢ ق·م ثارت قبائل اليهود الشمالية وانفصلت مطلقة على نفسها اسم اسرائيل وعادت دويلة الجنوب الى اسمها القديم (يهودا) واستمر الصراع بينهما الى أن قضى الأشوريون على اسرائيل عام ٧٢٢ ق·م وقضى البابليون على « يهودا » عام ٥٨٢ ق·م وحدث أن كان السبى البابلى،وعندما سمح الملك « قورش » لليهود بالخروج من السبى عام ٥٣٨ ق·م ، عادت أعداد ضئيلة الى أرض فلسطين بينما خرج العديد الى بلدان أخرى وبقى البعض فى بابل (١٨) ·

وعندما استولى الرومان على فلسطين عام ٦٣ ق·م ، ثار اليهود ، فكانت المذابح الرومانية وهدم الهيكل اليهودى وارسال الكثير منهم الى روما ، وهروب الغالبية الى مصر والعراق وبعض البلدان الأوروبية ، وقد أسفر ذلك عن بقاء بضعة آلاف من اليهود فى فلسطين ·

وعندما انقسمت الامبراطورية الرومانية ، وأصبحت فلسطين جزءا من الامبراطورية البيزنطية كانت غالبية سكان فلسطين من المسيحيين وهو الوضع الذى كان سائدا حتى الفتح العربى لفلسطين عام ٦٣٦ م · وقد استمر الوضع على ما هو عليه فى القرون اللاحقة ، اذ قدر أحد الرحالة اليهود (بنيامين التطلى) عدد اليهود فى فلسطين عام ١١٦٩ م بنحو ألف أسرة فقط (١٩) وقد قدر عدد اليهود فى نهاية القرن الثامن عشر (أثناء غزو نابليون لفلسطين

عام ١٧٩٩ م) بنحو خمســــة آلاف نســـمة فقط ويعترف الكتاب « السنوى الاحصائى الاسرائيلى » بهذه الحقيقة من خلال استعراضه لتاريخ توزيع اليهود فى العالم حينما أشار الى أن عدد اليهود فى فلســـطين عام ١٨٨٢ لم يتجــاوز ٢٤ ألفا أو ما يوازى ٣ر٪ من اجمالى يهود العالم الذين بلغوا ثمانية ملايين فى ذلك العام ٠

واســـتمر الوضــــع كذلك حتى ثلاثينيات القــرن العشرين اذ لم يتجاوز عدد يهود فلسطين عام ١٩٢٥ ، ١٣٦ لفا أى أقل من ١٪ من يهود العالم الذين بلغ عددهم خمســة عشر مليونا فى ذلك العــام (٢٠) ٠

وقد بدأ الانقلاب السكانى فى فلسطين ، مع اشتعال الحرب العالمية الثانية ، فقفز عدد اليهود فى فلسطين من ٤٤٩ ألفا عام ١٩٣٩ الى ٦٥٠ ألفا عــام ١٩٤٨ أو ٦٪ من اجمالى يهــود العــالم ومع قيام اسرائيل تكرس هذا الانقلاب فارتفعت نسبة يهود فلسطين من اجمالى يهود العالم من ٦٪ عام ١٩٤٨ الى ٢٠٪ ثم ٢٨٪ عامى ١٩٧٠ ــ ١٩٨٨ على التوالى ، وأخيرا الى ٣٠٪ عام ١٩٩٠ ٠

وهكذا يتضح لنا أنه على مر العصور لم يكن لليهود تواجد دائم ومكثف فى أرض فلسطين ، بل ان تجمعاتهم الماضـــية فى فلسطين كانت تتسم بالتشرذم والتنافر بل والعداء وقد وضح ذلك لدى التجمعات اليهودية فى فلسطين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اذ اتسمت بــ :

انهــا جاءت فى أغلبها اما لأغــراض دينية (زيارة الأماكن المقدسة) أو هربا من الاضطهاد الذى يتعرضــون له فى البلدان الأوروبية ٠

كما أن هذه التجمعات اعتمدت فى نمط حياتها على المعونات والهبات التى يرســلها اليهم اليهود من الخــــارج باعتبــــار أن

مساعدتهم واجب دينى ، أى لم يكن لديهم نمط حيـــاة يعتمد على الاكتفاء الذاتى والاستقرار الدائم ٠

ولم يكن لهذه التجمعات اسهام واضـح فى أى مجال من مجالات الانتاج بل رفضوا الاندماج فى الســكان انطلاقا من أن اقامتهم مؤقتة (٢١) ٠

كما لم يشــكل يهود فلســطين فى ذلك الوقت ، مجموعة متجانسة ، اذ كانوا خليطا من الأجنـــاس والقوميات والثقافات واللغات المختلفة (٢٢) ٠

وقد حافظ يهود فلسطين على علاقاتهم مع بلدانهم الأصلية ، اذ احتفظوا بجنسيتها وكثيرا ما طلبوا تدخل بلدانهم الأصــلية فى القرن التاسع عشر (٢٣) ٠

ونخلص مما سبق الى التأكيد على أن علاقة اليهود بأرض فلسطين هى علاقة ترحال دائم ، استقرار مؤقت ثم ترحال وهكذا الى أن أخــذت شــكل المخطط المحــكم فى المؤتمر الأول للحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ ٠

٢ ـ الهجرة الى فلسطين قبل ١٩٤٨ فى اطـار الهجرة اليهودية العالميـــة : ـ

يلاحظ أن نصيب فلسطين من اجمالى حركة الهجرة اليهودية ظل حتى عام ١٩٤٢ يمثل نسبة صغيرة من اجمالى اليهود الذين تركوا بلادهم الأصلية واتجهوا الى بلدان أخرى ٠ فعلى ســبيل المثـــال فى الوقت الذى خـــرج فيه ٢٢١ ألف يهودى من بلادهم الأصلية خلال الفترة من ١٨٤٠ ـ ١٨٨٠ لم يذهب منهم الى فلسطين سوى ١٠ آلاف أو ٥ر٤٪ كذلك فى الوقت الذى خرج فيه ٤٤١ر٢٠٢ر٦

يهوديا من بلادهم الأصـــلية الى بلدان أخـرى خـــلال الفترة من ١٩٠١ ـ ١٩١٤ ، فانه لم يذهب الى فلسطين سوى ٢ آلاف أو ١٩ر٪ فقط • والفترة التى شهدت استثناء من هذه القاعدة هى فترة صعود نجم النازية حيث ذهب الى فلسطين خلال الفترة ١٩٣١ ـ ١٩٣٥ نحو ٧ر٦١٪ من اجمالى اليهود الذين تركوا بلدانهم الأصلية خلال تلك الفترة (ذهب الى فلسطين ٥٠٢ر١٤٧ يهوديا بينما خرج ٢٥٠ر٢٣٨ يهوديا من بلدانهم الأصلية) •

واجمالا نلاحظ أنه خلال الفترة من ١٨٤٠ وحتى ١٩٤٢ ذهب الى فلسطين ٣٧٩ ألف يهودى من اجمالى اليهود الذين غادروا بلادهم الأصلية والذين بلغ عددهم ٠٠٠ر٩١٧ر٣ يهودى أى نحو ٧ر٩٪(٢٤)•

وبالرغم من محدودية وزن المهاجرين اليهود الى فلسطين من بين اجمالى التحركات البشرية اليهودية على الصعيد العالمى (١٨٤٠ ـ ١٩٤٢) الا أنها ساهمت فى وضع بذور اختـــلال هيكل الســكان فى فلسطين لصالح اليهود الذين قفزت نسبتهم من اجمالى سكان فلسطين من ٨٪ عام ١٩١٩ الى ٨ر١٦٪ عام ١٩٣١ ثم الى ٣ر٢٥٪ عـام ١٩٣٥ وأخيرا الى ٤ر٣٧٪ فى مايو ١٩٤٨ ـ عند اعلان قيـــام اسرائيل ـ حيث بلغ اجمالى ســكان فلسطين فى ذلك العـــام ٠٠٠ر٨٧٠ر١ نســمة منهم ٠٠٠ر٧٠٠ نســمة من اليهود مقـابل ٠٠٠ر١٧٠ر١ نسمة من العرب (٢٥) •

٣ ـ موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل : ـ

جاء اعلان قيام اسرائيل الصــادر فى ١٥/٥/١٩٤٨ ليحدد المفهوم الصهيونى للهجرة اليهودية الى فلسطين • والهجرة حسب هذا المفهوم تعنى عـودة مشروعة « للشـعب اليهودى » الى أرض اسرائيل « لاســتعادة حقـوقه السياسية المترتبة على حقه الطبيعى

والتاريخى ومن ثم ارتكزت الهجرة على حق الشعب اليهودى بتحقيق بعثه القومى فى بلاده الخاصة به وذلك حسب ما جاء فى ختام المؤتمر الصهيونى الأول . وتحدد الأمر بوضوح فى قانون العودة الذى صدر فى ١٥/٧/١٩٥٠ والذى نص فى مادته الأولى على أن الهجرة الى اسرائيل هي « حق لكل يهودى بصفته مهاجرا عائدا » وجعلت القيد الوحيد على هذا الحق هو خطورة المهاجر على أمن الدولة أو الصحة العامة (٢٦) .

وقد أخذت الهجرة اليهودية الى اسرائيل شكل الموجات الكثيفة لا سيما فى المرحلة التالية لاعلان قيام الدولة . ثم أخذت فى التراجع الى ما يشبه النضوب فى عقد الثمانينيات وأخيرا ومع نهاية هذا العقد وبداية عقد التسعينيات بدأت تظهر ملامح عودة الموجات الكثيفة لا سيما من الاتحاد السوفيتى ـ السابق ـ وشرق أوروبا .

وقد توالت موجات الهجرة على النحو التالى : ـ

١ ـ الموجة الأولى (الكبرى) من ١٥/٥/١٩٤٨ حتى نهاية ١٩٥١ :

وحملت معها نحو ٦٨٧ ألفا فى الوقت الذى كان عدد يهود اسرائيل عند قيام الدولة لا يتجاوز ٦٥٠ ألفا وقد جاءت هذه الموجة من مصدرين هما : ـ

(أ) هجرة أوروبية من يهود البلدان الاشتراكية وبلغ عددهم ٢٣١ر٨٣٧ ألف شخص (٢٧) جاء معظمهم من رومانيا (١١٧ر٩١٢ نسمة) ، وبولندا (١٠٦ر١٣٦) وتشيكوسلوفاكيا (٢٤ر٧٣١) (٢٨) .

(ب) هجرة أفرو آسيوية وبلغ اجمالى موجتها نحو ٣٣٠ ألفا ، جاءوا بالأساس من العراق (١٢٣ر٦٥٢) واليمن

(٤٠٠ر٤٥) وتركيا (٣٤ر٩٢٤) وليبيا (٣٠ر٩٤٢) وايـــران (٢١ر٧٨٤) ومصر ١٦ر٦٠٧) (٢٩) ٠

٢ ــ الموجة الثانية ٥٢ ــ ١٩٥٤ :

وقد حملت هذه الموجة معها ٥٤ر٠٦٥ ويرجع انخفاض عدد المهاجرين فى هذه الموجة الى تصفية تجمعات اليهود الذين غيروا أماكن اقامتهم فى أوروبا ونضوب تجمعاتهم فى بعض الدول مثـل بلغاريا والعراق واليمن وليبيا ، هـــذا بالاضافة الى القيود التى فرضتها البلدان الاشتراكية على هجرة اليهود (٣٠) ٠

٣ ــ الموجة الثالثة : ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ :

وقد بلغ اجمالى اليهود الذين جاءوا الى اسرائيل خلال هذه الفترة ١٦٤ر٩٣٦ مهاجرا جاء ٥٦٪ منهم من أوروبا والباقى من البلدان الأفروآسيوية لا سيما البلدان العربية خـــلال الفترة من ٥٦ ــ ١٩٥٧ أى بعد العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ (٣١) ٠

٤ ــ الموجة الرابعة : ٥٨ ــ ١٩٦٠ :

وقد حملت هـــذه الموجة معهـــا ٧٥ر٤٨٧ مهاجرا جاءوا بالأســاس من بلدان أوروبا الشرقية لا سيما رومانيا ومن البلدان الأفريقية لا سيما الشمال الأفريقى (٣٢) ٠

٥ ــ الموجة الخامسة : ١٩٦٠ ــ ١٩٦٤ :

وقد جاء معها ٢٢٨ر٠٤٦ مهاجرا جـــاء معظمهم من بلدان أفروآسيوية ومن أمريكا اللاتينية ٠

٦ ـ الموجة السادسة : ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ :

وقد حملت ٨١ر٣٢٧ مهاجرا جاءوا بالأساس من بلدان شرق أوروبا وبعض البلدان الأفروأسيوية (٣٣) ·

٧ ـ الموجة السابعة : ٦٩ ـ ١٩٧١ :

وقد جاء خلالها ١١٦ر٤٤٨ مهاجرا جاءوا بالأســـاس من بعض البلدان الأوروبية والأمريكية اللاتينية والولايات المتحـدة ، كما جاء من بلدان آسيا وأفريقيا ٣١ر٠٦٥ مهاجرا أو ٢٦ر٧٪ من اجمالى هذه الموجة (٣٤) ·

٨ ـ الموجة الثامنة : ٧٢ ـ ١٩٧٤ :

وقد حملت معها ١٤٢ر٧٧٥ مهاجرا جاء نحو ٨٩٪ منهم من أوروبا وأمريكا واستراليا (١٢٧ ألفا) وجاء نحـــو ١٣ ألفا من البلدان الأفروأسيوية (٣٥) ·

٩ ـ الموجة التاسعة : ٧٥ ـ ١٩٧٩ :

وقد حملت هذه الموجة معها ٧٩ر١٣٦ جاء ٦١ر٠١٤ منهم من أوروبا وامريكا واســـــتراليا (٨٥ر٢٪) و ١٨ر١٢٢ من الدول الأفروأسيوية (٣٦)

١٠ ـ الموجة العاشرة : ٨٠ ـ ١٩٨٤ :

وقد حملت هذه الموجة معها ٨٣ر٦٣٧ جاء ٦١ر٠١٤ منهم من أوروبا وامريكا (٧٣٪) و ٢٢ر٦٢٣ من البلدان الأفروأسيوية ·

١١ ـ الموجة الحادية عشرة : ٨٥ ـ ١٩٨٨ :

وقـد جاء خـلالها ٤٦ر١٤٦ مهاجرا ٧٦٪ منهم من أوروبا وأمريكا و ٢٤٪ منهم من البلدان الأفروأسيوية (٣٧) · ويلاحظ أن

الموجة الأخيرة (٨٥ ـ ١٩٨٨) تعد من أقل الموجات حملا لليهود الى اسرائيل ٠

١٢ ـ الموجة الثانية عشرة : ١٩٨٩ :

بدأت هذه الموجة بارتفاع أعداد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتى حيث خرج فى عام ١٩٨٩ نحو ٧١ ألفا مقابل ١٨ر٩٦٥ عام ١٩٨٨ وقفز العدد الى نحو ٢٠٠ ألف عام ١٩٩٠ وشهد هـذا العام تزايد نسبة المهاجرين الى اسرائيل من اجمالى المهاجرين من الاتحاد السوفيتى فارتفعت هذه النسبة من ٢ر١٨٪ عام ١٩٨٩ الى ٣ر٩٢٪ عام ١٩٩٠ ٠

وأدى ذلك الى تزايد أعداد المهاجرين اليهود الى اسرائيل ، فوصل خلال عامى ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ فقط ٢٢٣ر٥٦٦ مهاجرا ، وهو عدد يفوق اجمالى عدد المهاجرين الى اسرائيل خلال السنوات العشر السابقة ٧٩ ـ ١٩٨٨ والتى شهدت وصـول ١٦٧ر٠٠٥ مهاجرا أى ما يوازى ٧ر٧٤٪ فقط من اجمالى المهاجرين الـذين وصـلوا الى اسرائيل خلال عامى ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠ ، وشكل يهود الغرب ٣ر٩٦٪ من اجمالى المهاجرين فى عامى ٨٩ ـ ٩٠ فى حين شكل يهود الشرق ٧ر٣٪ ويرجع ذلك بالأساس الى هيمنة يهود الاتحاد السوفيتى خلال عامى ٨٩ ـ ١٩٩٠ (٣٨) ٠

٤ ـ السكان فى اسرائيل : ـ

اختلفت الخريطة السكانية فى أرض فلسطين اختلافا شديدا خلال فترة محدودة بدأت مـع مطلع الأربعينات بحيث أدت موجات الهجرة اليهودية الى ما يشبه الانقلاب الجذرى فى تركيب السكان وأخـذت نسبة اليهود فى التزايد على ذلك الجـزء من الأراضى الفلسـطينية التى حددهـا قرار التقسيم (١٩٤٧) لاقامة اسرائيل

عليها . وجاء ذلك على حساب تراجع نسبة العرب داخـــل الخط الأخضر نتيجة عمليات الترحيل القصوى والطرد الجماعى للعرب .

(أ) اليهـــود : ـ

قفز عدد اليهود داخل الخط الأخضر من ٦٥٠ ألفا فى مايـو ١٩٤٨ الى ٧٥٨ر٧ ألفا فى نهاية ذلك العام ثم أخذ عدد اليهود فى التزايد بفعل موجات الهجرة المتتالية فارتفع عددهم من ٠٠٠ر٢٠٣ر١ عام ١٩٥٠ الى ٣٠٠ر٩١١ر١ عام ١٩٦٠ ثم الى ٠٠٠ر٥٨٢ر٢ عام ١٩٧٠ أو ما يوازى ٤ر٨٥٪ من اجمالى سكان البلاد ومـع نهـاية عام ١٩٨٠ قفز عدد اليهود داخل الخط الأخضر الى ٧٠٠ر٢٨٢ر٣ أو ٧ر٨٣٪ من اجمالى السكان واخيرا بلغ عدد اليهود فى اسرائيل عـام ١٩٩٠ الى ٧٠٠ر٩٤٦ر٣ نسـمة أو ما يوازى ٩ر٨١٪ من اجمالى السكان (٣٩) .

(ب) العرب فى اسرائيل : ـ

أدت موجات الهجرة اليهودية الى فلســطين ثم اسرائيل ، وموجات النزوح العربى ، الى احداث انقـلاب جـذرى فى تركيب سكان فلسطين لحظة اعلان قيام اسرائيل ولذلك انخفض عدد العرب من ٦٠٪ من السكان (٠٠٠ر٣٣٨ر١ نسمة) قبل مايو ١٩٤٨ (٤٠) الى ما لا يزيد عن ١٧٠ ألفا (٥ر١٣٪ من سكان اسرائيل) عـــام ١٩٤٩ . وفى هذا الاطار نشهد تضاربا وعدم دقة فى تحديد عدد من بقى من العرب فى اسرائيل فى أعقاب دولة اسرائيل فعلى حين يقدرهم ويليام برينير بنحو ١٥٦ ألفا (٤١) فان د. شريف كناعنه يقدرهم بما يقارب ١٧٠ ألفـــا (٤٢) فى الوقت الذى قدرتهم مجلة الأرض الفلسطينية بـ ١٦٠ ألفا (٤٣) وهو التقدير الذى أكـــده الباحث شميلن (٥ر١٥٩) ألفا (٤٤) .

ومن هنا يمكن تبني احصاء وسط بين هذه الاحصاءات وهو ١٦٠ ، حيث انه الأقرب الى الاجماع لدى معظم المصادر ٠

ومن هنا نجد انه تم خلال الفترة السابقة واللاحقة مباشرة على قيام اسرائيل ترحيل مئات الآلاف من العرب ٧٢٩ر٢٧٢ (٤٥) الذين توجهوا الى الضفة والقطاع وبلدان أخرى عربية وغير عربية لا سيما الأردن ولبنان وسوريا ثم الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية ٠ وقد جاء هذا الطرد العربى نتيجة لاحتلال العصابات الصهيونية للمدن والقرى العربية وهدم العديد منها وازالته ، حيث تم فى أعقاب قيام اسرائيل هدم ٥ مدن و ٤١٨ قرية عربية اضطر سكانها الى الهرب الى الخارج تحت ضغط أعمال الارهاب ٠

ولذلك أصبح العرب (منذ عام ١٩٤٨) أقلية داخل الخط الأخضر وقد أخذت نسبتهم فى التزايد التدريجى لا سيما مع تراجع معدلات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ونزوح بعض قطاعات اليهود من اسرائيل الى الخارج ٠ وقد ارتفع عدد العرب (ونسبتهم) من اجمالى سكان اسرائيل من ١٦٠ ألفا (أو ٧ر١٣٪ من السكان) عام ١٩٤٩ الى ٣ر٤٢٢ ألفا (٥ر١٤٪ من السكان) عام ١٩٦٩ ثم الى ٧ر٨١٧ ألفا (٢ر١٨٪) من السكان عام ١٩٨٨ وفى ١٩٩٠ بلغ عددهم ٨٧٥ ألفا أو ١ر١٨٪ من اجمالى السكان ٠ الاحصاءات الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ تضيف عرب القدس الشرقية المحتلة الى اجمالى عرب اسرائيل فارتفعت نسبة العرب من ٨ر١١٪ من السكان عام ١٩٦٦ الى ٢ر١٤٪ عام ١٩٦٧ ٠ وبلغ عرب القدس الشرقية عام ١٩٨٨ ، ٣ر١٤٤ ألف نسمة ومن ثم يصل عدد عرب اسرائيل بدون القدس الشرقية الى ٤ر٦٧٣ أو ٠٤ر١٥٪ من اجمالى سكان اسرائيل فى نفس العام ، وفى عام ١٩٩٠ وصل

عدد العرب في اسرائيل الى ٨٧٥ الف نسمة أو ١ر١٨٪ من اجمالى السكان ، ثم الى ٩ر٧٢٣ الف نسمة وبدون سكان القدس - أو ما يوازى ١٠ر١٥ من سكان اسرائيل فى ذلك العام حيث بلغ عدد عرب القدس ١ر١٥١ ألف نسمة (٤٦) .

٥ - السكان فى الضفة الغربية : -

بلغ عدد سكان الضفة فى تعداد عام ١٩٢٢ ، ١٣١ر٣٢٤ أو ١ر٤٣٪ من اجمالى سكان فلسطين (٤٧) ووصل هذا العدد الى ٣٥٧ر٧٩٩ عام ١٩٣١ ثم الى ما بين ٤٢٠ - ٤٩٠ ألفا عام ١٩٤٨ (٤٨) ومع قيام اسرائيل ونزوح أعداد كبيرة من داخل الخط الأخضر الى الضفة حدثت طفرة فى تعداد سكان الضفة اذ نزح اليها نحو ٢٨٠ ألف فلسطينى ولذلك ارتفع عدد سكان الضفة الى ٧٤٢ ألف نسمة عام ١٩٥٢ (٤٩) ، استمر عدد السكان فى التزايد الى أن جاءت حرب يونيو ١٩٦٧ حيث احتلت اسرائيل المنطقة مما أسفر عن فرار حوالى ٣٨٢ ألفا من سكانها (أو ٩ر٣٨٪ من اجمالى سكان الضفة فى ذلك الوقت) فانخفض عدد سكانها الى ٤٩٤ر٦٦٤ فى سبتمبر ١٩٦٧ (٥٠) وقد استمر عدد سكان الضفة فى الانخفاض نتيجة لاستمرار موجات النزوح العربى فوصل فى نهاية ١٩٦٨ الى ١ر٥٨٣ ألف نسمة ثم بدأ الاستقرار مع نهاية عام ١٩٦٨ وقد توزع سكان الضفة عام ١٩٦٧ بحسب الأقضية الثمانية التى تضمها المنطقة توزيعا غير متناسق بحيث تركز ٤ر١٤ منهم فى قضاء القدس الذى كان يشكل ٩ر٥٪ فقط من مساحة الضفة كما تركز ٩ر١٠٪ منهم فى قضاء طولكرم فى حين أن مساحته تبلغ ٩ر٥٪ فقط من مساحة الضفة فى حين تركز ٩ر٢٢٪ منهم فى نابلس التى تشغل ٢٨٪ من مساحة الضفة وتركز ٤ر٧٪ منهم فى بيت لحم التى تشغل نسبة ٣ر١٠٪ من مساحة الضفة .

وفى أعقاب الاستقرار وتوقف موجات النزوح العربى من الضفة ، بدأ عدد السكان فى التزايد بفعل عوامل الزيادة الطبيعية المرتفعة فارتفع العدد من ٩ر٥٨٥ ألفا عام ١٩٦٧ الى ٦ر١٢٢. ألفا عام ١٩٧١ ثم الى ٣ر٧٢٤ ألفا عام ١٩٨٠ ثم الى ٨٩٥ ألفا عام ١٩٨٨ وأخيرا وصل عدد السكان الى ٠٠٠ر٩٥٥ ألف عام ١٩٩٠ (٥١) .

هذا وقد بلغ عدد اللاجئين فى الضفة عام ١٩٨٦ نحو ٢١٥ ألف ١٦٦ر٨٢ منهم فى مخيمات أبرزها بلاطة (٦٧٨ر١٠ نسمة) ، وطولكرم (٦٣٩ر٨ نسمة) وحنين (٥٩٠ر٧ نسمة) وعسكر (٩٩٥ر٦ نسمة) (٥٢) .

٦ ـ السكان فى القطاع : ـ

ارتفع عدد سكان قطاع غزة من ٧٠ ألفا عام ١٩٤٧ الى ٥٢٠ر٨٨ ألف عام ١٩٥٠ ثم الى ٧ر١١٨ ألفا عام ١٩٦٠ ، هذا عدا عدد اللاجئين الذين نزحوا من داخل الخط الأخضر خلال الفترة من ٤٨ ـ ١٩٥٠ والذين وصل عددهم عام ١٩٥٠ الى نحو ٢٠٠ ألف نسمة (٥٣) ثم ارتفع عدد اللاجئين عام ١٩٦٠ الى ٥٤٢ر٢٥٥ وأخيرا ٥٣٨ر٣٧١ عام ١٩٨١ منهم ٤٨٤ر٢٠٣ فى المخيمات و ٥٠٤ر١٦٨ فى أماكن أخرى غير المخيمات (٥٤) وقد برزت سبعة مخيمات كبرى فى قطاع غزة بلغ تعداد بعضها اكثر من ٤٠ ألف نسمة حسب احصاءات عام ١٩٨٦ مثل جباليا (١٧٨ر٤٣ نسمة) رفح (٥٩٧ر٤٢ نسمة) ومخيمات أخرى أقل تعدادا ولكنها ذات كثافة مرتفعة مثل الشاطىء (٥٢٧ر٢٣) خان يونس (٥٠١ر٢٩ نسمة) والبريج (٠٩٦ر١٣) (٥٥) .

ومع احتلال اسرائيل للقطاع فى حرب يونيو ١٩٦٧ نزحت قطاعات واسعة من السكان صوب مصر والأردن وغيرهما وقد بلغ

اجمالى عدد النازحين حوالى ١٠٠ الف نسمة (أو ٩ر٢١٪ من سكان القطاع فى ذلك العام) (٥٦) ومن هنا وصل تعداد سكان القطاع الى ٨ر٣٥٦ عام ١٩٦٨ وأخذ فى الارتفاع حتى وصل الى ٥ر٤٥٦ ألفا عام ١٩٨٠ ثم الى ٦٤٢ ألفا عام ١٩٩٠ (٥٧) ٠

الزيادة الطبيعية وصافى الهجرة فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة : ــ

تمثل معدلات الزيادة الطبيعية الفارق بين معدلات المواليد ومعدلات الوفيات وفى هذا الاطار يتمتع العرب فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة بمعدلات زيادة طبيعية مرتفعة بالمقارنة بمثيلتها لدى اليهود ٠ وتكمن أهمية معدلات الزيادة الطبيعية فى أنها لا تخضع مباشرة لسيطرة السلطات الحاكمة ، وبمعنى آخر تتقلص قدرة السلطات الحاكمة على التحكم فى هذه المعدلات لا سيما فى المدى الزمنى القصير ٠

ومن هنا تكمن أهمية ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية لدى العرب فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة وتزداد أهمية دور الزيادة الطبيعية فى الأوقات التى تتقلص فيها محصلة صافى الهجرة ٠

وصافى الهجرة هو محصلة الفارق بين التحركات السكانية القادمة والمغادرة للبلاد خلال فترة معينة ٠ وبعكس الزيادة الطبيعية فان الهجرة تخضع لسيطرة السلطات الحاكمة على الأقل بدرجة أكبر مما هو عليه الحال بالنسبة للزيادة الطبيعية ، اذ يمكن للسلطات أن تدفع بقطاعات واسعة من سكانها للهجرة الى الخارج وتمنع عودتهم أو تفتح باب الهجرة لدخول فئات معينة من البشر دون فئات أخرى ٠

ونظرا لأن معدلات الزيادة الطبيعية مرتفعة لدى العرب سواء فى اسرائيل (حيث تصل معدلات المواليد لدى العرب ٣٥ر٥ فى الألف مقابل ٢٠ر٢ لدى اليهود ، فى حين تصل معدلات الوفيات الى ٣ر٥ فى الألف لدى العرب و ٧ر٣ فى الألف لدى اليهود وذلك عام ١٩٨٨) أو فى الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ (حيث تصل معدلات المواليد الى ٤١ر٣ فى الألف فى الضفة و ٤٧ر٧ فى الألف فى القطاع مقابل معدلات وفيات تصل الى حوالى ١٥ فى الألف فى الضفة والقطاع) ، فان اسرائيل اعتمدت بشكل أساسى على تدفق موجات الهجرة اليهودية من الخارج لضمان استمرار تفوق وهيمنة اليهود فى اسرائيل ولاستيطان مناطق محددة فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ٠

وشهدت حقبة الثمانينات تراجع موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل مع بروز ملامح هجرة مضادة ـ نزوح ـ لليهود من اسرائيل الى الخارج ، وفى هذا الاطار ظهر الحديث عن « القنبلة الديموجرافية العربية » ووصلت بعض الدراسات التى أجريت حول الموضوع الى نتيجة مؤداها أن تزايد عدد العرب فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة سوف يؤدى ـ على المدى البعيد ـ الى حسم الصراع لصالح العرب ، بعد أن يذوب اليهود فى الأغلبية العربية ، وعلى الرغم من تدفق موجات اليهود من الاتحاد السوفيتى السابق فى أواخر الثمانينات ، الا أن تراجع هذه الموجات واستمرار معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب ، أدى الى استمرار النتائج التى توصلت اليها عديد من الدراسات ، وهو الأمر الذى يفسر به البعض اعلان حكومة اسرائيل خلال مارس ١٩٩٣ رغبتها فى الانسحاب من قطاع غزة بقرار منفرد ٠

ومن هنا يثور التساؤل عن حدود الدور الذى يمكن أن يلعبه المتغير السكانى (تزايد نسبة وعدد العرب فى اسرائيل والأراضى

الفلسطينية المحتلة) على مستقبل التسوية السياسية للصراع العربي ـ الاسرائيلي ؟

ثالثا : حدود تأثير المتغير السكاني على عملية التسوية : ـ

بعد استعراض طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي باعتباره صراعا اجتماعيا ممتدا ، الأمر الذى يعلى من دور المتغير السكانى ، واستعراض الأوضاع السكانية فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ يثور التساؤل : هل يمكن الاعتماد على العامل الديموجرافى بمفرده لحسم الصراع العربى ـ الاسرائيلى مستقبلا ؟

ظل هذا السؤال مطروحا بقوة خلال حقبة الثمانينات ، حيث أكد العديد من الدارسين العرب على أن الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب فى اسرائيل والأراضى المحتلة ستؤدى الى تفوق سكانى عربى ، فى مواجهة أقلية يهودية ، الأمر الذى يؤدى على المدى البعيد ـ بالتحديد بحلول عام ٢٠٢٥ ـ الى حسم الصراع لصالح العرب بعد أن يذوب اليهود فى الأراضى الفلسطينية وأكد ذلك أيضا بعض الدارسين اليهود فى اسرائيل وخارجها حيث تحدثوا كثيرا عن القنبلة الديموجرافية العربية وعن احتمالات زوال الدولة اليهودية بعد ابتلاع العرب لليهود على المدى الطويل ٠

الواقع أن الاستنتاج الذى وصل اليه هؤلاء الدارسون العرب واليهود قد استند الى معدلات الزيادة الطبيعية التى تعمل لصالح العرب فى حقبة شهدت أدنى معدلات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ومن هنا خرجت العديد من التوقعات لعدد السكان اليهود والعرب فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية ـ أو الاسقاطات السكانية ـ التى توصلت الى نتيجة واحدة مؤداها أن العرب سوف يتحولون الى أغلبية فى أرض فلسطين فى حين أن اليهود سوف يشكلون أقلية سكانية تتناقص نسبتها من اجمالى السكان بمرور الوقت ٠

وفى مواجهة هذا الاتجاه كان هناك اتجاه آخر مسلم بدور الزيادة الطبيعية العربية في الضغط على اسرائيل من أجل التوصل الى حل ما للصراع ولكن ليس بالضرورة أن تؤدي هذه الزيادة الطبيعية المرتفعة لدي العرب الى حسم الصراع لصالح العرب أو اجبار اسرائيل على الدخول فى عملية سلام تسلم من خلالها بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، بل هناك من أكد علي أن الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب يمكن أن تدفع اسرائيل الى محاولة القضاء على القضية الفلسطينية من خلال القيام بعملية « ترانسفير » أو « ترحيل » لجزء كبير من الشعب الفلسطينى باتجاه شرق الأردن (٥٨) ، وهناك أيضا من بين أنصار هذا الاتجاه من أكد على أن التعويل على العامل الديموجرافي أمر ينطوى على خداع للنفس (٥٩) ·

اذا كان للعامل الديموجرافى دور هام فى مستقبل الصراع الا أنه لا يمكن التعويل على الزيادة السكانية العربية فى اسرائيل والأراضى المحتلة بمفردها لاجبار اسرائيل مستقبلا على الرضوخ لحل سلمى عادل للقضية الفلسطينية فمن ناحية نجد أن اليهود ـ ومن خلال صافى الهجرة ، استطاعوا الحفاظ على نسبتهم المرتفعة فى اسرائيل والاستمرار فى توطين المهاجرين الجدد فى الأراضى المحتلة كما أن الزيادة الطبيعية العربية تتلاشى معظم نتائجها فى الأراضى المحتلة بسبب ارتفاع معدلات النزوح الى الخارج ·

ومن ناحية ثانية ، فانه حتى مع استمرار الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب ، وفى ظل تراجع النزوح العربى والهجرة اليهودية الى اسرائيل ، فان الدور الذى يمكن أن يلعبه العامل الديموجرافى سوف يتسم بالمحدودية بل الهامشية اذا تم الاعتماد على مجرد الأرقام فقط أى نسبة الفئات المختلفة من السكان بحسب

العرق ، اللغة ، الدين ـ فالتجارب التاريخية تثبت قدرة الأقلية على التحكم فى الأغلبية لفترة طويلة جدا ، وان الحل دائما يأتى من خلال تفاعل العامل الديموجرافى مـع مجموعة عوامل أخـرى سياسية واقتصـادية وعسـكرية ولذلك فاذا كان هنـاك من دور للعـامل الديموجرافى فى تحديد مسار الصراع مستقبلا ، فان هـذا الدور يأتى فى اطار تفاعل العامل الديموجرافى مـع العوامل الأخـرى السياسية والاقتصادية والعسكرية فى منظومة متكاملة تشكل برنامجا متكاملا يكون للعامل الديموجرافى فى اطارها دور محدد يتكامل مع الأدوار التى تلعبها العوامل الأخرى ٠

واذا كان هناك من دور للعامل الديموجرافى فى حل الصراع فى الوقت الراهن ، فسوف يكون قاصرا على تحديد شكل الحـل ، أى تحديد المناطق التى ترغب اسرائيل فى تجنب ضمها نظرا للكثافة السكانية المرتفعة وللأنشطة المعادية للاحتلال ومن ثم نجد مصـلحة اسرائيل تقتضى عدم ضم المناطق كثيفة السكان بالعرب حتى لا تزيد من حدة مشكلاتها السكانية الخاصة بزيادة نسبة العرب فى اسرائيل والأجـزاء التى ترغب فى ضـمها من الأراضى المحتلة حيث ترغب اسرائيل لأسباب اقتصادية ، أمنية فى ضم أجزاء معينة من الأراضى المحتلة وفى نفس الوقت لا تتعرض اسرائيل لفقـدان صفتها كدولة يهودية أو كدولة ديمقراطية ٠

الخيارات المطروحة لحل الصراع ودور العامل السكانى فيها :

تتعدد الخيارات المطروحة لحل الصراع العربى ـ الاسرائيلى وتتراوح ما بين الانسحاب الاسرائيلى التام من الأراضى الفلسطينية المحتلة الى ضم هذه الأراضى مرورا بالانسحاب الجزئى ، وفى كـل خيار من هذه الخيارات يلعب العامل السكانى دورا هاما وسـوف نرصد هذا الدور فى كل خيـار من الخيـارات الثلاثة ، ونركز على

دور العامل السكانى فى التوصل الى تسوية سلمية للصراع انطلاقا من الوضع الراهن ثم تحدد ملامح استراتيجية عربية لغرض الحل العادل انطلاقا من توظيف العامل السكانى ٠

١ ـ خيار الانسحاب التام والعامل السكانى :

يمكن خيار الانسحاب التام ، اسرائيل من التخلص من مشكلة السكان العرب بحيث يحصرها فى اطار محدود داخل الخط الأخضر وفى هذه الحالة فان أقصى تقديرات لعدد عرب اسرائيل تصل بعددهم عام ٢٠١٠ ـ وفقا لاسقاطات الكتاب الاحصائى الاسرائيلى لعام ١٩٨٩ ـ الى ٧ر١٥١١ر١ نسمة او ما يوازى نحو ٢٣٪ من اجمالى سكان اسرائيل فى ذلك العام ٠ هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه الاسقاطات وضعت فى ظل صافى هجرة سنوية لليهود يقدر بنحو خمسة آلاف مهاجر فى حين بلغ صافى الهجرة عام ١٩٩٠ نحو ١٩٠ ألفا الأمر الذى يقلص نسبة العرب فى اسرائيل من اجمالى السكان وهو تقلص مستمر فى ظل استمرار تدفق اليهود السوفييت ٠

ومن ناحية ثانية فان هذا الخيار يوقف عمليات توطين اليهود فى الأراضى المحتلة مع احتمالات اعادة توطين المستوطنين الموجودين حاليا فى الأراضى المحتلة ، داخل اسرائيل الأمر الذى يقود الى تزايد عدد اليهود داخل اسرائيل ويؤدى الى زيادة الكثافة السكانية حيث مازالت محدودة الكثافة مقارنة بالمناطق الأخرى ٠ فقد بلغت الكثافة السكانية فى المنطقة الجنوبية عام ١٩٩٠ نحو ٨ر٣٧ نسمة / كم مربع ٠ ويمكن أن يقود ذلك الى بعض المشاكل والصراعات التى ربما تؤثر على تدفق المهاجرين الجدد لا سيما من الاتحاد السوفيتى ـ السابق ـ نظرا لأن هؤلاء المهاجرين يفضلون الاستيطان فى المناطق الوسطى التى تتسم بالتكدس السكانى مثل تل أبيب التى وصلت كثافة السكان فيها عام ١٩٩٠ الى ٣٩٤ر٦٤ نسمة / كم مربع وحيفا التى بلغت كثافتها السكانية ٤ر٧٦٨ نسمة

/ كم مربع والمنطقة الوسطى التى بلغت كثافتها ٧ر٨٣٠ نسمة / كم مربع ، وسوف يأتى ذلك على حساب الأوضاع المعيشية للعرب الذين يتركزون بالأساس فى المناطق الشمالية (٤٧٪ عام ١٩٩٠) وحيفا (٨ر١٥٪ عام ١٩٩٠) والوسطى (٦ر٩٪ عام ١٩٩٠) نظرا لأن السلطات الاسرائيلية سوف تسعى لاستيعاب اليهود على حساب العرب وربما يطرح ذلك فكرة نقل أكبر عدد ممكن من عرب اسرائيل الى الضفة والقطاع فى اطار اتفاقات السلام التى ستنظم الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى المحتلة ٠

كذلك يمكن القول ان الانسحاب الاسرائيلى التام من الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وان كان يساعد اسرائيل على التخلص من مخاطر الزيادة السكانية العربية ، الا أنه لا يمكننا القول انه يمكن أن يدفع – فى حد ذاته – باسرائيل الى قبول فكرة الانسحاب التام ٠

حيث ان خيار الانسحاب التام للقوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، والعودة الى حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، هو خيار مرفوض بشكل قاطع من قبل القوى السياسية الفاعلة فى اسرائيل حيث يرون أن هذا الخيار يحمل مخاطر شديدة للأمن الاسرائيلى ولا يشكل العامل السكانى ضغوطا كافية لحمل اسرائيل على الانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة ٠

٢ – خيار ضم الأراضى المحتلة والعامل السكانى :

قيام اسرائيل بضم الأراضى المحتلة يعنى ضم نحو ٦ر١ مليون عربى واعطاءهم حقوقا مدنية كاملة وهو ما يعيد الحديث عن احتمالات الانقلاب الديموجرافى فى أرض فلسطين ، حيث سيكون الحديث هنا عن نحو ٥ر٢ مليون فلسطينى فى مواجهة نحو ٨ر٣ مليون يهودى ،

أى أن العرب سوف تتزايد نسبتهم بين اجمالى سكان اسرائيل من ١٨ر١٪ قبل الضم الى نحو ٤٠٪ بعد الضم ٠

وكذلك يعيد هـــذا الضـــم الحديث بقوة عن ضرورة ترحيل قطاعات واسعة من فلسطينيي الأراضى المحتلة خارج ديارهم أو فكرة « الترانسفير » ونظرا لأن « الترانسفير » فكرة أصيلة لدى زعمـــاء الحـــركة الصهيونية ومازالت تحظى بتأييد العديد من القيـــادات السياسية فى اسرائيل ، فاننا نؤكد أن اللجوء الى خيار الضم لابد أن يسبقه أو يعقبه مباشرة القيام بعملية ترحيل لقطاعات واســعة من الشعب الفلسطينى ، حيث عن طــريق الترانسفير وحــده يمكن تجنب كافة النتائج السياسية والاقتصادية والأمنية المترتبة على خيار الضم وهو ما أكده خبراء اسرائيليون فى احـــدى دراســـاتهم من سيناريوهات حل الصراع العـــربى الاسرائيلى وذلك بعد دراســـة مستفيضة حيث اكدوا على أنه لا ضم بدون « ترانسفير » (٦٥) ٠ ويرون أن هذا الترانسفير يمكن أن يحدث بالاقناع ، الضغط ، فى اطار اتفاق سلام أو بالقوة المسلحة ٠

الضم بدون ترانسفير !

اذا كان هناك اتفاق عام بين أنصار ضم الأراضى المحتلة على أنه لا يمكن أن يكون هناك ضـــم بدون ترانسفير ، فان مرجع ذلك بالأساس هو الخوف من تحول اليهود على المدى البعيد الى أقليـــة ذلك لأن الضم بدون ترانسفير يرفع عـــدد العـــرب فى اسرائيل الى ٢ر٤٧٢ مليون نسمة أو ما يوازى ٥ر٣٨٪ من اجمالى سكان أرض فلسطين التاريخية وهى نسبة سوف تتزايد باستمرار لارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية لدى العرب بالمقارنة باليهود ٠ فضلا عن احتمالات انحسار الهجرة اليهودية التى يقتصر دورها على تأجيل مؤقت لدور الزيادة الطبيعية العربية فى تحقيق التفوق العددى على المدى البعيد

كما تظهر الاسقاطات السكانية المختلفة ، كذلك فان قيـــام اسرائيل بضم الأراضى المحتلة سوف يخلق مشاكل هائلة بعد أن يصبح عرب هذه الأراضى مواطنين اسرائيليين يجب أن يتمتعوا بالمساواة فى ظل مجتمع يعلن أنه ديمقراطى ٠ ومن هنا تظهر معضـــلة اسرائيل فى التعامل مع هؤلاء السكان فاما أن يصبحوا مواطنين اسرائيليين على قدم المساواة مع اليهود وهنـــا يفقد اليهود هيمنتهم على الدولة ، واما يتم تطبيق سياسات تفرقة عنصرية وفصـــل عنصرى ، فتفقد اسرائيل طابعها الديمقراطى وتدخل فى مرحلة من الصراع الداخلى بين العرب واليهود الى الدرجة التى يمكن أن تشهد حربا أهلية بين العرب واليهود ٠ ومما يفاقم المشكلة بالنسبة لاسرائيل أن معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب تجعـل المجتمع العـــربى فى اسرائيل فتيا بالمقارنة بالمجتمع اليهودى ، ففى عـــام ١٩٩٠ بلغت نسبة من هم دون الخامسة من العرب حوالى ١ر١٥٪ من اجمـالى العرب فى اسرائيل مقابل ٨ر٩ لليهود ، كما بلغت نسبة من هم دون الخامسة عشرة من العـرب ٥ر٤١ مقابل ٩ر٢٨٪ لليهود فى الوقت الذى بلغت فيه نسبة من هم فوق الخامسة والستين ٣٪ من العـرب مقابل ٣ر١٠ لليهود ، وفى الأراضى المحتلة ترتفع هذه النسبة ، ففى الضفة الغربية يشكل من هم دون الخامسة من العمر ــ عام ١٩٩٠ ــ نحو ٧ر١٩٪ من اجمالى السكان ، ترتفع الى ٥ر٢١٪ فى قطـــاع غزة ٠ أما نسبة من هم دون الخامسة عشرة فتصل الى ٥ر٤٧٪ فى الضفة والى ٤٩٪ فى القطاع ، والمؤكد أن ارتفاع نسبة صغار السن فى المجتمع العربى تعنى مزيدا من القوة لهذا المجتمع ومن ثم مزيدا من المطالب الأمر الذى يتطلب تنمية حقيقية لهذه المناطق مع ارتفـاع احتمالات الصدام مع السلطة ٠

وبالنسبة لدور صافى الهجرة فيلاحظ أن هذا الدور قد اختلف من فترة لأخرى بحسب اعداد المهاجرين الجدد والنازحين من اليهود ،

فبينما ارتفع دور صافى الهجرة فى بعض الفترات مثل السبعينات ـ حيث شكل صافى الهجرة نحو ٢٩٪ من اجمالى الزيادة السكانية اليهودية عام ١٩٧٠ ـ فان هذا الدور تقلص فى حقبة الثمانينات حيث وصل الى ٥ر٥٪ من اجمالى الزيادة السكانية لليهود عام ١٩٨٠ وكان سلبيا عام ١٩٨٥ حيث وصل الى ٠٠٧ر (حيث هاجر الى اسرائيل فى ذلك العام ١٠ر٦٤٢ وغادرها ١٠ر٩٦٢ فى حين بلغ اجمالى الزيادة السكانية ٤٤ر٢٠٠ نسمة) وأخذ دور صافى الهجرة فى الارتفاع التدريجى ليصل عام ١٩٨٨ الى ٢ر٧٪ من اجمالى الزيادة السكانية لليهود ثم الى ٢٧ر٧٪ عام ١٩٨٩ وأخيرا قفز الى ٨٣٪ عام ١٩٩٠ ـ حيث هاجر الى اسرائيل ١٩٩ر٥١٦ وغادرها ٨ر٨٨٥ فى حين بلغ اجمالى الزيادة السكانية لليهود فى ذلك العام ٢٢٩ر٥ ألف نسمة) وهى نسبة يتوقع استمرارها حول نفس المعدل بسبب تدفق اليهود السوفييت ، ومن هنا فصافى الهجرة بالنسبة لليهود كان باستمرار مكونا رئيسيا فى الزيادة السكانية الاجمالية ، أما بالنسبة للعرب فينعدم دور صافى الهجرة بالنسبة للعرب فى اسرائيل أما بالنسبة لسكان الأراضى المحتلة فان صافى الهجرة يلعب دورا سلبيا ، اذ هناك نزوح باستمرار من الأراضى المحتلة الى الخارج (سواء للدراسة أو للعمل مع عدم عودة قطاعات معينة لا توجد احصاءات دقيقة بصددها) وفى هذا الاطار غادر الضفة الغربية خلال الفترة من ١٩٦٨ ـ ١٩٨٩ حوالى ١٦٨ر٩ ألفا أو مايوازى ٣٤٪ من اجمالى الزيادة الطبيعية للسكان والتى بلغت خلال نفس الفترة ٢٧٢ر٦ ألفا أو نحو ٢٨ر١٪ من اجمالى الزيادة الطبيعية للسكان خلال نفس الفترة والتى بلغت ٣٦٨ر٩ ألفا .

وفى عام ١٩٨٩ غادر الضفة ١٣ر١ ألفا أو نحو ٣٨ر٩٪ من اجمالى الزيادة الطبيعية والتى بلغت ٣٣ر٧ ألفا كما غادر

القطاع ٧ر٦ ألف نسمة فى نفس العام أو نحو ٣ر٢٣٪ من اجمالى الزيادة الطبيعية فى ذلك العام والتى بلغت ٧ر٢٨ الف نسمة ٠

ومن هنا فان دور العامل الديموجرافى ـ وان ظل فى صالح العرب على المدى الطويل ـ فانه فى الوقت الذى يميل فيه لصالح اسرائيل كالوقت الراهن بسبب تدفق موجات المهاجرين الجدد ـ لا يمكن التعويل عليه كثيرا فى تغيير التركيبة السكانية الى الدرجة التى تحسم الصراع وهو ما يؤكده ، نائب رئيس مركز « يافا » للدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب الذى أكد ان مشكلة اسرائيل السكانية ستظل قائمة ولن تنجح الهجرة فى حلها وانما ستنجح فى تأجيلها ، فهى مشكلة بنيوية لا يمكن حلها الا عن طريق الابادة أو التهجير (٦١) ٠ وقد أكد نفس المعنى الديموجرافى الاسرائيلى سيرجو ديلا برجولا بقوله : ان دور الهجرة يؤجل التعادل السكانى ولا يحل المشكلة ، فكل ١٠٠ ألف مهاجر يهودى يؤجل التعادل بين العرب واليهود لمدة عام (٦٢) ٠

وفى نفس الوقت لا يمكن التهوين من شأن دور الهجرة فى تكثيف الاستيطان اليهودى فى الأراضى المحتلة وخلق حقائق سكانية على أرض الواقع تغير من تركيب وتوزيع السكان فى الأراضى المحتلة هذا بالاضافة الى ما تضيفه الهجرة من قوة بشرية واقتصادية وعسكرية تفيد اسرائيل على المدى الطويل ٠

نخلص مما سبق الى التأكيد على أنه لن يكون هناك قرار اسرائيلى بضم الأراضى المحتلة ما لم يسبقه أو يتزامن معه أو يليه مباشرة ترحيل ـ ترانسفير ـ لمئات الآلاف من العرب خارج الأراضى المحتلة ٠

خيار الحفاظ على الوضع الراهن والعامل السكانى : -

يحقق خيار « الوضع الراهن » العديد من المزايا الديموجرافية لاسرائيل فبقاء الأراضى المحتلة دون ضم قانونى يعنى عدم تمتع سكانها بالجنسية الاسرائيلية ولذلك يبقى العرب فى اسرائيل أقلية لا تزيد عن ١٨٪ من اجمالى السكان وهو ما يحافظ لاسرائيل على طابعها اليهودى ويتيح استمرار الوضع الراهن لسلطات الاحتلال الفرصة لتنفيذ « الترانسفير » عندما تحين الظروف الملائمة لذلك حسبما ترى القيادات الاسرائيلية ويذكر ان سلطات الاحتلال الاسرائيلى ترى فى الترانسفير الحل النموذجى للتخلص من الكثافة العربية المرتفعة فى الأراضى المحتلة أو على الأقل أجزاء رئيسية منها · وتتم عمليات التوطين فى الأراضى المحتلة انطلاقا من الايمان بأن الترانسفير سوف ينفذ ان عاجلا أو آجلا ومن ثم فلا داعى للخوف من الكثافة العربية المرتفعة · وقد أعلن ذلك صراحة وزير المواصلات الاسرائيلى فى ١٩٨٢/١٠/١١ أثناء افتتاح احدى المستوطنات الجديدة بضواحى نابلس مخاطبا المستوطنين « لا تقلقوا من الكثافة السكانية العربية فى تلك المناطق فحينما ولدت فى بتاح تكفيا - داخل الخط الأخضر - كانت تحيط بنا أيضا قرى عربية ثم اختفت كلها بعد ذلك (٦٣) ·

وفى الوقت الراهن تعتمد اسرائيل على عمليات الخنق الاقتصادى والاجتماعى والأمنى (أى الترانسفير الاضطرارى) وكذلك الابعاد (الطرد) من أجل دفع سكان الأراضى المحتلة الى الرحيل ، بل هناك اتجاهات فى اسرائيل ترى أن تقوية نفوذ الجماعات الدينية الاسلامية الأصولية فى الأراضى المحتلة فى الوقت الراهن يفيد فى دفع المسيحيين الذين يتركزون بالأساس حول مدينة القدس الى الهجرة خارج الأراضى الفلسطينية (٦٤) ومن هنا كانت تغذية حركة « حماس » وتدعيم نفوذها الذى حقق

هدفا آخر لسلطات الاحتلال وهو ضرب التيار العلماني فى الأراضي المحتلة ومن ثم الوحدة الوطنية وأيضا نفوذ وقواعد منظمة التحرير الفلسطينية فى الأراضي المحتلة ·

وتستغل سلطات الاحتلال أعمال المقاومة الوطنية فى الأراضي المحتلة لتمارس أعمال القمع والارهاب ونسف المنازل ومصادرة الأراضي والسجن والاعتقال بل والابعاد الذى هو الهدف النهائى من وراء كافة الأعمال الارهابية · وخلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الانتفاضة الكبرى سقط آلاف الفلسطينيين ما بين شهداء وجرحى عدا المعتقلين والمبعدين كما يظهر من الجدول التالى : ـ (٦٥)

م	العدد
شهداء	١٠٦٥
جرحى	٥٨٠٠٠
معتقلون	٦٢٠٠٠
مبعدون	٦٤
هاربون	٣٠٠٠
اغلاق منازل	١٣٣٤
احراق اشجار	٤٠٠٠
سيارات	١٠٠٠٠

كذلك تهدف سلطات الاحتلال من وراء الحفاظ على الوضع الراهن لأطول فترة ممكنة الى استغلال هذا الوقت فى استيعاب وتوطين أعداد كبيرة من المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفييتى السابق لا سيما حول وعبر مناطق التجمعات السكانية العربية الكثيفة فى محاولة لاختراق هذه التجمعات وتمزيقها · وعلى الرغم من المزايا الديموجرافية التى تجنيها اسرائيل من وراء

الحفاظ على الوضع الراهن ، الا أن هذه المزايا يمكن أن تنقلب الى مخاطر فى حالة تصعيد أعمال المقاومة المسلحة بكثافة فى الأراضى المحتلة وبالتحديد ضد المستوطنات الأمر الذى يهدد أمنها وتصبح طاردة للسكان ٠

خلاصـــــة : ـ

يمكن القول ان تأثير المتغيرات السكانية يتزايد ويلعب دورا كبيرا فى اطار نمط محدد من هـــذه الصراعات وهـــو الصراع الاجتماعى الممتد Protracted Social Conflict وذلك نظرا للطبيعة الخاصة لهذا النمط من الصراعات الذى يتسم بالاستمرارية والامتداد خـــلال فترة طـــويلة من الزمن وتتميز تفاعلاته العدائية بالكثافة والتكرار والتقلب ، كما تتسم هذه التفاعلات بالانتشـــار داخل المجتمع أو بين المجتمعات المتصارعة ، بحيث يصبح الصراع فى حد ذاته مصـــدرا لمزيد من التفاعلات العدائية والصراعية ، كما يحدد الصراع الاجتماعى الممتد ، الصورة القومية والتماسك الاجتماعى لدى الجماعات المتصارعة ، أيضا فان هذا النمط من الصراعات يتسم بعمق المسببات مما يجعله يستعصى على الحـــل السريع ، فالصراع الاجتماعى الممتد يضرب بجذوره فى الانقسامات الاثنية أو القومية ، الأمر الذى يعطى للمتغيرات السكانية تأثيرا أكبر على مسار هذا النمط من الصراعات ٠

والصراع العـــربى ـ الاسرائيلى هو صراع اجتماعى ممتـــد اذ يتسم بكافة سمات هذا الصراع وهى الاستمرارية والامتداد ، التقلب فى الكثافة والتكرار ، الانتشار ، غياب نقطة محددة لانتهاء الصراع ، وأخيرا ذاتية الحل ٠

ومن هنا فان العامل السكانى يلعب دورا رئيسيا فى تحديد مستقبل الصراع ٠

وفيما يتعلق بحدود تأثير المتغيرات السكانية على مستقبل عملية التسوية للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، يمكن أن نسجل النتائج التالية : ـ

أولا : على الرغم من الدور الهام الذى تلعبه المتغيرات السكانية فى تحديد مسار ومستقبل الصراع العربى ـ الاسرائيلى باعتباره صراعا اجتماعيا ممتدا ، الا أن هناك العديد من القيود التى تحد من تأثير هذه المتغيرات وتقود الى تهميش دورها فى تحديد مسار ومستقبل الصراع ومن أبرز هذه القيود : ـ

١ ـ الانخفاض المستمر فى معدلات الزيادة الطبيعية العربية فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، فعلى الرغم من أن معدلات الزيادة الطبيعية تظل من القضايا الخارجية ـ الى حد كبير ـ عن سيطرة السلطات ، الا أن معدلات المواليد تقلصت لدى عرب اسرائيل من ٥٥٫٢ فى الألف عام ١٩٦٠ الى ٣٥٫٥ فى الألف عام ١٩٨٨ ، كما انخفضت فى الضفة من ٤٣٫٩ فى الألف عام ١٩٦٨ الى ٤١٫٣ فى الألف عام ١٩٨٨ ، ووصلت فى القطاع المحتل الى ٤٧٫٤ فى الألف عام ١٩٨٨ .

٢ ـ على الرغم من أن معدلات الزيادة الطبيعية لدى العرب فى اسرائيل والأراضى المحتلة مازالت مرتفعة بالمقارنة بمثيلتها لدى اليهود ، الا أن تأثيرها محدود فى المنتج النهائى نظرا لأن النزوح الفلسطينى من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ يلتهم معظم صافى الزيادة الطبيعية ، ويظهر ذلك من وصول معدل النمو الحقيقى للسكان العرب خلال الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٨٢ الى ١٫٤٪ فى الوقت الذى بلغ فيه المعدل ٤٫١٪ ، وبلغت نسبة النازحين خلال الفترة من ٦٨ ـ ١٩٨٩ نحو ٣٤٪ من اجمالى الزيادة الطبيعية فى الضفة الغربية

و ١ر٢٨٪ فى قطاع غزة ، ووصلت هذه النسبة عام ١٩٨٩ الى ٣٨٪ فى الضفة و ٣ر٢٣٪ فى القطاع ٠

٣ ــ على الرغم من تدنى معدلات الزيادة الطبيعية لدى اليهود مقارنة بالعرب ، حيث بلغت معدلات المواليد عام ١٩٩٠ ، ٤ر١٩ فى الألف ، الا أن صافى الهجرة كان باستمرار المكون الرئيسى للتجمع اليهودى على أرض فلسطين ، حيث شكل صافى الهجرة نحو ٦٦٪ من اجمالى الزيادة السكانية اليهودية خلال الفترة من ٤٨ ــ ١٩٦٥ ، ونحو ٨٣٪ خلال عام ١٩٩٠ ، وذلك بسبب تزايد أعداد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتى ــ السابق ــ حيث استقبلت اسرائيل خلال ذلك العام نحو ٢٠٠ ألف مهاجر ، وبلغ اجمالى المهاجرين اليهود الى اسرائيل خلال الفترة من ١٩٤٨ ــ ١٩٩٠ نحو ٥١٩ر٢٣٣ر٢٠٠٠ مهاجرا ٠ ومن هنا فان صافى الهجرة المرتفع لدى اليهود يساعد اسرائيل على تحييد فروق الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب ، هذا بالاضافة الى ما سبق الاشارة اليه من أن صافى الهجرة لدى العرب فى الأراضى المحتلة ظل باستمرار سلبيا ٠

ثانيا : ان تأثير المتغيرات السكانية على مستقبل الصراع العربى ــ الاسرائيلى ، لا يتوقف عند حدود محدوديته ، وهامشيته بل يظل الرهان على دور العامل السكانى محفوفا بالمخاطر انطلاقا من امكانية قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلى بعملية ترحيل ــ ترانسفير ــ واسعة النطاق للعرب من الأراضى الفلسطينية المحتلة ولا سيما وأن فكرة الترانسفير فكرة أصيلة فى الفكر الصهيونى ، نجحت اسرائيل فى تنفيذها أثناء بعض جولات الصراع المسلح ، حيث قامت العصابات الصهيونية بترحيل نحو ٧٥٠ ألف فلسطينى خلال حرب ١٩٤٨ وما بعدها ، ونحو ٣٠٠ ألف آخرين خلال عدوان

يونيو ١٩٦٧ ، كما يتحدث قادة اسرائيل صراحة عن الخطأ الاسرائيلى لعدم استغلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، لترحيل قطاعات واسعة من العرب خارج الأراضى الفلسطينية المحتلة على غرار ما حدث عامى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . ويتحدث بعض رموز اليمين الاسرائيلى المتطرف ـ حزب موليديت مثلا ـ عن خطط جاهزة لاستثمار أى حرب عربية ـ اسرائيلية جديدة أو حتى مجرد اتساع نطاق أعمال الانتفاضة ، أو بمبادرة من جيش الاحتلال لطرد ما بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ ألف فلسطينى من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ .

ثالثا : عدم صحة الأفكار التى تحاول بعض الدراسات ترويجها عن امكانية استغلال الخلافات بين يهود الشرق ـ السيفارديم ويهود الغرب ـ الأشكيناز ، والتى تذكر بعض الدراسات أنها يمكن أن تقود الى صراع وربما حرب أهلية داخل المجتمع الاسرائيلى ، فالمؤكد أن التفرقة ضد يهود الشرق وان كانت لا تخلو من سياسة تمييزية من جانب يهود الغرب ، الا أنها استندت فى البداية الى أسس موضوعية مؤداها تخلف يهود الشرق مقارنة بنظرائهم من الغرب ، كما أن السياسات التمييزية ضدهم فى تراجع، كذلك فان يهود الشرق لم يبادروا بأى عمل من أعمال العصيان والتمرد المسلح ضد سيطرة يهود الغرب منذ قمع حركة الفهود السود فى مطلع السبعينات حيث اتجه يهود الشرق الى المطالبة بتحسين أوضاعهم من خلال القنوات الشرعية .

لكل ما سبق يتضح عدم دقة الاستنتاج الذى وصل اليه بعض الدارسين العرب ـ وبالغ فى الحديث عن نتائجه دارسون يهود ـ من أن الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب فى اسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ستؤدى الى تفوق سكانى عربى يؤدى على المدى البعيد الى حسم الصراع لصالح العرب ، بعد أن يذوب اليهود فى الأراضى الفلسطينية . وهذا الاستنتاج استند الى معدلات

الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب فى حقبة شهدت أدنى معدلات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، وهى الحقبة التى شهدت أيضا أعداد الاستقطاب السكانية التى يؤدى التحليل الظاهرى لأرقامها الى الخروج بنتيجة واحدة مؤداها أن العرب سوف يتحولون الى أغلبية فى أرض فلسطين فى حين أن اليهود سوف يشكلون أقلية سكانية تتناقص نسبتها من اجمالى السكان بمرور الوقت ٠

فالمؤكد أن الدور الذى يمكن أن يلعبه العامل السكانى يتسم بالمحدودية بل والهامشية اذا تم الاعتماد على مجرد الأرقام فقط ، أى نسبة الفئات المختلفة بحسب العرق ، الدين ، اللغة ، اذ هناك الكيف بجانب الكم ، فضلا عن أن التجارب التاريخية أثبتت قدرة الأقلية على التحكم فى الأغلبية لفترة طويلة جدا ، هذا بالاضافة الى القيود والمخاطر التى تحيط بوجود الأغلبية العربية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ٠

رابعا : مع أخذ كافة المتغيرات الأخرى فى الاعتبار ، فأن الخيار المفضل لدى اسرائيل هو الحفاظ على الوضع الراهن اذ أنه يحقق لاسرائيل مزايا التعامل مع البعد السكانى ناهيك عن الابعاد الأخرى الاقتصادية والأمنية والسياسية ، فبقاء الاراضى المحتلة دون ضم قانونى يعنى عدم تمتع سكانها بالجنسية الاسرائيلية ، ومن ثم يبقى العرب فى اسرائيل أقلية لا تزيد نسبتها عن ١٨٪ من اجمالى السكان ، وهو ما يحافظ لاسرائيل على طابعها اليهودى ويتيح لها امكانية تنفيذ الترانسفير عندما تحين الظروف الملائمة لذلك من وجهة النظر الاسرائيلية ٠

خامسا : اذا كان هناك من دور للعامل الديموجرافى فى حل الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، فان هذا الدور يأتى فى اطار تفاعل العامل السكانى مع مجموعة أخرى من العوامل السياسية والاقتصادية والعسكرية فى منظومة متكاملة تشكل برنامجا متكاملا

يكون للعامل السكانى فى اطارها دور محدد يتكامل مع الأدوار التى تلعبها العوامل الأخرى ، ويمكن استغلال العامل السكانى فى اطار استراتيجية عربية متكاملة تبدأ برفع ثمن خيار الحفاظ على الوضع الراهن بالنسبة لاسرائيل ٠

ويشتمل دور العامل السكانى فى اطار الاستراتيجية العربية على : ــ

١ ــ تصعيد أعمال المقاومة فى الأراضى المحتلة ، أى العمل على توسيع نطاق أعمال المقاومة ضد قوات الاحتلال وضد تجمعات المستوطنين اليهود حفاظا على عروبة الأراضى المحتلة ، فتوسيع نطاق أعمال المقاومة يساهم فى خلق مشاكل عديدة لقوات جيش الاحتلال فضلا عن عرقلة اتمام عمليات توطين المهاجرين الجدد لا سيما القادمين من الاتحاد السوفيتى ــ السابق ــ اذ أن هؤلاء المهاجرين يبحثون عن الأمن والاستقرار ، ولا تحظى القضايا الايديولوجية لديهم بأولوية ــ هذا بالاضافة الى أن توسيع نطاق أعمال المقاومة يدفع بقطاعات من الرأى العام الاسرائيلى ، بل والمسئولين الى المطالبة بالتوصل لحل سلمى للصراع حماية للأمن الاسرائيلى، هذا ناهيك عن توجيه الاهتمام الدولى الى هذه المنطقة سواء من قبل الرأى العام العالمى أو المنظمات الدولية أو الدول الكبرى ٠

٢ ــ خلق جسور للتنسيق مع عرب ١٩٤٨ ، لا سيما وأن من بينهم فئة مازالت تحتفظ بهويتها الفلسطينية وترفض الاندماج فى المجتمع الاسرائيلى ، ولا تعترف بحق اسرائيل فى الوجود ، ويمكن استخدام هذه الأقلية فى ممارسة الضغوط على الحكومة الاسرائيلية سواء بالدعوات للتحاور من أجل الحل السلمى أو من خلال القيام بأعمال المقاومة ضد الجيش

الاسرائيلى ، ويمكن أن يتم تقسيم العمل للتحرك على هذين الصعيدين فى آن واحد ٠

٣ ـ الحفاظ على معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى العرب ، اذ تظل معدلات الزيادة الطبيعية هامة على المدى البعيد لاسيما اذا ما تراجعت الهجرة اليهودية سواء باستنفاد الراغبين فى الهجرة من الخارج ، أو بآثار تصعيد أعمال المقاومة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، فيظل اليهود باستمرار أقلية وسط أغلبية فلسطينية فى أرض فلسطين ، بالاضافة الى وجود المحيط العربى ٠

٤ ـ التمسك بالأرض والحد من نزوح الشباب الفلسطينى ، ويقتضى ذلك اعداد وتنفيذ خطة حقيقية لتنمية الأراضى المحتلة ، وهو ما يتطلب قيام الدولة العربية ـ لاسيما النفطية ـ بالوفاء بالتزاماتها من أجل هذه التنمية ٠

٥ ـ تدشين أسس الاستقلال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الفلسطينى على أرض الواقع ، وهو ما أثبتت الانتفاضة امكانية تحققه ، فى ظل دعم اقتصادى عربى ، حيث يصب فى النهاية فى رفع ثمن خيار الحفاظ على الوضع الراهن بحرمان اسرائيل من المزايا الاقتصادية التى تجنيها من احتلال الأراضى الفلسطينية ٠

٦ ـ التمسك بالوحدة الوطنية الفلسطينية لاسيما فى الأراضى المحتلة والابتعاد عن اثارة قضايا هامشية لن يستفيد من طرحها سوى اسرائيل ٠



هـوامش الدراسـة

١ ـ Nadia Farah, Population Trends and Protracted Social Conflict, Unpublished Manuscript, p. 3.

٢ ـ Ibid, p. 3.

٣ ـ Edward E. Azar and Nadia Farah, Political Dimensions of Conflict, In : Nazli Choucri (ed.) Multidisciplinary Perspective on Population Conflict, New York, Surcuse University Press, 1984, pp. 158-159.

٤ ـ Edward Azar, Paul Jureidini and Ronald McLaurin, Protracted Social Conflict : Theory and Practice in Middle East, Journal of Palestine Studies, 5. 1 (1978), p. 47.

٥ ـ ادوارد عازار ، الصراع الاجتماعى الممتد والنظام الدولى ، ترجمة حمدى عبد الرحمن ، المجلة العربية للدراسات الدولية، السنة الأولى ، العدد الثانى ، حيفا ١٩٨٨ ، ص ٨ ٠

٦ ـ Edward Azar and S. Colen, « Pease as Crisis and War Status Quo, The Arab-Israeli Conflict Environment, International Interactions, 6-2 (1979), p. 159.

٧ ـ ادوارد عازار ، الصراع الاجتماعى الممتد والنظام الدولى مرجع سابق ، ص ٢٤ ٠

٨ ـ المرجع السابق ، ص ٢٤ ٠

٩ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠

١٠ ـ المرجع السابق ، ص ١٨ ٠

١١ ـ Nadia Farah, op. cit., p. 32.

١٢ ـ ادوارد عازار ، الصراع الاجتماعى والنظام الدولى ، مرجع سابق ، ص ١٨ ٠

١٣ ـ Nadia Farah, op. cit., pp. 39-32.

١٤ ـ ادوارد عازار ، الصراع الاجتماعى الممتد والنظام الدولى ، مرجع سابق ، ص ١٩ ٠

١٥ ـ المرجع السابق ، ص ٢٠ ٠

١٦ ـ المرجع السابق ، ص ٢١ ٠

١٧ ـ وليم فهمى ، الهجرة اليهودية الى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٠ ٠

١٨ ـ المرجع السابق ، ص ١١ ٠

١٩ ـ المرجع السابق ، ص ١٣ ٠

٢٠ ـ Statistical Abstract of Israel 1989, p. 43.

٢١ ـ د ٠ اسماعيل راضى الفاروق ، أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، معهد الدراســات العربية العالمية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

٢٢ ـ د ٠ فؤاد حسنين على ، المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم ، معهد البحوث والدراســات العربية ، القــاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٧ ٠

٢٣ ـ وليم فهمى ، الهجرة اليهودية الى فلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٥ ٠

٢٤ ـ المرجع السابق ، ص ص ٥٩ ـ ١٠٢ ٠

٢٥ ـ المرجع السابق ، ص ٣٥ ٠

٢٦ ـ المرجع السابق ، ص ١٣١ ٠

٢٧ ـ Calvin Goldscheider, The Demographic Embbedness o^f the Araz-Jewish Conflict in Israll Society, Middle East Review, vol. xxi, No. 3, Spring 1989, p. 18.

٢٨ _ Statistical Abstract of Israel, 1989, p. 150.

٢٩ _ وليم فهمى ، الهجرة اليهودية الى فلسطين ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٤ _ ١٠٨ .

٣٠ _ Statistical Abstract of Israel, 1985, p. 150.

٣١ _ Statistical Abstract of Israel, 1989, p. 150.

٣٢ _ Calvin Goldscheider, op. cit., p. 18.

٣٣ _ وليم فهمى ، الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، مرجع سابق ص ص ١١١ _ ١١٧ .

٣٤ _ Statistical Abstract of Israel, 1985, p. 151.

٣٥ _ Ibid, p. 151.

٣٦ _ Ibid, p. 151.

٣٧ _ Statistical Abstract of Israel, 1989, p. 167.

٣٨ _ Statistical Abstract of Israel, 1991, pp. 42-43.

٣٩ _ Arnon Soffer, Projection for the Land of Israel, Middle East Review. Vol. 29, Issue No. 4, Summer 1988, p. 44.

— Statistical Abstract of Israel, 1991, pp. 42-43.

٤٠ _ كمال ربحى ، العرب سى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، بدون دار نشر ، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

٤١ _ William M. Brinner, The Arabs of Israel : The Past Twenty Years, Middle East Review, Vol. xx, No. 1, Fall 1987, p. 13.

٤٢ _ شريف كناعنة ، العرب فى اسرائيل : التغير والاستمرارية دراسات فى تأثير الاحتلال على المجتمع العربى الفلسطينى جمعية الدراسات العربية ، القدس ، ديســـــمبر ١٩٨٣ ص ١٠٩ .

٤٣ ـ عرب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ تحت الاحتلال الاسرائيلى ، الأوضـــاع الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسيه ، مجلة الأرض، ، العدد ١٦ ، ١٩٨٤/٤/٧ ، ص ٢٣ ·

٤٤ ـ O. U. Schmelze, Modern Jerusalem's Memographic Evaluation, The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem, 1987, p. 66.

٤٥ ـ د · نظام محمود بركات ، الاستيطان الاسرائيلى فى فلسطين بين النظرية والتطبيق ، مركز دراســات الوحــدة العربية بيروت ، فبراير ، ١٩٨٨ ، ص ٨٠ ·

٤٦ ـ Calculated from : Statistical Abstract of Israel, 1989. pp. 37-41.

٤٧ ـ هانى نايف مقبول ، الأوضـــاع الديموجرافية فى الضـــفة الغربية ، ص ٤٥ ·

٤٨ ـ المرجع السابق ، ص ٤٩ ·

٤٩ ـ المرجع السابق ، ص ٤٩ ·

٥٠ ـ The Significance some West Bank Resources to Israel, Amman, Royal Scientific Society, 1977, p. 11.

٥١ ـ Statistical Abstract of Israel, 1991, p. 710.

٥٢ ـ غازى السعدى (محرر) تقرير الأرض المحتلة الى المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الثامنة عشرة ، دار الجليـــل للنشر ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ ·

٥٣ ـ د · بركات أحمد الفرا ، اقتصاديات الزراعة فى قطاع غزة معهد التخطيط القومى ، القاهرة ، ابريل ١٩٨٦ ، ص ٨ ·

٥٤ ـ الخبراء العرب فى الهندسة والادارة ، الرعاية الاجتماعية فى الضـــفة الغربية وقطـــاع غزة المحتلين : المؤسسات والخدمات ، نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ٨٢ ·

٥٥ ـ غازى السعدى (محرر) ، مرجع سابق ، ص ١٤ ٠

٥٦ ـ The Significance some West Bank Resources to Israel, op. cit., p. 11.

٥٧ ـ Statistical Abstract of Israel, 1991, p . 710.

٥٨ ـ جورج القصيفى ، الهجرة اليهودية الى فلسطين ٤٨ ـ ١٩٨٩ ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، المجلد الثانى عشر ، العدد الثانى ، صيف ١٩٩٠ ، ص ٣٠ ٠

٥٩ ـ Z'EEVSCHIFF, Security for Peace : Israel's Minimal Security Requirement in Negotieation with the Palestinians. The Washington Institute for Near Policy, 1989, p. 9.

٦٠ ـ Jaffee Center for Strategic Studies, The West Bank and Gaza. Israel's Options for Peace, Jerusalem, 1989, p. 69.

٦١ ـ د ٠ عبد الوهاب المسيرى ، هجرة اليهود السوفيت ، دار الهلال ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٠ ، ص ٢٢٠ ٠

٦٢ ـ المرجع السابق ، ص ٢١٩ ٠

٦٣ ـ أريك رولو ، الفلسطينيون من حرب الى أخرى ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة (٧٩٠) القاهرة ، د ٠ ت ، ص ١٤٣ ٠

٦٤ ـ Jaffee Center for Strategic Studies, op. cit., p. 23.

٦٥ ـ ايفى نيباهو ، الخسائر المترتبة على الانتفاضة بعد مرور ثلاث سنوات ، على همشمار ، ١٩٩٠/١٢/٧ ٠



الفهــــــرس

الموضــــوع	صفحة
تقديم د. عبد العظيم رمضان	٥

الموضـــوع	الصفحة

● صدر من هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د· عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د· محمد نعمان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
عطية عبد السميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د· عبد المنعم ماجد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د· على بركات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د· محمد أنيس

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزى

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية
شكرى القاضى

٢٤ ـ الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ـ مصر فى عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ـ الموظفون فى مصر
د. حلمى أحمد شلبى

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خالد الكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب جـ ٢
ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غبريال

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية
أبراهيم عبد العزيز

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد عفيفى

٤٥ ـ الحروب الصليبية
تأليف : وليم الصورى
ترجمة : أ.د. حسن حبشى

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تاليف : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تاليف : أ٠د٠ لطيفة محمد سالم

٤٨ ـ الفلاح المصرى
تاليف : د٠ زبيد عطا

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تاليف : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تاليف : د٠ سهير اسكندر

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د٠ عبد العظيم رمضان

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر
تأليف : د٠ الهام محمد على ذهنى

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د٠ محمد كمال الدين عز الدين على

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تأليف : الدكتور محمد عفيفى

٥٥ ـ الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق : د٠ حسن حبشى

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د٠ حلمي أحمد شلبى

٥٧ ــ مصر الاسلامية وأهل الذمة
د٠ سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ ــ أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة
د٠ ابراهيم عبد الله المسلمي

٥٩ ــ الرأسمالية الصناعية في مصر
د٠ عبد السلام عبد الحليم عامر

٦٠ ــ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية**
عبد الحميد توفيق زكي

٦١ ــ تاريخ الاسكندرية
أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

٦٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر ج ٣
لمعي المطيعي

٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور
أ٠ د٠ سيد اسماعيل الكاشف

٦٤ ــ مصر وحقوق الانسان
د٠ محمد نعمان جلال

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

زقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٩٢٨٠

ISBN — 977 — 01 — 3537 — 2